بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية

نموذج رقم (٨) *

أجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الأسم : سند بن لافي بن لفاي الشاماني الحربي **الكلية :** التربية

القسم : التربية الإسلامية والمقارنة **التخصص :** تربية إسلامية ومقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراة

عنوان الأطروحة : " التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية " .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٧ /١١ / ١٤١٦هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم فإن اللجنة توصي بأجازتها في صيغتها النهائية المرفقة متطلباً تكميلياً للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ، كما توصي اللجنة بطباعتها وتداولها بين الجامعات .

والله الموفق ،،

أعضاء اللجنة

المشرف	**مناقش من داخل القسم**	**مناقش من خارج القسم**
د/ محمد جميل بن علي خياط	د/ السعيد محمود السعيد عثمان	د. محروس أحمد بن إبراهيم غبّان
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع:

يعتمد ،،،

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د. حامد بن سالم الحربي

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

****

المملكة العربيـة السعودية
وزارة التعليـم العـالى
جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة





التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية

إعداد الطالب
سند بن لافي بن لفاي الشاماني الحربي

إشراف الدكتور
محمد جميل بن علي خياط

بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية
مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

عنوانها : التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

أهداف الدراسة : تتمثل في بيان أهمية دراسة تاريخ التربية وحاجته إلى التوجيه الإسلامي واقتراح بعض المعايير لتوجيه الأهداف والمحتوى ، وطريقة عرض المحتوى .

موضوع الدراسة : يتمثل في الإجابة على سؤالها الرئيسي : « ما التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية وكيف يتم تطبيقه ؟ » . وما تفرع عنه من أسئلة .

منهج الدراسة : استخدمت الدراسة المنهجين التاليين :

- المنهج الوصفي لأهمية دراسة تاريخ التربية ، وحاجته إلى التوجيه الإسلامي ، وكيفية توجيه الأهداف والمحتوى والطريقة .
- المنهج الاستنباطي لتحليل النصوص الواردة في المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع الدراسة .

فصول الدراسة : الفصل الأول : يوضح خطة الدراسة .

الفصل الثاني : يركز على المفاهيم الأساسيةالواردة في الدراسة .

الفصل الثالث : يتحدث عن أهمية دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام .

الفصل الرابع : يبين الحاجة الملحّة للتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

الفصل الخامس : تناول أهم جوانب التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

الفصل السادس : يشتمل على رؤية نقدية لكتاب عن تاريخ التربية في ضوء التوجيه الإسلامي .

ثم خاتمة الدراسة وخلاصتها العامة مع بعض التوصيات والمقترحات .

من الخلاصة العامة للدراسة :

١ ـ أبرزت الدراسة أن التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية مفهوم شامل لكافة جوانب دراسة تاريخ التربية من حيث الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة ، والمنهج ، وعملية التقويم ، وذلك في إطار العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وما يقوم عليها من تصور شامل للكون ، والانسان ، والحياة ، والمعرفة ، والتاريخ ، وقد اقتصرت الدراسة على بعض هذه الجوانب

٢ ـ أكدت الدراسة أن مجال التربية في ضوء التوجيه الإسلامي هو الإنسان بروحه ، وعقله ، وجسمه ، فالتربية الإسلامية تربية مثالية واقعية ترتبط مباشرة بحاجات الإنسان ، وظروفه ، ومشكلاته ، ونتائج دراسة تاريخها قابلة للتطبيق في المجتمعات الإسلامية في أي زمان ومكان .

٣ ـ أن غالب ما كُتب حول تاريخ التربية من دراسات بحاجة ماسة إلى التوجيه الإسلامي لإزالة ما علق به من تزييف وتشويه ، وتصورات علمانية إلحادية ، وتفسيرات مادية .

ومن التوصيات :

١ ـ الاهتمام بالمفاهيم والمصطلحات الإسلامية التي تستند إليها دراسة تاريخ التربية في ضوء التوجيه الإسلامي .

٢ ـ الاعتماد في دراسة تاريخ التربية على التوجيه الإسلامي المنبثق عن العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وإعادة كتابته في ضوء هذا التوجيه للمساهمة في بناء الشخصية المسلمة الحقة .

٣ ـ العمل على توجيه عناية خاصة لإعداد الباحثين في تاريخ التربية في ضوء التوجيه الإسلامي .

ومن المقترحات :

١ ـ إجراء دراسة حول بلورة منهج إسلامي لدراسة تاريخ التربية .

٢ ـ إجراء دراسة مفصلة تكشف عن ملامح التفسير الإسلامي لتاريخ التربية ، وإسهامه في التوجيه الإسلامي لهذا التاريخ .

٣ ـ إجراء دراسات تقويمية للفكر التربوي خلال العصور التاريخية في ضوء التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

الطالب	المشرف	عميد كلية التربية
سند بن لافي الشاماني الحربي	د . محمد جميل بن علي خياط	د / عبدالعزيز بن عبد الله خياط

الإهــداء

إلى ...

كل مـؤمـن غيـور على تـربيـة

﴿ .. خير أمة أخرجت للناس .. ﴾

(سورة آل عمران : ١١٠)

شكر وتقدير

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو على كل شيء قدير ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الذي أوتي القرآن ومثله معه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واقتفى أثره .

أما بعد :

يقول الله تعالى : (.. لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ..) (إبراهيم : ٧) ، ويقول رسول الله ﷺ « لا يشكرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشكرُ الناسَ » (حديث صحيح) (**الألباني : صحيح الجامع ، ٢ / ١٢٧٦**) .

فاللهم لك الحمد حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، حمداً يوافي نعمك التي لا تحصى ، ومنها ما مننت به على عبدك الفقير إلى رحمتك أن وفقته لطلب العلم ، وهديته لاختيار هذا العمل ، وأعنته على إنجازه ، فلك الحمد ولك الشكر حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الكريم الدكتور / محمد جميل بن علي خياط ، أستاذ مشارك أصول التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة لقاء ما تعلمته منه من الخُلُق مع العلم ، وما تفضل به عليّ من قبوله للإشراف على هذا العمل الذي كان لرعايته الدائمة وتوجيهاته السديدة الأثر الكبير في انجازه ، فقد كان نعم المربي والموجه الذي لا يريد بعمله إلا وجه الله تعالى ، ويرى في خدمة العلم وطلابه عبادة لله عز وجل ، فلا يقابل طلابه إلا بصدر منشرح ، وخلق جمّ ، وإفادات علمية قيمة ، في أي زمان ومكان ، حتى في غير ساعات الإشراف ، بل وفي العطل الرسمية . وأجد لساني عاجزاً عن شكره والثناء عليه ، وقلمي عاجزاً عن التعبير عما يكنّه قلبي له من تقدير ومحبة واحترام . ولا أملك له إلا الدعاء بظهر الغيب أن يمدّ الله في عمره ، وأن يبارك في جهوده ، ويصلح له أمر دينه ودنياه وآخرته ، وأن يعينه على نشر العلم ، وتوجيه طلابه لما يرضى الله تعالى عنه .

وشكري وتقديري البالغين لأساتذتي الأفاضل الذين تكرموا بأن قبلوا مناقشة هذا العمل وتوجيهه وهم :

سعادة الدكتور / محروس بن أحمد إبراهيم غبان أستاذ التربية المقارنة المشارك ووكيل كلية التربية للدراسات العليا فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة . وسعادة الدكتور / السعيد محمود السعيد عثمان الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بمكة المكرمة .

كما أرفع شكري وتقديري لمقام صاحب السمو الملكي أمير منطقة المدينة المنورة الأمير المحبوب / عبد المجيد بن عبد العزيز حفظه الله الذي يعتز الباحث بالعمل تحت قيادته . وقد كان لسموه الفضل الأول بعد فضل الله تعالى في إتاحة الفرصة لي من أجل إكمال برنامج الدكتوراة فلسموه الكريم مني جزيل الشكر ، وصادق العرفان ، وخالص الدعاء بأن يجزيه الله عني خير الجزاء .

كما يشكر الباحث جامعة أم القرى وعلى رأسها مديرها معالي الدكتور / سهيل بن حسن قاضي وسلفه معالي الدكتور / راشد الراجح لقاء ما تقدمه من جهود موفقة لخدمة العلم وطلابه ، والشكر موصول لسعادة عميد كلية التربية الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله خياط ، وسلفه الدكتور / هاشم حريري ووكلاء الكلية وأعضاء هيئة التدرس بالأقسام وأساتذتي في كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين والتربية ، كما أشكر أعضاء مجلس قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، ومجلس الكلية لقاء ما أبدوه من ملاحظات قيمة على خطة الدراسة .

وختاماً أتوجه بالشكر والتقدير لكل من قدّم لي يد العون ـ بعد الله سبحانه ـ وساهم في إخراج هذا العمل ، وتهيئة أجوائه ، من أساتذة فضلاء ، وأصدقاء أعزاء في العمل ، والدراسة ، ولن أنسى أسرتي الكريمة وعلى رأسها والديّ وخالي الذين تنازلوا عن الشيء الكثير من حقوقهم عن طيب نفس لقاء توفير كامل وقتي لإنجاز هذه الدراسة . فللجميع مني خالص الدعاء بأن يجزيهم الله عني خير ما يجزي به عباده الصالحين .

والحمد لله أولاً ، وآخراً ، وظاهراً ، وباطناً .

الباحث

فهرس المحتويات

فهرس الملاحق



الإطار العام للدراسة

المقدمـــة

أولا : مـــوضـــوع الدراســـة

ثانيـــا : أســـئلة الدراســـة

ثالثـــا : أهمـــيـــة الدراســـة

رابعـــا : أهداف الـدراســـة

خامسا : حـــدود الدراســـة

سادسا : منـهج الـدراســـة

سابعـا : الدراســات الســابقــة

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ ، ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢) . ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١) . ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب : ٧٠ ، ٧١) (١) .

أما بعد :

فإن دين الإسلام لا ينحصر في جانب واحد من جوانب سلوك الإنسان ، ولا في قطاع واحد من قطاعات الحياة ، بل يشمل كل جانب من جوانب السلوك البشري ، إن كان عقليًا أو خُلقيًا ، أو وجدانيًا ، كما يشمل كل قطاع من قطاعات الحياة إن كان تربويًا ، أو سياسيًا ، أو اقتصاديًا ، أو غير ذلك ، كيف وهو الدين الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩) ، ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران : ٢٠) ، وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥) .

فالإسلام هو « الاستسلام والطاعة والاتباع .. وإذن فليس الدين الذي يقبله الله من الناس هو مجرد تصور في العقل ، ولا مجرد تصديق في القلب ، إنما هو القيام بحق هذا التصديق وذلك التصور ... هو تحكيم منهج الله في أمر العباد كله ، وطاعتهم لما يحكم به ، وإتباعهم لرسوله في منهجه » (**قطب : في ظلال القرآن ، ١/ ٣٧٧**) .

---

(١) كان النبي ﷺ يفتتح كلامه بهؤلاء الكلمات ؛ التي سماها العلماء : خطبة الحاجة ؛ أي الغرض الذي من أجله يتكلم ، ويخطب ، ويكتب .

حقًا .. إنه لا دين يقبله الله ؛ إلا دين الإسلام ، ولا يكون إسلام بغير استسلام لله سبحانه ، وطاعة لرسوله محمد ﷺ ، واتباع لمنهجه ، وتحكيم لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ في جميع أمور الحياة ، فالكتاب والسنة كلاهما وحي من الله كما قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ... ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقال تعالى عن رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ، ٤) .

ذلك أن الإسلام منهج متكامل للحياة ، وتصور شامل للكون ، وللإنسان ؛ يوجّه كل صغيرة وكبيرة من حياة المسلم ؛ الروحية ، والإجتماعية ، والنفسية ، والإقتصادية ، والسياسية ، وحتى البيولوجية .

وللتربية موقع خاص في تحقيق غايات الإسلام ومقاصده من بين أنظمة الإسلام الأخرى ، فهي التي تشكّل طاقات الإنسان ، واستعدادته ، ونموه المتكامل على مدى الحياة ، وتشمل بالإعداد كافة الجوانب الروحية ، والخلقية ، والجسمية ، والإجتماعية ، والسياسية ، والإقتصادية ، وغيرها .

وبما أن تاريخ أية أمة يمثل اعتزازها ، وموطن القدوة فيها ؛ فإن دراسته تعتبر « من القضايا التربوية المباشرة باعتبار التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث التاريخية ، إنما هو إلى جانب ذلك تفسير لتلك الأحداث ، وتقويم لها . والتفسير والتقويم يشملان ذات القيم والمبادىء والأفكار التي تقوم عليها التربية » . (**قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص ٥**) .

وتاريخ الإسلام ــ خاصة ــ تاريخ دين وعقيدة ، قبل أن يكون تاريخ دول وفتوحات ، ونظم سياسية ، وغيرها . لأن العقيدة هي التي أنشأت هذه الكيانات من الدول والمجتمعات بنظمها السياسية ، والإدارية ، والإجتماعية ، والتربوية ، والإقتصادية في ظل الإسلام ، بصرف النظر عن الأخطاء والانحرافات التي حدثت وتحدث ـ عادة ـ أثناء الممارسة والتطبيق . (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٩**) .

وهذا يوجب الإلتزام بالمنهج الإسلامي في الدراسة التاريخية بل إن هذا الالتزام يُعدُّ ضرورة علمية ، ووظيفة شرعية ، وحاجة إنسانية ، والإخلال بها إخلال بموازين العلم الصحيحة ، وبالأحكام الشرعية ، ويسبب نقصًا كبيراً في الدراسة ، وتشويهًا للوقائع التاريخية ، كما يسبب انحرافًا خطيرًا في التفسير ، والفهم ، والسلوك ؛ تجاه الأحداث التاريخية . (**المرجع السابق ، ص ٥٠٨**) .

وتاريخ التربية يمثل الجانب التربوي من حركة التاريخ حيث يشمل الفكر التربوي الذي تقوم على أساسه النظم التعليمية ، وماتحويه من مؤسسات التعليم ، والمفاهيم التربوية ، والإدارة التعليمية ، والبنية التعليمية ، وإعداد المعلمين ، بالإضافة إلى ما يؤثر في العملية التربوية من قوى وعوامل ؛ ثقافية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية .

وتكمن أهمية دراسة تاريخ التربية في إبرازه للجهود الناجحة التي بذلت في هذا الميدان ، والتي كانت خلف رقي الأمم والشعوب للاستفادة منها ، كما تتضح من خلال دراسة تاريخ التربية الأخطاء التي وقعت في الماضي من أجل تحاشيها ، ومنع تكرارها .

ولما للتاريخ من أهمية باعتباره مقوماً من مقومات أصالة الأمة وربط ناشئتها بجذورها التاريخية ، وحضارتها وأمجادها .. فقد ركّز أعداء الإسلام في غزوهم الفكري للمسلمين على التاريخ الإسلامي ؛ من مختلف الطرق : تجهيلاً ، وتزييفاً ، وتشويهاً ، وتحريفاً ، إضافة إلى التفسير الخاطىء لأحداثه بعيداً عن المنهج الرباني ، ومزاحمته بتواريخ الأمم الجاهلية ، ليبدو كأنه حلقة صغيرة أو كمًّا مهملاً في تاريخ البشرية .

وما تاريخ التربية إلا فرعاً من التاريخ العام ، وقد أصاب الفرع ما أصاب أصله من الحالة التي تقدم وصفها ، من حيث المنطلقات ، والمفاهيم ، والمصادر ، والمنهج ، بل إن ما كتب عن تاريخ التربية العام باللغة العربية يعد نزراً يسيراً ، وغالب ما يوجد منه ترجمات مقتضبة أو موسعة لبعض الكتب الأجنبية . وليس هذا فحسب ؛ بل إن

ذلك اقتصر في الغالب على نهج واحد ، ومرجع واحد ، ونصيب التربية الإسلامية فيها قليل ، إن لم يكن معدوماً ، باستثناء المؤلفات التي تناولت تاريخ التربية الإسلامية مباشرة ، ناهيك عن كتب امتلأت بأفكار خاطئة ، ومفاهيم منافية للعقيدة الإسلامية ، بل وحتى للمنهج العلمي السليم .

وإزاء هذا الواقع الذي تعرض له التاريخ أصبح من واجب القادرين من علماء المسلمين أن يساهموا في تصحيح الأفكار ، والمفاهيم ، والعودة إلى المنابع الصافية لهذا الدين ، ولعل إبراز المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ ، وتدوين قواعده ، وبيان ركائزه ومنطلقاته ؛ من أهم وسائل التوجيه المنشود في عصر تنوعت فيه مناهج تفسير التاريخ ، والمذاهب الفكرية التي أرادت أن تجعل من تفسير التاريخ سنداً لها ، ومبرراً لوجودها ، واستمرارها ، إضافة لما دُسَّ في كتب تاريخ التربية ـ خاصة ـ من أفكار وفلسفات مناوئة للإسلام ، ومعارضة لعقيدته .

وقد كثرت الدعوات الصادرة من علماء المسلمين بضرورة توجيه مختلف العلوم ـ ومنها التاريخ ، وتاريخ التربية ـ توجيهاً إسلامياً وفق منهج سليم ـ ينبثق من التصور الإسلامي المبني على العقيدة الإسلامية الصحيحة عن الخالق عز وجل ، والكون ، والإنسان ، والحياة .

ومن العلماء الذين نادوا بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي : الشيخ محب الدين الخطيب ، وسيد قطب في كتابه (**في التاريخ فكرة ومنهاج**) ، والشيخ محمد قطب في مجموعة من كتبه ، كان آخرها كتابه : « **كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟** » ونوقش هذا الأمر من قبل هيئات علمية مثل مجلس اتحاد الجامعات العربية ، وبعض الجامعات الإسلامية ، كما أوصى المؤتمر الإسلامي العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٧ هـ ، وما تلاه من مؤتمرات بشأن التعليم الإسلامي والتربية ، وما انبثق عنها من مجهودات فردية لبعض العلماء ؛ أوصت بضرورة توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً (١) .

---

(١) ومن تلك التوصيات على سبيل المثال :

ـ الاهتمام عند تأليف الكتب بالعقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة .

ـ العمل على استنباط مجموعة جديدة من العلوم الإجتماعية تتفق مناهجها والإسلام لإحلالها محل العلوم الإجتماعية الغربية . (**المركز العالمي للتعليم الإسلامي : توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع** ، ص ١٧ ، ١٩ ، ٦٨).

وتأتي هذه الدراسة في إطار هذا التوجه المبارك محاولة علمية أولى ـ حسب علم الباحث ـ من أجل توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً يحدد المفاهيم الأساسية لدراسته ، ومعايير توجيه أهدافه ، ومحتواه ، وطريقة عرضه في ضوء العقيدة الإسلامية ، والمبادىء المستنبطة من الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة .

أسأل الله تعالى التوفيق والرشاد ، ومجانبة الهوى ومحالفة السداد ، موقناً بوعده الصادق : ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (فاطر : ٢) فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

أولاً: موضوع الدراسة :

من حق الدين الإسلامي أن يشرف على النشاط العلمي وأن يوجهه بما يتضمنه من مباديء وقيم ومثل عليا ، وكل نشاط يمارسه الإنسان لا بد له من قيم تحكمه وتوجهه ، وإلاّ حاد عن الطريق وانفلت زمامه ، فالملاحظ ـ اليوم ـ أنه عندما انفلت العلم من القيم الدينية الإسلامية أصبح كالمارد الذي انطلق من القمقم يعربد ويدمر حتى أصبح يهدد الإنسانية بالفناء .

ومن أخطر ما أخذته المجتمعات الإسلامية المعاصرة عن التعليم الغربي

« فصل الدين عن المسيرة العامة للتعليم تقليداً للنمط الغربي بينما يرجع انفصال التعليم اللاهوتي عن التعليم العام في الغرب إلى جذور تاريخية تتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء وهو ما انتهى بتحرير العلوم الطبيعية والتجريبية والإجتماعية من سيطرة الكنيسة ، وانزواء علوم الدين (المسيحي المحرّف) في أركان الكنيسة . ولقد اعتقد بعض المسلمين ـ أو هكذا فرض عليهم ـ أن هذا الإنفصال شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن العلم بفروعه المتعددة ومجالاته الواسعة لا يمكن إلاّ أن يكون علمانياً (لا دينياً) .

ولم ير هؤلاء بأساً من استيراد النظم التعليمية الغربية ، ومع النظم جاءت المناهج والخطط التعليمية ، ومع عودة البعثات جاء الفكر الغربي ليصب في أدمغة الطلاب دون تصفية أو انتقاء ومن موقع الانبهار بالغرب تخرجت أجيال كاملة على هذا الفكر بكل منطلقاته وفرضياته » (**الجندي : العودة إلى المنابع ، ص ١٣٩**) .

حصل هذا لما ابتعد المسلمون في العصور المتخلفة عن منهج الله ، وأخذوا يلهثون وراء مناهج البشر ، ظناً منهم أنها ستحقق لهم شيئاً من الأمر ، وظهرت التبعية

في التعليم وغيره ، ولما لم يصلوا إلى شيء تمنوه بل أحسّوا بعمق التعاسة وشقاء الحياة ، نازعتهم الفطرة السليمة أن يستجيبوا لنداء الله فارتفعت النداءات بالرجوع إلى منهج الله ، والعودة إلى منابعه للبحث عن الحل . (**النشمي : معالم في التربية ، ص ٦**) .

ومع نمو الوعي الإسلامي لدى المسلمين ، وشعورهم بضرورة بناء الشخصية الإسلامية في عالم المعرفة بناء سوياً ، ظهرت الدعوة إلى إعادة النظر في الدراسات العلمية عامة ، وما يتعلق منها بالإنسان خاصة وتوجيهها وفق ثوابت الفكر الإسلامي وصياغتها في إطار الإسلام لتحيا الأمة الإسلامية من جديد ؛ متميزة بشخصيتها ، وتتحرر من ذل التبعية الفكرية ؛ التي وصلت إليها العملية التعليمية في المجتمعات الإسلامية .

ومنذ مطلع القرن الهجري الخامس عشر بدأت محاولات جادّة تهدف إلى وضع تصور إسلامي للعلوم ومنها ـ العلوم التربوية ـ يميزها عن التصورات الأخرى من حيث المنطلقات والمنهج والأهداف والمحتوى ، وظهرت تلك المحاولات تحت عناوين ومصطلحات متنوعة ، فتارة تحت مصطلح « التأصيل » ، وتارة أخرى تحت مصطلح « أسلمة العلوم » ، أو « أسلمة المعرفة » ، وأخرى باستخدام عبارة « صياغة إسلامية » ، أو « من منظور إسلامي » ، أو « في ظل التصور الإسلامي » ، أو « من وجهة النظر الإسلامية » ، وأحياناً باستخدام الإسلام وصفاً لذلك كقولهم « التربية الإسلامية » ، « علم النفس الإسلامي » ، « علم الاجتماع الإسلامي » ، وأخيراً تحت مصطلح « التوجيه الإسلامي » .

وكما تقدم فلقد أدرك أعداء الإسلام الدور الخطير الذي يلعبه التاريخ في حاضر الشعوب ومستقبلها ، فركزوا عليه إحتواء وتشويهاً خاصة في إطار تاريخ التربية ؛ أحد العلوم المصطلح على نعتها بـ « التربوية » ومنها علم النفس التربوي ، وعلم الاجتماع التربوي ، وفلسفة التربية وغيرها والتي « يُوجَّه إليها نقد أساسي هو أنها نشأت في بيئات جاهلية تؤمن بالعلمانية » . (**عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ١٥**) .

وقد تشبعت تلك العلوم بالعقائد والفلسفات البشرية المبثوثة في الأبحاث النظرية والتطبيقية ، والتي تعكس الخلفيات العقائدية لكتّابها وواضعيها . بخلاف ما يروّج عن تلك العلوم من أن نتائجها ونظرياتها علمية بحتة وعالمية ، وهذا ما جعل كثيراً من أبناء المسلمين الذين يتلقون هذه العلوم يقبلون ما فيها من أفكار وآراء ونظريات على أنها حقائق علمية يجب التسليم بها حتى ولو كانت معارضة لمبادىء دينهم وعقيدتهم ، ومتجنية على تاريخ أمتهم ؛ فأصبحت هذه العلوم التربوية الوافدة على المجتمعات الإسلامية تمثل إشكالية تبحث عن حلّ .

والتوجيه الإسلامي هو الحل لتلك الإشكالية ، ولذا فقد أصبح من أهم الموضوعات التي تشغل بال التربويين من علماء المسلمين ، بل والعديد من المؤسسات والمراكز العلمية والجامعات الإسلامية ، وبرزت في الساحة دراسات فردية تدعو إلى « ضرورة الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من خلال نظرة شاملة في كتب العلوم التربوية وتنقيتها من الشوائب الدخيلة عليها وتطهيرها من الأخطاء الفاحشة المذكورة فيها والمرتبطة بالعقائد والتصورات والأفكار التي يحملها الباحثون والكاتبون ، وأن تحل محل ذلك الخصائص العلمية الصحيحة التي وردت في القرآن والسنة النبوية » . (**الأفندي : نحو مناهج إسلامية ، ص ٥**) ودعا باحث آخر إلى إيجاد لجان متخصصة لفحص الكتب التربوية التي يتداولها الطلاب في المجتمعات الإسلامية واستبعاد أي كتاب يحوي مفاهيم ، وأفكاراً تتعارض مع أصول العقيدة الإسلامية . (**شبير : تصور جديد لمادة الأصول الإسلامية للتربية ، ص ١١٥**) .

ومن الجامعات التي اهتمت بهذا الشأن جامعة أم القرى ، حيث تضمن برنامج الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية مقرراً مسماه « التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية » جاء في توصيفه أنه « يهدف إلى توجيه العلوم التربوية توجيهاً إسلامياً

> بتحديد وتصنيف وبلورة المبادىء التربوية الإسلامية لتكون منطلقاً وإطاراً لسائر العلوم مثل علم النفس التربوي ، وعلم الاجتماع التربوي ، وفلسفة التربية ، وتاريخ التربية ، وأسس المناهج ، والإدارة التربوية .. إلخ . وذلك بتصفية هذه العلوم التربوية من كل ما ألصق بها من مبادئ غير إسلامية وقبول ما لا يتعارض مع الإسلام » . (**دليل الكلية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص٥٣**) .

وكذا جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لديها مقرر للسنة التمهيدية للماجستير في قسم التربية بمسمى « أساسيات التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي للعلوم » . إضافة إلى جهود الجامعة في مجال التأصيل الإسلامي للعلوم الإجتماعية (**عمادة البحث العلمي ، ١٤١٣هـ =١٩٩٣م ، ص ٤٨٠ ـ ٥٠٦**) .

ومن المؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي عُقد (بمكة المكرمة عام ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) وقد وُضع فيه مخطط عام لكيفية بناء التربية على التصور الإسلامي المتميز ، والإستفادة في الوسائل من التجارب البشرية الناجحة ما دامت لا تتصادم مع التصور الإسلامي ولا تناقضه ، وأعقبته ثلاثة مؤتمرات أخرى بهذا الشأن (**المركز العالمي للتعليم الإسلامي : توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربع ، ص ١١ ـ ١٩٣**) ، ومؤتمر « نحو بناء نظرية تربوية إسلامية » (الأردن ، ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م) ، ومؤتمر « التوجيه الإسلامي للعلوم » الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر ، والمنعقد في (القاهرة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م) والذي كان أحد محاوره التوجيه الإسلامي للعلوم الإنسانية والإعلام ، ولم تتضمن أبحاثه ـ بالنسبة للعلوم التربوية ـ سوى بحث بعنوان « التوجيه الإسلامي لمجال أصول التربية » لـ (سعيد اسماعيل علي) ، وآخر عن « تقويم مناهج تربية المعلمين في ضوء معايير التصور الإسلامي » لـ (علي مدكور) ، وثالث بعنوان « التوجيه الإسلامي لتقنية التعليم » لـ (عبده بلعوص) .

وعلى حد علم الباحث لا توجد دراسة أصيلة حول التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، والذي ـ وللأسف الشديد ـ غالب ما كتب فيه باللغة الإنجليزية ، والطلاب في المجتمعات الإسلامية « ما يزالون يدرسون تاريخ التربية كما تصوّره الأوربيون الذين يُظهِرون أنفسهم في صورة مبدعي هذا العلم ، أما التربية الإسلامية فهي تدرس وتعرض في غير منهج تتبعي ولا متكامل ، فهناك عرض لبعض النظريات أو دراسة لشخصية من الشخصيات التربوية أو حديث أو بعضه عن تاريخ مؤسسة علمية » (**أبو العينين : دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية ، ص ٢٦**) ، والكتب المتداولة عن تاريخ التربية باللغة العربية ـ مع قلتها ـ إما مترجمة عن كتب بالإنجليزية ، وإما سائرة على منهجها في التأليف مع إغفال تاريخ التربية الإسلامية أو تناوله بشيء من

عدم الإهتمام ، أو باعتبارها نوعاً من أنواع التربية في العصور الوسطى مثل (**كتاب : تاريخ التربية في الشرق والغرب**) لمؤلفه (**محمد منير مرسي**) .

ولعل من أبرز الأعمال التي صدرت حول تاريخ التربية الإسلامية العمل الذي تم بالتعاون بين ثلاث مؤسسات مهتمة بالبحث العلمي هي :

ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد صدر عنها « كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي المباديء والأصول » (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م) .

ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ، وقد صدر عنه كتاب « من أعلام التربية العربية الإسلامية » في أربعة أجزاء ، (١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م) .

ـ المجمع الملكي لبحوث الحضارة ا لإسلامية . مؤسسة آل البيت ، وقد صدر عنه كتاب « التربية العربية الإسلامية ـ المؤسسات والممارسات » في أربعة أجزاء ، (١٤١٠هـ = ١٩٨٩م) .

ومحتويات هذه الأعمال عبارة عن دراسات متفرقة قام بكل دراسة باحث معين ، وهي وإن استطاعت أن تغطي معظم جوانب التربية الإسلامية ، لكنها لم تستطع في بعض الأحيان أن تربط بين الواقع الإجتماعي والتربية .. كما أنها غير منتظمة بل تخضع لهوى الباحث ، واجتهاده الفردي ، فهي لا تشكل منظومة واحدة .. كما لم تتوفر في تلك الدراسات النظرة النقدية السليمة التي تحاول أن تصحح المسار لترشيد الذات وتأصيل المسيرة .. (**أبو العينين : دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية ، ص ٣٤ ـ ٣٦**) .

هذا بالإضافة إلى ما قد يقع فيه بعض من يتناول تاريخ التربية الإسلامية ـ خاصة ـ من بُعد عن الالتزام بالمنهج العلمي الموصل إلى حقائق الإسلام فيما ينسبه إليه من أقوال ، كأن يورد حشداً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دون أن يوظفها كما ينبغي ، أو يعتمد في فهم تلك النصوص على ذوقه الخاص دون الاستعانة بالمصادر الإسلامية ، ويحتج بأن هذا من الإجتهاد الذي لا ينبغي حجره على الناس .

وقد يتساهل بعض الكتّاب في التوثّق من صحة ما ينسبه للرسول ﷺ من أقوال أو أفعال أو تقريرات ؛ فيكتفي بأخذها من غير مصادرها الصحيحة ، وقد يعتمد

على آثار موضوعة أو ضعيفة وفي الأحاديث الصحيحة ما يغني عن الضعيفة ، ويحمي من خطر الموضوعة .

وربما كتب في تاريخ التربية مَنْ لا يحسن فهم أقوال الفقهاء ، والمفسرين ، وعلماء الحديث حول النصوص ، ولا الترجيح بينها ، فيلجأ لاختيار ما تميل إليه نفسه وما يؤيد أو يؤكد الفكرة التي يرغب تقريرها ، ولربما وُجد مَنْ لا يفرق في الاستدلال بين نصوص الكتاب والسنة ، وبين أقوال العلماء ويظن أن كل كلام قاله عالم مسلم أو حتى فيلسوف إسلامي صالح أن يستدلّ به على حكم الإسلام ، أو تصوّره لأمر من الأمور . (**إدريس : أسلمة العلوم فلسفتها ومنهجيتها ، ص ٦**) .

وكانت هذه الأمور وغيرها في ميدان تاريخ التربية مما يخالف مقتضيات المنهج العلمي لمعرفة حقائق الدين الإسلامي ، وتفسيره المتميز لأحداث التاريخ ، وتوجيهه لمختلف أنواع المعرفة ، تَحُزُّ في نفس الباحث ، فأوجدت لديه شعوراً مُلِحّاً بالتفكير في المساهمة في إصلاح الخلل في هذا الأمر الخطير الذي له مساس بعقيدة المسلم التي بصلاحها يصلح أمره كله ، وله مساس ـ أيضاً ـ بتاريخ أمته الحافل بالأمجاد والباعث على النهوض والتمسك بالمبادىء والآداب والقيم . مؤملاً أن يقدم ـ بإذن الله تعالى ـ تصوراً للتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية من حيث المفاهيم ، والأهداف ، والمحتوى ، والطريقة .

ثانياً : أسئلة الدراسة :

السؤال الرئيس في هذه الدراسة يمكن صياغته على النحو التالي :

« ما التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية وكيف يتم تطبيقه ؟ »

ومن هذا التساؤل تتفرع الأسئلة التالية :

ـ ما المفهوم الإسلامي للتاريخ ؟ ولتاريخ التربية ؟

ـ ما أهداف دراسة تاريخ التربية ؟ وما منهجه ؟ وما مصادر دراسته ؟

ـ ما الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ؟

ـ ما أهم أبعاد التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ؟

ـ كيف يمكن تطبيق التوجيه الإسلامي على ما كُتب في تاريخ التربية ؟



ثالثاً : أهمية الدراسة :

للتوصل إلى بلورة أهمية الدراسة يمكن تقديم الحقائق التالية :

١ ـ الإسلام وحده ؛ نظام حياة يختلف عن النظم الأرضية ، وتاريخه يشكل ثروة عظيمة من المعارف والأفكار التربوية والثقافية ، ويجب أن يكون ـ أي الإسلام ـ الإطار المرجعي للمجتمعات الإسلامية ، وأن توجّه في ضوئه حركة الحياة ، وأن تنطلق منه معايير التقويم .. لأنه حضارة بكل ما يشتمل عليه هذا المصطلح من معانٍ ومتطلبات .

٢ ـ سيطرت على الثقافة في البلاد الإسلامية بوجه عام خلال القرن الهجري الماضي توجهات فكرية منحرفة عن عقيدة الإسلام ، مناوئة للتفكير الإسلامي السليم وتتجلى هذه التوجهات خاصة في الانحراف الكبير في دراسات أصحاب تلك التوجهات المتعلقة بمجالات العلوم الإنسانية والفكر المعاصر ؛ فالعلوم المتعلقة بحياة الانسان المادية والمعنوية ؛ الفردية والإجتماعية ؛ كعلم النفس ، والاجتماع ، والتربية ، والحقوق ، والآداب ، والفنون ، والأخلاق .. إنما بنيت على الفلسفة الغربية واتجاهاتها ، وقد عبر عن ذلك (**المبارك**) في كتابه : (**بين الثقافتين الغربية والإسلامية**) بقوله :

« التاريخ يصور بالدرجة الأولى تاريخ الحضارة المادية للإنسان ويضع في الدرجة الثانية الأديان وتاريخها ، وينظر إليها على أنها ظاهرات إنسانية إجتماعية يعلل نشوءها بعلل وأسباب طبيعية ، ولا يهتم كثيرا بآثارها الحضاري ، بل إن الماركسية تعلل جميع الظاهرات المعنوية ، وغير المادية بتعليلات مادية اقتصادية ، عدا ما في عرض التاريخ في الثقافة الأدبية من دوافع العصبية إذا كان الموضوع متعلقاً بالإسلام وتاريخه .. والتربية جميع نظرياتها في الثقافة الحديثة مبنية على التصور المادي للإنسان إجمالياً ، وعلى تحقيق أهداف المجتمع المادي المعاصر . وأما الجانب الروحي والخلقي من الإنسان فلا مكان له في التربية في إطار الثقافة الغربية ، بالرغم من صيحات الكثيرين منهم أمثال الكسيس كاريل الفرنسي . والدوس هكسلي الإنكليزي ، وحتى برتراندراسل ، والدِّين أخيراً لا يعرض إلا على أنه دراسة لظاهرة تاريخية مضت ، لا (حقيقة) حية ، إنهم بين منكر له أصلاً ، وقائل بفصله عن الحياة العامة .. » (**ص ٧٠ ـ ٧٢**) .

٣ ـ العلوم التربوية ـ ومنها تاريخ التربية ـ لا تمثل معظم محتوياتها حقائق يمكن تجربتها مثل حقائق العلوم الكونية ؛ كالفيزياء ، والكيمياء ، والفلك والجغرافية والطبيعة ووظائف الأعضاء ، بل هي علوم يجب أن توجهها العقيدة الإسلامية .

وقد ظهر عجز الكثير من الباحثين التربويين عن الوصول إلى تصور واضح لدور كل فرع من فروع التربية المختلفة في ضوء مبادئ الإسلام وقيمه ، فالاسلام ، يوجه الإنسان في كل تصرف من تصرفاته ، ولا يسمح لاتباعه بتقليد غيرهم في أي تصور يتعارض مع مبادئه ، أو ينافي عقيدته ، ويناوئ قيمه ، بل يضع الأسس والمبادئ التي تنطلق منها العلوم ؛ ومنها العلوم التربوية من حيث الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة التي يعرض بها المحتوى ، وطريقة التقويم ، والمنهجية في البحث .

٤ ـ أن عدداً كبيراً من رجالات التربية في البلاد الإسلامية قد تخرج من الجامعات الأجنبية ، التي تحاول أن تفرض نمطها الفكري على من يلتحقون للدراسة فيها . ويتضح هذا التأثر في البحوث والكتابات التربوية ، التي صدرت في العالم العربي والإسلامي ، والتي تزدحم صفحاتها بالمفاهيم غير الإسلامية ، مع الإكثار من الترجمة والنقل الحرفي عن المؤلفات الغربية من قبل أناس يجهلون حقائق التربية الإسلامية في عصور الإسلام المختلفة ، فينغمسون في النظريات الغربية ، والتفسيرات المادية للتاريخ وينقلون الأفكار التي تحملها إلى الطالب المسلم .

٥ ـ التاريخ في الإسلام يمثل الجانب التطبيقي ، لا لأفكار الناس ، واجتهاداتهم التي قد تصيب ، وقد تخطيء ، وإنما يمثل الجانب التطبيقي للشريعة الإسلامية ، والتصور الإسلامي .

وعليه يجب التفريق بين أخطاء البشر ، وأحكام الإسلام ، وبيان مصدر التلقي للمفاهيم والنظم الإسلامية ، مع الإيمان بالسنن الربانية ، وفقهها ؛ لأهمية ذلك في التفسير التاريخي .

٦ ـ تحمل كتب تاريخ التربية التي أُلفت في الغرب ، والكتب العربية في تاريخ التربية التي تمّ تأليفها على نهج المؤرخين الغربيين تجاوزات واضحة بحق التربية الإسلامية حيث لم تعط العناية التي تستحقها ؛ ففي معظم المؤلفات العربية التي ظهرت في الميدان يُخصص فصل واحد للتربية الإسلامية ، وهي بهذا تتساوى مع سائر أنواع التربية الأخرى مثل التربية اليونانية ، والرومانية ، والمسيحية .

والمسلّمة الخفية وراء هذه النظرة هي : أن التربية الإسلامية ظهرت في فترة تاريخية ثم اختفت ، وفي هذا ظلم كبير للتربية الإسلامية ، المحفوظة مبادؤها في الكتاب والسنة بحفظ الله عز وجل لهما في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر : ٩) ، والمربون المسلمون ظلوا يرفدون التربية بعطائهم على مر العصور . مصداقاً . لقول الرسول الكريم ﷺ : « لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أمتي ظاهرين حتى يأتي أمرُ اللَّهِ وَهُمْ ظاهرون » . (**البخاري : صحيح البخاري ، ١٣٣١/٣**) ، كما أن من التصورات المغلوطة للتربية الإسلامية إدراجها في بعض المؤلفات ضمن التربية القديمة . وهذا التصنيف ينطوي على الإقلال من شأنها إذ الإنسان يرغب في الأشياء التي تصلح لعصره وهذا يعني الترويج لتخلف التربية الإسلامية . (**عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ٢٦ ـ ٢٧**) .

وهكذا يمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة في الآتي :

١ ـ كونها تكشف عن واحد من أسباب تأخر العالم الإسلامي ، وهو التبعية الفكرية المفضية إلى البعد عن الدين الحق ، وتوجيهه لمختلف جوانب الحياة ، فنتج عن ذلك آثار ضارة منها عدم الاهتمام بكتابة ، وتنقية تاريخ التربية مما علق به من شوائب ، وتمييز صحيحه من زائفه ، فالتاريخ أحد الأسلحة التي تستخدم في مجال التوجيه ، وصياغة الأفكار ونشر المذاهب وتأييدها .

٢ ـ كونها تبين الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، وضرورتها لكافة أبعاد هذا التاريخ ، والتي من أهمها الأهداف ، والمحتوى ، وطريقة عرضه ، إضافة إلى الإهتمام بإعداد الباحث .

٣ ـ كونها تبرز مكانة تاريخ التربية الإسلامية ، وتدعو إلى الاهتمام به واعادة كتابته في ضوء التوجيه الإسلامي من أجل المساهمة في بناء الشخصية المسلمة ، والأمة الإسلامية الرائدة القائدة .

٤ ـ كونها تقدم رؤية نقدية في ضوء التوجيه الإسلامي لنماذج من الأفكار التربوية التي تحملها بعض كتب تاريخ التربية .

٥ ـ كونها تتسم بالجدة والأصالة فهي تسهم في تأصيل مناهج التعليم في العالم الإسلامي ، عن طريق محاولة توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً .

رابعاً: أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تقديم تصور إسلامي لتاريخ التربية من خلال ما يلي :

١ ـ التعرف على المفهوم الإسلامي للتاريخ ، ولتاريخ التربية .

٢ ـ التعرف على أهداف تاريخ التربية ، ومنهج ، ومصادر دراسته .

٣ ـ التعرف على مدى الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

٤ ـ التعرف على أهم أبعاد التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية واقتراح بعض المعايير لتلك الأبعاد .

٥ ـ التعرف على الصفات المهمة للباحث في تاريخ التربية في ضوء التوجيه الإسلامي .

٦ ـ تقديم رؤية نقدية في ضوء التوجيه الإسلامي لنموذج مما كتب عن تاريخ التربية .

٧ ـ إثارة وعي طلاب العلم للاهتمام بهذه القضية ، ولفت نظرهم لخطورتها ، واستثارة هممهم للتحرر من التبعية الفكرية للغرب في الميدان التربوي ، وخاصة في ميدان تاريخ التربية .

خامساً : حدود الدراسة :

١ ـ اعتمدت هذه الدراسة في كثير من معطياتها على المصدرين الأساسين للإسلام ؛ القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وهما منبع العقيدة الإسلامية التي هي محور التوجيه الإسلامي لكل شيء في حياة المسلم .

٢ ـ الدراسة تناولت التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ؛ من حيث الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة ، وصفات الباحث ، وقد اقتصرت الدراسة على هذه الأبعاد نظراً لضيق الوقت المحدد لانجازها باعتبارها بحثاً مكمّلاً .

٣ ـ الدراسة اقتصرت على نموذج واحد مما كتب في تاريخ التربية لتقويم بعض محتوياته في ضوء التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية وهو كتاب عبدالله عبدالدائم : « التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، وقد تم اختيار هذا الكتاب بناء على ذيوعه في مجال تاريخ التربية ، واعتماد كثير من الجامعات في العالم الإسلامي عليه مرجعاً لطلابها في هذا المجال واكبر دليل على ذلك كثرت طبعاته حيث أعيدت طباعته أكثر من خمس مرات .

سادساً : منهج الدراسة :

قام الباحث باستخدام المنهجين التاليين :

ـــ المنهج الوصفي :

الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ، ويهتم بوصفها .. وتوضيح خصائصها (**عبيدات وآخرون : البحث العلمي ، ص ١٨٧**)وكان المعول على

أحد فروعه ، وهو المنهج الوثائقي الذي يهتم بدراسة وتحليل المصادر الأساسية والثانوية ذات العلاقة بموضوع البحث من أجل استنتاج الأدلة والبراهين المطلوبة للإجابة على أسئلة البحث (**العساف ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٦**) .

وقد استخدمه الباحث في جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع الدراسة ووصفها وتوظيفها ، كما استخدم الباحث المنهج نفسه في دراسته للنموذج الذي حاول أن يطبق عليه التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

ـ المنهج الاستنباطي :

وهو الذي يبذل فيه الباحث [الجهد العقلي والنفسي الممكن] عند دراسة النصوص لاستخراج المبادىء التربوية منها ، والأدلة المدعمة لها (**فودة وآخر : المرشد في كتابة الأبحاث ، ص ٤٢**) .

وفي ضوء هذا المنهج قام الباحث بتحليل النصوص الواردة في المصادر ذات الصلة بموضوع الدراسة ، وتفسيرها ؛ لاستنباط أهم معايير أبعاد التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، وكيفية تطبيقه .

سابعاً : الدراسات والكتابات السابقة :

لم يجد الباحث دراسات سابقة عن توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً وبعد ما بذله من جهد واستقصاء حصل على إفادة من معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ؛ بأن موضوع الدراسة لم يسبق أن نوقش في جامعات المملكة .

وقد اطلع الباحث على مجموعة من الدراسات ، والبحوث المتعلقة بالتاريخ الإسلامي ، وموضوع توجيه العلوم ـ ومنها العلوم التربوية ـ بشكل عام . وفيما يلي يعرض الباحث نماذج من تلك الدراسات ذات الصلة بموضوعه في مجموعتين ؛ أحدهما أمثلة للدراسات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي ـ ومنه تاريخ التربية ـ من حيث منهج البحث فيه وتفسيره ، والأخرى أمثلة للدراسات المتعلقة بتوجيه العلوم عامة وتوجيه العلوم التربوية خاصة .

المجموعة الأولى : الدراسات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي والبحث التاريخي في التربية:

أولاً : دراسة (عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٨م) :

وهي عبارة عن كتاب مطبوع يقع في ٣٢٦ صفحة، يحتوي على مقدمة ، وأربعة فصول ، تناول المؤلف في المقدمة : المنهج القرآني المتكامل للتعامل مع التاريخ البشري ، الذي لم يكتف بالعرض ، وإنما يتبعه باستخلاص السنن التي تحكم الظواهر الإجتماعية ـ التاريخية والذي يؤكد على أن التاريخ لا يكتسب أهميته الإيجابية إلا بأن يُتخذ ميداناً للدراسة والاختبار ، وأخذ العِبر ، وإبراز القيم والسنن التي لا تستقيم أية برمجة للحاضر والمستقبل إلا على هداها . (ص ٩) .

وقرر أن التفسير الإسلامي للتاريخ الذي يُستمد من [كلام] الله سبحانه الذي يعلو على الزمان والمكان ويتجاوز مواضعات[1] العصر النسبية ؛ هو تفسير ينظر بانفتاح تام إلى الأحداث ، ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعاً في رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة .. (ص ١١) . وتتميز هذه الرؤية ببعد رابع يغيب كثيراً عن ذهن الإنسان مهما كان في درجة من اللماحية والبصيرة والذكاء ، وهو البعد الذي يغور في أعماق النفس البشرية وما تؤول إليه حركتها من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية ، ويمتد كذلك لكي يشتبك في العلاقات الشاملة للمصير .. (ص ١٣) .

وأكد المؤلف حقيقة أن :

« المكتبة المعاصرة تطلعنا على حشد كبير من الأبحاث والمؤلفات المتعلقة بنظريات التفسير الوضعي للتاريخ .. لكننا لا نجد إزاء هذا كله دراسات منهجية متكاملة لعرض التفسير الإسلامي للتاريخ ، من خلال الرؤية القرآنية ، عرضاً تحليلياً مستقلاً .. ويبقى المثقف المسلم ، والمؤرخ المتخصص ، والطالب الجامعي ـ بعد هذا ـ في حاجة إلى مرجع منهجي يرتبط بالقرآن ارتباطاً عضوياً .. » (ص ١٨ ـ ١٩) .

وختم المقدمة بقوله « أثرت عبر فصول البحث كله إجراء مقارنات بين كل نظرة أو موقف إسلامي إزاء التفسير التاريخي وبين ما يقابله من نظرات ومواقف في التفاسير الوضعية وبخاصة (المثالية) و (المادية) و (الحضارية) » (ص ١٩) .

---

(١) أي مناظرات (ابن منظور : لسان العرب ، ٣ / ٩٤٣) .

وفي الفصل الأول عرض المؤلف الخطوط العريضة للتفاسير الوضعية الأساسية للتاريخ ، والنقد الموجه إليها .

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الواقعة التاريخية ، وطريقة عرض القرآن الكريم لها ، مع التمثيل لما قدمه القرآن الكريم من نماذج للمعطيات التاريخية ، والحكمة منها ، وما تضمنه من المبادئ الأساسية في حركة التاريخ البشري .

وأكد أن أي حدث تاريخي إنما يجيء تعبيراً عن إرادة الله التي تصوغه من خلال إرادة الإنسان ، أو مباشرة عن طريق اتصالها بالزمن والتراب . ولا يمكن دراسة تاريخ الكون ، وتاريخ الأحياء ، وتاريخ البشرية إلا من هذا المنطلق . (ص١١٨) .

وخلال ذلك الاستعراض للواقعة التاريخية في القرآن الكريم كان المؤلف يوضح موقف الإسلام من كل مسألة يعرضها ، ويقارنها بالنظريات الوضعية . ليبدو الفرق النوعي شاسعاً وبعيداً بين النظرتين .

وفي الفصل الثالث تكلم المؤلف عن المسألة الحضارية في التفسير التاريخي ، والتي تزداد أهميتها يوماً بعد يوم بحيث أنها تغطي مساحة واسعة في أي مذهب للتفسير مهما كانت بنيته ، وتشكل [القاسم المشترك] بين المذاهب جميعاً ، متبعاً أسلوب المقارنة بين المذاهب المختلفة في تفسير التاريخ ، والموقف القرآني في المسألة الحضارية بأبعادها الشاملة كما هي طريقته في الفصل الثاني .

أما الفصل الرابع فقد تحدث فيه عن مسألة تدهور الدول والحضارات وسقوطها ، مقارناً بين ما تراه معظم مذاهب التفسير الوضعي للتاريخ من حتمية سقوط الدول والحضارات ، بشكل أو بآخر ، والموقف الإسلامي في هذا الصدد .

« وما يطرحه القرآن الكريم من مبدأ التغيير الذاتي في جانبيه السلبي والإيجابي مقابل حتمية السقوط والمداولة كوسيلة للاستعادة ، ولا نقول للاستمرار ، لأنه ليس بإمكان أية جماعة بشرية أن تظل متوترة الإرادة في مواجهة التحديات الدائمة ، قرناً بعد قرن ، دون أن تضعف أو تغفل أو تفقد توترها هذا ، فتتخلى عن مكانها المتقدم للجماعة الأكثر استعداداً ، وحيوية ، وتوتراً » (ص٢٦٢) .

وهكذا يستطيع الإنسان في الإسلام أن يستعيد قدرته على التجدد والإبداع في نشاط متوازن متداخل متكامل بين قيم الروح والمادة .

وقد استفادت الدراسة الحالية مما تضمنه هذا الكتاب من مقارنات في تفسير التاريخ ، وما تميز به التفسير الإسلامي من خصائص نظراً لما يشكله التفسير الإسلامي للتاريخ من أهمية في توجيه تاريخ التربية ، وهذا الكتاب من أهم الدراسات

المباشرة في هذا الموضوع ، مع ما يؤخذ عليه من اغفال للسنة النبوية الشريفة ، التي تحدثت عن قضايا تاريخية وكونية ، واستشرفت آفاق المستقبل البعيد مما هو ضروري التناول عند معالجة موضوع التفسير الإسلامي للتاريخ ، إضافة إلى تاريخ المسلمين الصحيح لا المحرف (**عويس ، : فقه التاريخ .. ص ٣٥**) وهذا ما أخذته الدراسة الحالية بعين الاعتبار ، حيث الكتاب والسنة هما المصدران الأساسان للإسلام ، وعنهما تتفرع المصادر الأخرى .

ثانيا : دراسة (محمد صامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) :

وهي الآن كتاب مطبوع يقع في ٥٨٣ صفحة ؛ كان أصله رسالة علمية قدمت لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٤ هـ . وقد جاءت في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، تعرض الباحث في المقدمة إلى أهمية الموضوع وسبب اختياره له . وجعل الباب الأول مدخلاً لدراسة التاريخ الإسلامي وفيه فصلان (**ص ٢٧ ــ ٨٦**) :

الفصل الأول : في مفهوم العلم ومنهج تلقيه ، بيّن فيه مفهوم العلم وارتباطه بمفهوم العبادة والغاية الأساسية لحياة المسلم ، كما أوضح التلازم بين العلم والعمل ، والضوابط اللازم مراعاتها فيمن يؤخذ عنه العلم .

وفي الفصل الثاني : تحدث عن مفهوم التاريخ وثمرة دراسته .

وخصص الباب الثاني للحديث عن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وفيه خمسة فصول (**ص ٨٩ ــ ٢٦٩**) :

الفصل الأول : عن المنهج وأهميته وارتباطه بالعقيدة والتصورات التي يؤمن بها الشخص ، لأن المنهج أثر من آثار التصور وناتج عنه .

الفصل الثاني : عن مصادر منهج كتابة التاريخ الإسلامي .

الفصل الثالث : أفرده للحديث عن خصائص منهج كتابة التاريخ الإسلامي وهي : التّميّز في التصور والمفاهيم ، والتّميّز في منهج التوثيق وإثبات الحقائق ، والتّميّز في منهج التفسير التاريخي .

أما الفصل الرابع فقد تحدث فيه عن غاية منهج كتابة التاريخ الإسلامي وعن وسائل تحقيقه ، وأنها تقوم على ثلاث دعائم هي :

ـ التصور الصحيح المستمد من الشريعة .

ـ الرجال الأمناء المخلصون .

ـ المنهج العلمي السديد .

أما الفصل الخامس فقد اختص بعرض قواعد منهج كتابة التاريخ الإسلامي التي صنفها في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قواعد في التصور والاعتقاد وقد ذكر فيه سبع قواعد هي :

١ ـ الإيمان بوحدة الأمة الإسلامية ووحدة تاريخها .

٢ ـ معرفة الحكم الشرعي في مخلّفات الأمم الجاهلية .

٣ ـ الفهم الصحيح للقضاء والقدر .

٤ ـ الإيمان بالغيب ، وأثره في توجيه الحوادث التاريخية وتفسيرها .

٥ ـ معرفة حق الصحابة رضي الله عنهم ، وتمييز أهل القرون الثلاثة الأولى .

٦ ـ التفريق بين أخطاء البشر وأحكام الإسلام ، وبيان مصدر التلقي للمفاهيم والنظم الإسلامية .

٧ ـ الإيمان بالسنن الربانية وأهمية ذلك في التفسير التاريخي .

والقسم الثاني قواعد في المصادر ذكر فيه خمس قواعد هي :

١ ـ اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .

٢ ـ عدم التسليم لكل ما ورد في الكتب السماوية السابقة للقرآن لأنها مبدّلة ومنسوخة .

٣ ـ معرفة شروط المؤرخ المقبول .

٤ ـ معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء من المبتدعة والزنادقة .

٥ ـ معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين .

والقسم الثالث : قواعد في الأسلوب والعرض وفيه ست قواعد هي :

١ ـ جعل العقيدة المحور الأساسي في العرض .

٢ ـ التركيز في الكتابة على الأهداف والغايات .

٣ ـ أن يكون العرض موحياً بتحبيب الخير وتبغيض الشر .

٤ ـ إبراز دور الأنبياء وأثرهم في تاريخ البشرية .

٥ ـ تحري استعمال المصطلحات الإسلامية .

٦ ـ الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء .

أما الباب الثالث فقد خصصه الباحث لدراسة مناهج مؤرخي القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ويتألف من ثلاثة فصول . (ص ٢٧٣ ـ ٤٩١) .

وفي الخاتمة تحدث الباحث عن عوامل الانحرافات الواقعة في كتابة التاريخ الإسلامي ، وأهم الطوائف المساهمة في ذلك .

وقدم نتائج البحث ومنها :

ـ ضرورة الربط بين العلم والعمل به حتى يؤت العلم ثماره ولكي يصح العمل ويستقيم السلوك ، وأن العلم يُتلقى لأجل العمل .

ـ بطلان المنهج القائم على طلب « العلم للعلم » و « الفن للفن » و « الأدب للأدب » لأن تلقي العلم في الإسلام محكوم بضوابط شرعية في منهجه وفي أهدافه وفي وسائله كما أنه مرتبط بالغاية الأساسية من خلق الإنسان ووظيفته في هذا الكون .

ـ أهمية علم التاريخ وفائدته في التعرف على السنن الربانية .. ومعرفة المعالم المهمة في تاريخ البشرية ، وأن دراسته ليست قاصرة على سرد الحوادث ... بل تشمل تفسيره المرتبط بالعقائد والتصورات والأفكار التي يحملها الباحثون والكتّاب .

ـ وجوب الالتزام بالمنهج الإسلامي في الدراسة التاريخية وأن هذا الالتزام ضرورة علمية ووظيفة شرعية وحاجة إنسانية ، الإخلال بها إخلال بموازين العلم الصحيحة وبالأحكام الشرعية ، ويسبب نقصاً كبيراً في الدراسة وتشويهاً للوقائع التاريخية ، بل يسبب انحرافاً خطيراً في التفسير والفهم والسلوك تجاه الأحداث التاريخية . (ص ٥٠٧ ـ ٥١٢) .

وقد استفادت الدراسة الحالية من كثير من الأفكار الجيدة التي تضمنتها دراسة السلمي خصوصاً في الجوانب التالية :

ـ المنهجية في كتابة التاريخ ، خصائصها وغاياتها .

ـ معايير بناء المحتوى .

وهذه الجوانب من اهتمامات الدراسة الحالية ، ولكنها فيما يخص تاريخ التربية الذي هو فرع عن التاريخ العام ، ويظهر التميّز في ذلك أثناء المعالجة .

ثالثا : دراسة (علي خليل مصطفى أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م)

وهي عبارة عن بحث منشور في كتاب صغير الحجم يقع في ١١٥ صفحة ؛ يخص البحث منها ٧٣ صفحة والباقي يخص الهوامش ومكتبة البحث ، وقد حدد المؤلف مشكلة البحث في السؤال التالي :

« كيف يتم استخدام منهج البحث التاريخي بفاعلية في البحوث والدراسات التي تتناول تاريخ التربية الإسلامية في ماضيها القريب والبعيد على السواء ؟ »

وللإجابة على هذا التساؤل وما تفرع عنه من أسئلة استخدم المؤلف المنهج التحليلي الفلسفي وقسم البحث إلى الأقسام التالية :

القسم الأول : خصصه للمصطلحات الأساسية التي تفيد في فهم معنى المنهجية العلمية للبحث التاريخي مثل التاريخ ، وتاريخ التربية الإسلامية ، ومنهجية البحث التاريخي (ص ١٤ ـ ٢١) .

القسم الثاني : تحدث فيه المؤلف عن أهداف البحث التاريخي في التربية الإسلامية المتمثلة في التحليل ، والتجميع ، والتوضيح ، والتأصيل ، والتعليل ، وكشف مآلية الظاهرة التربوية (ص ٢٢ ـ ٣٣) .

القسم الثالث : تحدث فيه المؤلف عن أنماط البحث التاريخي في التربية الإسلامية مثل محور الزمان ، ومحور دراسة الموضوعات والأفكار ، ومحور دراسة الشخصيات ، ومحور دراسة المؤسسات (ص ٣٢ ـ ٣٨) .

القسم الرابع : تحدث فيه المؤلف عن شروط البحث التاريخي في التربية الإسلامية المتعلقة بالتصورات والمفاهيم ، والإجراءات المنهجية ، وأخلاقيات الباحث (ص ٣٩ ـ ٧٠) .

وختم المؤلف دراسته بعدد من التوصيات منها :

ـ الاهتمام بهذا المجال من دراسات التربية الإسلامية عبر وسائط البحث العلمي المتاحة مثل أقسام الدراسات العليا بكليات التربية .

- الاهتمام بالتخطيط العلمي القائم على الاستبصار الجيد بمشكلات الواقع التربوي لدراسة هذا التاريخ .
- الاهتمام باعداد الباحثين المؤهلين لدراسات جيدة في تاريخ التربية الإسلامية (ص٧٠ ـ ٧٣) .

والحقيقة أن هذه الدراسة تعتبرذات صلة قوية بالدراسة الحالية التي استفادت كثيرا مما حوته من أفكار ، وتقسيمات ، خاصة فيما يتعلق بالمفاهيم ، وأهداف البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، وشروط هذا البحث ، ومداخله ، وغير ذلك .

المجموعة الثانية : الدراسات التي تناولت موضوع التوجيه الإسلامي للعلوم ومنها :

أولاً : دراسة (محمد المبارك : نحو صياغة إسلامية لعلم الإجتماع ، ١٤٠٠ هـ =١٩٨٠ م)

وهي ضمن كتاب مطبوع عنوانه « **بين الثقافتين الغربية والإسلامية** » ، وقد قدّم المؤلف بين يدي تلك الدراسة بعض الأفكار التي يرى الباحث أنها ذات صلة بالدراسة الحالية ومنها :

- الخلفية العقائدية المشتركة بين فروع المعرفة والثقافة الغربية ـ كما يقول المؤلف ـ ؛ تمثلت في أن الوجود كله منحصر في الإنسان ، والطبيعة [الكون] ، وهو جزء منها ونوع من أنواعها ، وأن الطبيعة وجدت هكذا بنفسها ، وكذلك سننها ، وقوانينها ، فهي مُقدِّرة بنفسها من غير مقدر لها ، وأن العقل وحده طريق معرفة الحقائق ، وليس المثل الأخلاقية ، والقيم ، والمفاهيم الحقوقية ؛ إلا وقائع أو حوادث كالحوادث الطبيعية ، نشأت وتطورت فهي ليست ثابتة .. وليست النفس الإنسانية إلا مجموعة من الغرائز .
- هذه المفاهيم مبثوثة ومفرقة في مختلف العلوم التي تُعلّم في نظم التعليم السائدة في العالم الإسلامي ، ويتكوّن من مجموعها مركب فكري عقائدي يخالف الإسلام مخالفة جذرية ، وتكوّن أساساً يتجافى مع الإسلام .
- إن هذا النوع من الغزو أشد أنواعه فتكاً ، ولم تعرف الأمة الإسلامية في التاريخ كارثة أشد هولاً وأفظع في نتائجها من هذه المشكلة ، بل إن جميع المشكلات السياسية ، والاجتماعية ، والإقتصادية ، والتربوية فروع لهذه المشكلة الأساسية . (٦٩ ـ ٧٢) .

ـ إن حل هذه المشكلة ؛ ليس بطرد هذه العلوم وإيصاد الأبواب أمامها ، وهي في الأصل علوم للمسلمين فضل السبق في العمل بميادينها والتجديد فيها خلال التاريخ الإسلامي الطويل ، وللشعوب الإسلامية إسهام في تقدمها ، وإنما الحل الذي يمكن الأخذ به هو صياغة العلوم جميعها صياغة إسلامية ، والسير بها من منطلقات إسلامية ، أي بناؤها على التصور العام للوجود ، الذي يقدمه الإسلام والذي يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١ ـ « أن الإنسان ، والكون الذي يعيش فيه ليسا وحدهما في الوجود ؛ بل كلاهما يبتدىء من الله تعالى خلقاً ووجوداً ، وينتهيان إليه مصيراً ، وهو المهيمن عليهما .

٢ ـ الطبيعة لم تخلق نفسها ، ولم توجد بنفسها ؛ بل أوجدها الله تعالى وهي تسير على سنن مطردة ، وفق نظام مترابط الأجزاء ، والله الذي خلقها هو المقدِّر لسننها ونظامها .

٣ ـ العقل وحده ليس أداة الوصول إلى الحقيقة بل هناك طريق آخر هو الوحي ، ولكل منهما ميدانه واختصاصه ، فالعقل أداة للوصول إلى حقائق طبيعية وهو معرض مع ذلك للخطأ [ولا يستغني أبداً عن هداية الوحي وتسديده] ، والوحي أداة معرفة ما وراء الطبيعة [عالم الغيب وعالم الشهادة] .

٤ ـ الإنسان ليس مفكراً فحسب ؛ بل إن عناصر تكوينه تتجاوز ذلك فتزيد على العضوية والتفكير [روح ـ عقل ـ جسد] .

٥ ـ إن الله هو المشرِّع للإنسان ، كما قدر (سبحانه) للطبيعة سنناً ، وهو المجدد عن طريق الوحي المعالم الثابتة للأخلاق ، والحقوق ، والمجال مفسوح أمام الإنسان ، فيما وراء هذه المعالم الثابتة مما هو قابل للتغيير والتبدل .

٦ ـ النبوات منذ بداية خلق الانسان هي الصلة بين الإنسان وربه (سبحانه) لتزويده [أي الإنسان] بالقيم الثابتة ، وما ينبغي أن يعرفه من عالم الغيب ، وقد ختمت هذه النبوات بالرسول محمد بن عبد الله ﷺ ، وأنهيت سلسلة الرسالات السابقة المتفرقة في الشعوب برسالة خاتمة جامعة هي الإسلام الذي تبلغه ، وبلغه خاتم الرسل » . (ص ١٠٣ ـ ١٠٤) .

ـ ثم أورد المؤلف تحليلاً نقدياً لعلم الإجتماع الغربي في وضعه الحالي ، وموقف الإسلام منه ، ومنهج البحث فيه ، ليقرر ضرورة الاستفادة من جوانب علم الاجتماع النافعة ، وإعادة بنائه ، بناءً صحيحاً من منطلق التصور الإسلامي للوجود ، والإنسان ،

والمجتمع الإنساني ، واقترح بعض الأسس والقواعد المنهجية لعلم اجتماع جديد في اطار هذا التصور ، داعياً إلى تأليف الكتب فيه لتأخذ مكانها في إطار النظام الإسلامي للتعليم . (ص ١٠٤ ـ ١٣٧) .

وقد استفادت الدراسة الحالية مما له مساس بطبيعتها من تلك الأفكار مثل : التعريف بمنطلقات فروع المعرفة والثقافة الغربية التي غزت المجتمعات الإسلامية ، وكذا منطلقات التصور الإسلامي للوجود .

ثانيا : (داسة بشير التوم : تأصيل تربية المعلم ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م)

وهي عبارة عن كتيب مطبوع يقع في ٥١ صفحة ، وقد تمثلت الدراسة في ؛ تمهيد ثم نظرة لواقع تربية المعلم ، ودعوة لصياغة نظرية تربوية إسلامية ؛ قوامها خمس مواد تربوية ، لا بد من تأصيلها ومناقشة موضوعاتها على أساس إسلامي واضح ، وهي الأسس أو الأصول الإسلامية للتربية ، وفلسفة التربية ، وعلم الإجتماع التربوي ، وتاريخ التربية ، وعلم النفس التربوي .

وقد تضمنت الدراسة مجموعة من الأفكار التي تفيد الدراسة الحالية ويمكن عرضها على النحو التالي :

١ ـ « أن كافة أنواع العلوم لا بد أن توجهها العقيدة الإسلامية ، لأنها هي التي تحدد الهدف ، والمحتوى ، وتظهر القيم فيها بشكل واضح .

٢ ـ أن المواد التربوية المتداولة بين الطلاب ـ بالاضافة إلى ما فيها من قصور في (المنهج) ـ لا تنطلق من منطلقات إسلامية ، بل هي تنطلق من منطلقات المربين أصحاب المبادىء والأفكار غير الإسلامية ، أو المتعارضة مع الإسلام ، فتأتي المادة التربوية للطلاب متأثرة بهذه الأفكار ، بعيدة عن الإسلام ، وفي بعض الأحيان متعارضة معه ، ليس هذا فحسب ؛ بل لتأثرها الشديد بهذه الأفكار التي تنبثق من قيم متشابهة أحياناً ، ومختلفة ومتصارعة أحياناً أخرى ، تأتي مفككة لا رابط بينها ، صعبة الفهم متناقضة وكثيرة التكرار ، وأن هذا الوصف يكاد يشمل الكتب التي امتلأت بها المكتبات ، وهي مقررة على الطلاب .. » (ص ٦) .

٣ ـ عرض المؤلف نصوصاً من كتب تربوية مختلفة ، وقام بتحليلها ، وبيان ضررها الذي هو أكبر من نفعها (ص ٦) .

٤ ـ أكدت الدراسة على أن المادة التربوية التي تحملها الكتب المتداولة بين الطلاب المسلمين في معظمها ترجمة ، أو تعبير عن أفكار غير إسلامية ، وليس فيها تصور واضح لطبيعة كل فرع من فروع التربية ، وفيها تداخل ملحوظ وتكرار كثير (ص ٢١) .

٥ ـ عندما تحدث المؤلف عن تاريخ التربية قال :

« إذا كانت التربية الإسلامية ؛ تنطلق من مبدأ التوحيد ، الذي هو أساس عقيدة المسلمين وأساس حياتهم ، وكان هدفها تربية الإنسان الصالح ، والمجتمع الرائد ، وإذا كان التاريخ ليس هو الحوادث ، ولكنه تحقيق للحوادث ، ونظر فيها ، وتعليل وتفسير لها ، وأخذ للعظة وللعبرة منها . فإن تاريخ التربية في المجتمعات الإسلامية ؛ ينبغي أن يكتب ، ويدرس في ضوء هذا التصور للتربية والتاريخ ، لأن ذلك يدفعنا إلى أن :

نزن مناهج التربية ، وما حققته من أهداف تربوية للفرد والمجتمع ، وأن نقوّم أسباب الإزدهار والركود في كل فترة من فترات تاريخنا .

وأن نُرجع هذا لا إلى العوامل المادية الظاهرة التي لا يدرك غير المسلمين سواها فحسب ؛ بل إلى العوامل الروحية الإيمانية التي يعتبرها الإسلام ؛ القوة المؤثرة في حياة المسلمين في كل زمان ومكان .

وإذا كُتب تاريخ تربيتنا بمعزل عن هذا التصور ، فإنه يصبح مجموعة من الحقائق ، لا حياة فيها ، أو وصفاً جافاً للمؤسسات التعليمية ، أو يفسر تفسيراً يحيط به كثير من التشويه والتحريف .. » (ص ٤٣) .

وهكذا .. فإن المؤلف قد أشار إلى دلالات مختصرة ومركزة في تاريخ التربية ، وقد استفادت منها الدراسة الحالية في بعض جوانب التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

ثالثاً : (دراسة : عبد الرحمن صالح عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) :

وهي عبارة عن كتيب صغير الحجم مطبوع يقع في ٦٤ صفحة ، يتكون من مجموعة من العناوين الفرعية ، بدأها المؤلف بمقدمة موجزة عن ارتباط التربية بعقيدة المجتمع الذي تقوم فيه وحاجاته ، ثم ناقش قضية هل التربية علم قائم بذاته ، أم مأخوذ من علوم أخرى تسهم في تحسين العملية التربوية ؟ ورجّحَ الرأي القائل : بأن التربية ليست علماً قائماً بذاته بل هناك علوم أخرى ترفد التربية بما تحتاج إليه كعلم التاريخ ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع وغيرها .. ثم تحدّث المؤلف عن مفهوم العلم الشامل في

الإسلام وهو المرتبط بالله سبحانه وتعالى ، وأن كافة العلوم تلتقي في تحقيق غاية واحدة هي العبودية لله عز وجل ، بخلاف ما يراه علماء الغرب من اعتبار العلم طريقة للمعرفة تقوم على الملاحظة والتجريب فقط ، وعلى هذا الأساس ناقش المؤلف مفهوم العلم التربوي .. ثم تحدّث عن مدى الحاجة إلى العلوم التربوية مؤكداً أهميتها ، وإدراك المربين المسلمين لهذه الحقيقة ، وانتقل إلى الحديث عن واقع العلوم التربوية منطلقاً من النقد الأساسي الذي يوجه لها وهو أنها نشأت في بيئات جاهلية تؤمن بالعلمانية ، وتعتمد على علوم تتطاول على الدين ، وتحاول ايجاد تفسير لظاهرة التدين (ص٧ ــ ٢٩) ليصل بعد مناقشة هذه القضية إلى ضرورة التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية في الجوانب التالية :

١ ــ التوجيه الإسلامي للأهداف : وتحت هذا العنوان أكد المؤلف على « أن مجرد الإشارة إلى تلاحم أهداف العلوم التربوية مع الهدف العام للتربية لا يكفي إذا ما أريد توجيه تلك العلوم توجيهاً سديداً ، أي أنه لا بد من وجود توجيهات محددة لكل منها » (ص ٢٩) . ثم تحدث عن أهداف كل من علم النفس التربوي ، وعلم الاجتماع التربوي من المنظور الإسلامي ، منهياً حديثه في هذا الجانب بأهداف تاريخ التربية التي يرى أنها تدرك من خلال تأكيد الإسلام على استخلاص العبر من الأحداث التاريخية . وأن الهدف الأساسي من دراسة تاريخ التربية هو معرفة مدى قربها أو بعدها عما ينبغي أن تكون عليه .. (ص ٢٩ ــ ٣٢) .

٢ ــ التوجيه الإسلامي للمحتوى : وفيه قدم المؤلف المعايير الآتية :

أ ــ أن تكون الموضوعات التي تناقش ذات صلة بالتربية وبما يفيد [المعلم] عند أداء واجبه في المدرسة والمجتمع .

ب ــ إعادة النظر فيما كُتب في العلوم التربوية الغربية على أن يستفاد مما يتمشى مع المباديء الإسلامية ويحذف ما يتعارض معها ..

جـ ــ أن يقوم علماء التربية في العالم الإسلامي بإضافات جديدة كل في ميدان تخصصه .

د ـ أن يتصف العالم المسلم الذي يتصدى للكتابة في أي من العلوم التربوية بصفات العالم المسلم .

هـ ـ يجب أن يكون المحتوى خالياً من المصطلحات ، والكلمات الأجنبية [التي لا مبرر لاستخدامها] . (ص ٣٣ ـ ٣٥) .

٣ ـ التوجيه الإسلامي للطريقة : وفيه حدد المؤلف المعايير الآتية :

(أ) المساهمة في تحقيق بناء الشخصية الإسلامية المتزنة .

(ب) الشمول ؛ بأن يعكس محتوى العلوم التربوية مختلف الطرائق المستخدمة في اكتساب المعرفة .

(جـ) الموازنة بين الجانب النظري ، والجانب التطبيقي . (ص ٣٦ ـ ٣٨) .

٤ ـ التوجيه الإسلامي للتقويم في كتابات التربويين ، وأبرز فيه المؤلف المعايير التالية :

(أ) التزام العالم بما يدعو إليه من مبادىء في ميدان تخصصه بصفة خاصة ، وقواعد السلوك الإنساني التي دعا إليها الإسلام بصفة عامة .

(ب) المؤلفات التربوية يجب أن تنمي لدى الدارسين القدرة على التقويم .

(جـ) المؤلفات في العلوم التربوية الإسلامية ينبغي أن ترشد الدارسين إلى المؤلفات التي تنطلق من منطلقات إسلامية . (ص ٣٩ ـ ٤١) .

٥ ـ التوجيه الإسلامي للمنهجية : وفيه أوضح المؤلف أن التوجيهات الإسلامية لمناهج البحث في ميدان التربية يمكن تلخيصها في نقاط منها :

(أ) تعدد المناهج المستخدمة في الميدان التربوي ، وأن باستطاعة العلوم التربوية استخدام المنهج التاريخي ، والمنهج التحليلي ، والمنهج التجريبي وغيرها من المناهج كلاً في المجال الذي يصلح له .

(ب) عدم الاكتفاء بالأرقام ؛ بمعنى أن الكم وحده لا يكفي ، وأن التربية يجب أن تُعنى بالجودة في الوقت الذي تُعنى فيه بالعدد .

(جـ) الالتزام بالقيم الإسلامية عند البحث ، وأهمية ذلك في اختيار الموضوعات التي تُبحث ، والحكم على الظواهر التي تُدرس . (٤٢ ـ ٤٧) .

ومن خلال هذا العرض تتضح الصلة المباشرة لهذه الدراسة بالدراسة الحالية ، غير أن تلك الدراسة جاءت في صورة إشارات موجزة حول الدعوة لتوجيه العلوم التربوية عامة لكي ينبثق كل علم منها عن التصور الإسلامي الصحيح ، واستفادت منها الدراسة الحالية التي هي أكثر تحديداً للموضوع ، وعمقاً في المعالجة ، إذ أن موضوعها واحد من العلوم التربوية ؛ وهو تاريخ التربية ، والتركيز على توجيهه توجيهاً إسلامياً في أبعاد ثلاثة هي : الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة التي يعرض بها المحتوى .

رابعاً : دراسة (محمد جميل خياط : الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م)

وهي عبارة عن بحث منشور في كتاب سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ويركز موضوع الدراسة على واقع الكتب الجامعية التي كُتب معظمها من قبل أساتذة مسلمين إلا أن محتواها لا يخدم الفكر الإسلامي ، ولا يحقق أهداف التربية الإسلامية .

« ففي أنحاء عديدة من العالم الإسلامي ، ولا سيما في الأقطار التي عمت فيها أساليب التربية الغربية الحديثة نجد الكتب العربية المقررة إما غربية أو أنها مشتقة من كتب الغربيين ، ونتيجة لذلك نجد أن الجيل الإسلامي الجديد يجهل حقائق الإسلام وتعاليمه الروحية والفكرية جهلاً تاماً ، الأمر الذي جعله يفقد كل وسيلة من وسائل الدفاع ضد التيارات العصرية التي يتعرض لها الإسلام من كل صوب » (ص ٨) .

وجاءت تلك الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على ما يلي (ص ٩) :

١ ـ أهمية الكتاب الجامعي ودوره في بناء الشخصية الإسلامية .

٢ ـ تصوير الواقع المأساوي للكتاب الجامعي في جامعاتنا العربية والإسلامية .

ومن أبرز الأفكار التي تضمنتها هذه الدراسة ، وقد استفادت منها الدراسة الحالية ما يلي :

١ ـ الدعوة إلى توجيه المعرفة بكل فروعها ، حيث أن مصدر كل العلوم التي تبحث في (توحيد) الله ، وفي الإنسان ، وفي الكون المحيط به هو كتاب الله سبحانه وتعالى ،

وسنة رسوله المصطفى ﷺ .. ووجوب الحرص في اختيار الكتب التي تقدم إلى شباب المجتمع المسلم ؛ بأن تكون من الكتب التي تجعله على بصيرة بحقائق الإسلام الروحية والفكرية . والتي تقرأ العلوم في ضوء القرآن الكريم ، فترفض ما يخالفه وترد عليه ، وتقبل ما يؤيده ويسايره ، بتوجيهات الرسول ﷺ (**انظر : ص ١٠**) وليس للتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية معنى إلا هذا .

٢ ـ وصف واقع الكتاب الجامعي في العالم الإسلامي مع إلتفاتة لتاريخ تطوره ، وما كان يتسم به من موسوعية ، والعوامل التي تمنع جذب الشباب لقراءة كتب التراث رغم ما تحويه من كنوز ، وما يمر به الكتاب الإسلامي في العصر الحاضر من مشكلات ، إذ « الكتب المقررة في كثير من الجامعات في عالمنا العربي والإسلامي لا سيما في كليات العلوم الإنسانية معظمها بعيد عن روح الإسلام وعن الثقافة الإسلامية هذا إن لم يكن بعضها يحمل أفكاراً مخالفة لما جاء به الإسلام » (**ص ٢٣**) .

٣ ـ أن بعض الكتب التي تحمل عناوين إسلامية تستشهد أحياناً بأحاديث ضعيفة ، وتنسب بعض الأقوال المأثورة إلى الحديث النبوي ، وهذا يحدث تعمداً من الكتّاب غير المسلمين بقصد التشويه والمغالطة . ويوجد الكثير من الكتب في ظاهرها أنها إسلامية ، ولكن في حقيقتها دس ، ومكر ، وتشويه للإسلام والمسلمين (**ص ٢٤**) .

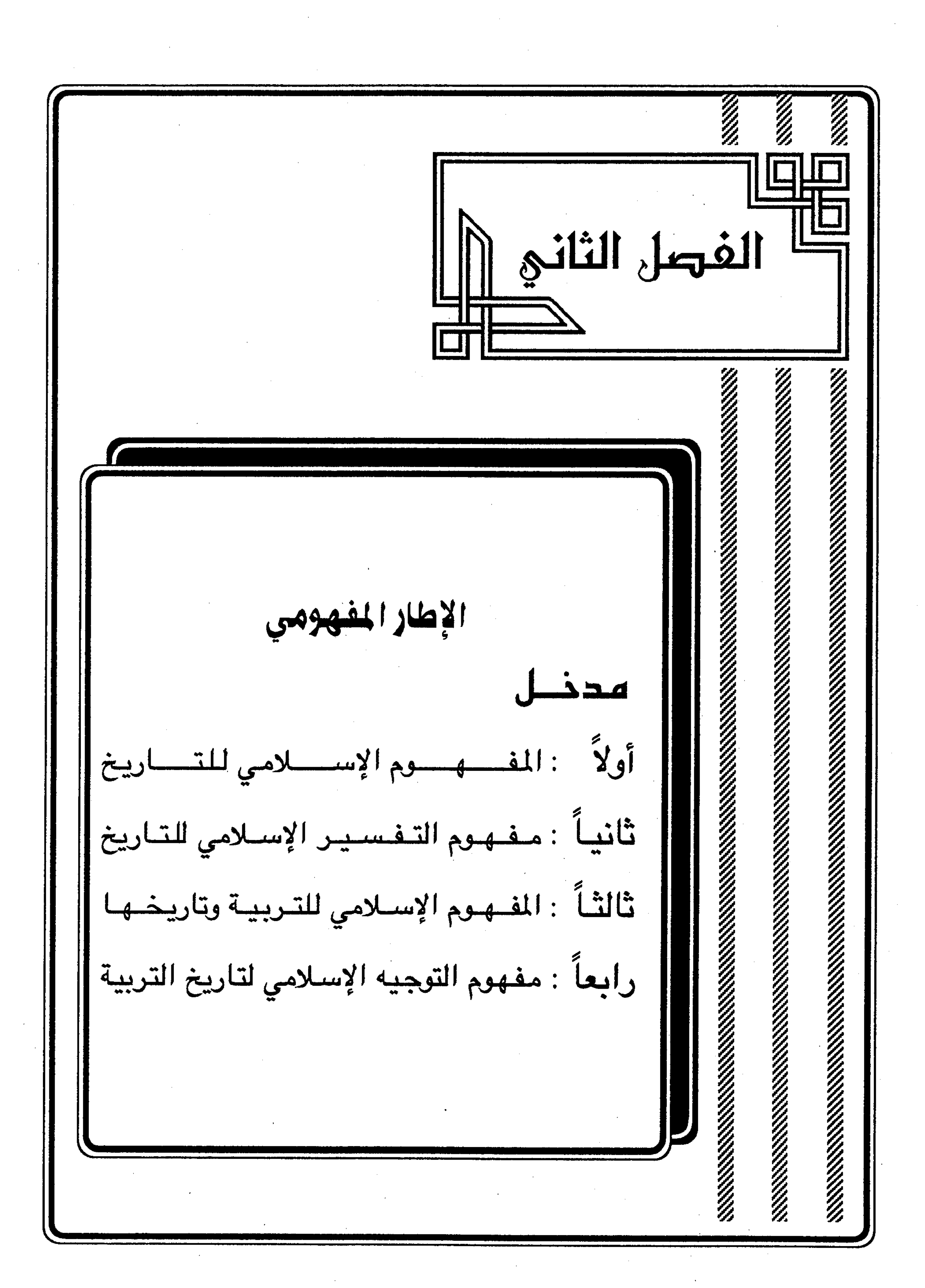
٤ ـ المواصفات المطلوبة في الكتاب الجامعي ، في مقدمتها خدمة أهداف التربية الإسلامية وعلى رأسها تعزيز الإيمان بالله سبحانه وتعالى في نفوس الدارسين وبناء الشخصية الإسلامية المتزنة ، وأن تكون المادة المكتوبة نابعة من الفكر الإسلامي ، ومتمشية من حيث المبدأ مع التوجيهات الواردة في الكتاب والسنة ، وألا يحوي الكتاب بين صفحاته أفكاراً هدامة أو مناوئة للإسلام والمسلمين .

٥ ـ التحذير من خطورة الاعتماد على الكتاب الغربي لأنه أحد أساليب الغزو الفكري الذي يشنه أعداء الإسلام ؛ من أجل تشويه الإسلام وحياة المسلمين في مختلف جوانبها .

وهكذا تتضح علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية من حيث التعرف على واقع الكتاب التربوي في المجتمعات الإسلامية ، وضرورة الاهتمام بتوجيهه ، وقد استفادت من المعايير التي قدمتها تلك الدراسة لمحتوى الكتاب .

وخلاصة القول : أن الدراسة الحالية قد أفادت من الكتابات والدراسات السابقة بشكل أو بآخر ـ كما تقدم بيانه ـ مع تركيزها على الهدف الأساسي لها وهو محاولة اعطاء تصور واضح عن التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، واقتراح بعض المعايير لأهم أبعاده التي اقتصرت عليها هذه الدراسة وهي الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة ، إضافة إلى تقديم رؤية نقدية ـ في ضوء التوجيه الإسلامي ـ لنموذج واحد مما كتب عن تاريخ التربية باللغة العربية .

ولكي تصل الدراسة إلى تحقيق أهدافها ، جاءت في ستة فصول وخاتمة كما يتضح من قائمة المحتويات والله ولي التوفيق .



الفصل الثاني

الإطار المفهومي

مدخل

أولاً : المفهوم الإسلامي للتاريخ

ثانياً : مفهوم التفسير الإسلامي للتاريخ

ثالثاً : المفهوم الإسلامي للتربية وتاريخها

رابعاً : مفهوم التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية

الفصل الثاني

الإطار المفهومي

مدخل :

تشهد الساحة الإسلامية في المجال الفكري ـ ومنه مجال التربية ـ بعض الفوضى في المفاهيم والمصطلحات ؛ فهناك مصطلحات محدثة يستخدمها بعض الكتّاب نابذين خلفهم المصطلحات الإسلامية ، وبعضهم يستتر بباطله خلف المصطلحات الإسلامية لتزيين الباطل وترويجه بين الناس ، وآخرون يرفضون جميع المصطلحات المحدثة ولو كانت ذات معنى صحيح .

والمفاهيم المجملة اصطلاحات تحمل حقاً وباطلاً ، وتشتمل على صواب وخطأ ، وعدم تحديدها يكون سبباً في وقوع الخلاف والشقاق .. إذ « أصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة ، ولا سيما إذا صادفت أذهاناً مخبطة ، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب » (**ابن القيم : مختصر الصواعق ، ٣ / ٩٢٧**) ، كما أن تحديد المصطلحات وتوضيح مدلولاتها يساعد على إزالة الإشكال في الفهم ، ويؤدي إلى حسن الظن بالآخرين ، والوصول إلى الحق ، وتضييق دائرة الخلاف ، ويغلق الباب أمام سيل جارف من الشرور والفساد ، ويحول دون تسلل الأعداء وأصحاب الأهواء إلى الساحة لترويج أباطيلهم .

والمفاهيم في الإسلام لها قيمتها البالغة في ذاتها ، وقد نبهت النصوص الشرعية إلى ذلك في غير ما موضع ؛ من أجل أن توزن قضايا الإسلام وتضبط بالمصطلحات الربانية المنضبطة في ذاتها ، ومن خلال منظومتها المتكاملة ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٠٤) وفي ضوء هذا التوجيه الرباني تتبين أهمية قضية المصطلحات ، وضرورة الاهتمام بها ، حيث نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن التشبه بالكافرين قولاً وعملاً ، وقد نزلت هذه الآية في اليهود ـ لعنهم الله ـ الذين

كانوا يورّون في كلامهم متنقصين رسول الله ﷺ ، وتفيد كلمة (راعنا) في كلام اليهود سبًّا قبيحاً ، ففطن بها سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وكان عارفاً بلغة اليهود ، وقال : يا أعداء الله عليكم لعنة الله ، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه (**الواحدي : أسباب النزول ، ص ٢٩**) .

ونظير ذلك من كلام رسول الله ﷺ قوله : « لا يقولن أحدكم خَبُثَتْ نفسي ، ولكن ليقل لَقِسَتْ نفسي » (**مسلم : صحيح مسلم ، ٤ / ١٧٦٥**) هذا مع شدة تقارب المعنى في كلا المصطلحين ؛ إلا أن الإيحاء يلعب دوره في جَرْسِ الكلمة ورواسبها النفسية بل « قال أبو عبيدة وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم : لقست وخبثت بمعنى واحد ، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم ، وعلّمهم [ﷺ] الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها ، قالوا ومعنى لقست : غثت ، وقال ابن الأعرابي معناه ضاقت » (**النووي : شرح صحيح مسلم ، ١٥ / ٨**) .

وعليه فإن من « المقومات الأساسية لأي علم من العلوم ؛ اتفاق المشتغلين به حول المصطلحات والمفاهيم التي يستخدمها في وصف وتفسير الظواهر .. والحقائق التي تدخل في نطاق تخصصهم العلمي » (**تركي وآخرون : مفاهيم أساسية في التربية ، ص ١٩**) .

والوعي بهذه الحقيقة يحمل الباحثين في العلوم المختلفة على تحديد مدلولات الألفاظ والمصطلحات التي يشيع استخدامها في كتاباتهم وأحاديثهم ، خاصة أن المفاهيم تعتبر من أساسيات المعرفة(١)، واهمالهم لتحديد تلك المفاهيم أمر يفضي إلى غياب الدقة والموضوعية في الأبحاث ونتائجها ، ويترتب عليه فتح الباب أمام غير المتخصصين إلى الخوض فيما يهتم به أولئك الباحثون من قضايا وحقائق .. بل ويجعلها عرضة للتحريف والتشويه .

---

(١) أساسيات المعرفة تتمثل في : المبادىء ، والقيم ، والمفاهيم ، والمعارف ، والمهارات (**العبيدي وآخر : أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق ، ص ٣٩**) .

وسيادة المفاهيم والتصورات الإسلامية تعتبر جزءاً مهماً من بناء التوجيه الإسلامي لمختلف العلوم في زمن انغمس فيه الكثير من المسلمين في تبعية فكرية وثقافية خطيرة جاءت على جميع المجالات الثقافية عامة ، والتربوية والتعليمية على وجه الخصوص ، فأفقدت العالم الإسلامي الثقة بنفسه ، وأورثته جهل ذاته وأصالته ، وقد أثبت التاريخ أن العبودية الفكرية والحضارية والتربوية أدهى وأمر وأعمق وأرسخ من العبودية السياسية (**الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص ٢١٣**) .

وتبرز أهمية سيادة المفاهيم الإسلامية ، وضرورتها للمساهمة في توجيه العلوم التربوية ومنها تاريخ التربية في كون مصدر تلك المفاهيم والتصورات في كل مجالات الحياة ـ ومنها مجال التربية ـ هو ما شرع الله تعالى لعباده في كتابه ، وعلى سنة رسوله محمد ﷺ ، وما تضمناه من منهج رباني ينظم علاقة الإنسان بربه عز وجل ، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان ، بل علاقته بالكون المحيط به كله ؛ ذلك أن « المصطلح كما حدده الشارع ، يرتبط به العديد من المسائل المنصوصة الخاصة به ، وهدم المصطلح كفيل بإثارة الارتباك في المسائل المتعلقة به ، فضلاً عن أنه لا يحل العدول عن الإسم الذي سماه الله تعالى ، أو رسوله ﷺ ـ أي الاسم الشرعي ـ إلى بديل له وضعي ، حتى لو ظننا موافقته لمعناه .. » (**سلطان : غزو من الداخل ، ص ٤٨**) .

وقد أثبت المنهج الإسلامي فعاليته في مجال التربية وغيرها من مجالات الحياة ، وتربى به جيل فريد في التاريخ من ناحية الخصائص والصفات والقدرات والفعاليات هم جيل الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن سار على ذلك المنهج في العصور الإسلامية ، وذلك الجيل هو المقصود في المقام الأول بتزكية الحق تبارك وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

وعليه فلا بد من سيادة المفاهيم والتصورات الإسلامية في الكتابات التربوية ، وفي عالم الواقع لتؤدي ثمارها من جديد في تنشئة أجيال الأمة المسلمة التائهة في عالم امتلأ بالأفكار والمفاهيم والتصورات الهدامة والمباديء الضالة .

إضافة إلى الحاجة الماسَّة لإحداث التغيير الإسلامي في النفوس بعد ما ران عليها من تصورات ومفاهيم فاسدة ، أفسدت الفكر والسلوك ، وانحرفت بالمناهج عن تحقيق الأهداف السامية ، فانحسر الإسلام ــ بوجه عام ــ عن توجيه حياة المجتمعات الإسلامية ، ولذا فقد صار لزاماً على علماء الأمة أن يعملوا على غرس التصورات والمفاهيم الإسلامية في النفوس ، وأن يقيموا عليها بنيان الأفكار والكتابات ؛ لتصلح ما أفسدته الأفكار والنظريات الوافدة ، والمفاهيم المنحرفة الحاقدة التي تكيد للإسلام وأهله وتتربص بهم الدوائر ، وقد برزت آثار ذلك في كثير مما يتلقاه أبناء المسلمين ــ اليوم ــ من علوم ودراسات تربوية انطلقت من منطلقات وتصورات تخالف منطلقات الإسلام وتصوراته ومفاهيمه ؛ الأمر الذي يتوجب معه توجيه ما يُقَدَّم لأجيال المسلمين الناشئة من علوم ومعارف ــ تربوية وغيرها ــ توجيهاً إسلامياً وفق مفاهيم الإسلام ، ومن منطلقاته ، في ضوء عقيدته الصحيحة النقية .

ويرمي هذا الفصل إلى عرض مفصل للمفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه الدراسة ، والتي وردت أصولها في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والفكر الإسلامي المنبثق من تلك الأصول ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : المفهوم الإسلامي للتاريخ :

(أ) معاني التاريخ في اللغة العربية :

يدل لفظ التاريخ في اللغة على معان متفاوتة ، فتأتي كلمة « التاريخ » و « التأريخ» و « التوريخ » بمعنى الإعلام بالوقت ، وتاريخ شيء من الأشياء ما يدل على وقته الذي ينتهي إليه مضافاً إليه ما وقع خلال هذا الوقت من الوقائع (**الصولي : أدب الكاتب ، ص ١٧٨**) .

وقال (**الجوهري**) في (**الصحاح**) : « التاريخ : تعريف الوقت ، والتوريخ مثله . يقال : أرَّخت الكتاب بيوم كذا ، وورّخته، بمعنى واحد» (**مادة أرخ ، ١/ ٤٢٨**) .

والتاريخ لفظ عربي أصيل بدليل أن الأصمعي قد فرّق بين الكلمتين فقال : « بنو تميم يقولون : وَرَّخْتُ الكتاب توريخاً ، وقيس تقول : أرّخته تأريخاً » (**السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ١٩**) . ومعلوم أن تميماً وقيساً قبيلتان عربيتان ، وأهل البيت أدرى بما فيه ـ كما يقول المثل العربي ـ وفي هذا ردّ على مَنْ قال : إن لفظ التاريخ ليس عربياً محضاً ، بل هو معرّب أخذ من الفارسية .. (**البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٩ ، ٣٠**) .

وأما ما أورده (**ابن منظور**) في (**لسان العرب**) من « أن التاريخ الذي يورخه الناس ليس بعربي محض ، وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب ، وتاريخ المسلمين أُرِّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ﷺ كُتب في خلافة عمر [رضي الله عنه] فصار تاريخاً إلى اليوم ، والتاريخ على العموم يعني التوقيت ؛ أي تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها » (**٤٤/١**) ؛ فإن هذا يدل على أن المسلمين أخذوا عن أهل الكتاب فكرة التقويم ، بل إن المسلمين في العصور المتأخرة لم يعتنوا إن لم يقال : أهملوا الأخذ بالتقويم الهجري واعتمدوا على التقويم الميلادي ، علما بأن الكاتب والمؤرخ المسلم ينبغي عليه إذا احتاج إلى ذكر التاريخ الميلادي أن يجعله مقترناً بالتاريخ الهجري ، وهذا نوع من أنواع التوجيه الإسلامي ينمي لدى المسلمين الحسّ التاريخي

الإسلامي ، وحتى لا ينسوا الموقف الحاسم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما عُرض عليه اقتراح العمل بتقويم العجم ، والفرس ، وتقاويم أخرى فرفضها قائلاً : « أرخّوا من هجرة الرسول ﷺ فإن مهاجره فرّق بين الحق والباطل » (**ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص٥١**) فاستقر رأي المسلمين على التقويم الهجري ، وهذا ما ينبغي عودة المسلمين إليه اليوم واعتماده في كافة معاملاتهم ، بدلاً من استعارة كثير منهم للتاريخ الميلادي .

(ب) معنى التاريخ في إصطلاح العلماء :

اختلفت عبارات العلماء المسلمين في تحديد التعريف الاصطلاحي للتاريخ ، ولعل مرد ذلك الاختلاف هو كثرة وتنوع الموضوعات التي تدخل في مفهوم التاريخ وفيما يلي استعراض موجز لعدد من تلك المفاهيم :

* لم يدون مؤرخو القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية تعريفاً كاملاً ومحدداً للتاريخ ، وكانوا يكتفون بذكر فوائد التاريخ وأغراضه فمثلاً : (**ابن خياط**) يقول في نعت كتابه (**تاريخ خليفة بن خياط**) : « هذا كتاب التاريخ ، وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم ، وانقضاء عدة نسائهم ، قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .. ﴾ (البقرة : ١٨٩) » ، (**ص ٤٩**) .

* ومثل هذا قاله (**الطبري**) في (**تاريخه**) : « ليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي افترضها الله عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم وحين حلّ ديونهم وحقوقهم .. » (**١ / ١٢**) .

* **أما المقريزي** فقد عرّف التاريخ ببيان موضوعه فقال : «إن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً ، لما يحويه من الموعظ

والانذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها ، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولوا النهي » (**كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ١/٢**) .

* ولعل تعريف (**ابن خلدون**) في (**مقدمته**) للتاريخ : من أشمل المفاهيم التي قدمها علماء المسلمين المتقدمين ـ استنباطاً من الكتاب والسنة ـ لهذا المصطلح فهو يقول :

« اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياساتهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا . فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلاّت والمغاليط .. » . (**ص ٩**) . بل وصفه قبل ذلك بأنه « في باطنه نظر وتحقيق

وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق . وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق ..» (**المرجع السابق ، ص ٤**) .

* ويصف (**زاده**) في كتابه (**مفتاح السعادة**) علم التاريخ بقوله :

« هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم ، وعاداتهم ، وصنائع أشخاصهم ، وأنسابهم ، ووفياتهم ، إلى غير ذلك . وموضوعه : أحوال الأشخاص الماضية ؛ من الأنبياء والأولياء ، والعلماء والحكماء والشعراء ، والملوك والسلاطين وغيرهم .

والغرض منه : الوقوف على الأحوال الماضية ، وفائدته : العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب ، بالوقوف على تقلبات الزمن ، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ، ويستجلب نظائرها من المنافع ، وهذا العلم كما قيل : عمر آخر للناظرين ، والانتفاع في مصره بمنافع تحصل للمسافرين » (**١/٢٣١**) .

* أما (**السخاوي**) فيرى أن التاريخ : « فن يبحث فيه عن وقائع الزمان لا من حيث التعيين والتوقيت ، بل عما كان في العالم ، وموضوعه : الإنسان والزمان ، ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان ، وأما فائدته : فمعرفة الأمور على وجهها » (**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ٢١**) .

وحديثاً نظر الباحثون إلى علم التاريخ في ضوء التقدم العلمي ، وتطور البحث في مناهج العلوم فاختلفت تعاريفهم له :

فمنهم من ينظر إلى التاريخ على أنه فن تسجيل الأحداث (**محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمي ، ص ١٣٩**) .

ومنهم من يرى أن التاريخ يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله ، بما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان .(**عثمان : منهج البحث التاريخي ، ص ١**) (١) .

ومنهم من ينظر إلى التاريخ على أنه علم ، بمعنى المفهوم الشامل للعلم (**باقر و آخر : طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، ص ١١**) .

ويؤكد(**محمود قاسم**) في كتابه (**المنطق الحديث و مناهج البحث**) على أن النظرة السائدة عن التاريخ هي أنه علم له أصوله ومناهجه رغم الخلط بين فنيّة التاريخ وعلميته وذلك له اعتباراته ، فكثير ما يحصر معنى العلم في العلم التجريبي فقط رغم ضيق هذا المعنى ، واجحافه على كثير من العلوم ، فالعلم أكبر من هذا المعنى وأشمل ، ومناهجه متنوعة ومختلفة . ومن المناهج التي يستخدمها المؤرخ المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على التحليل والتركيب الفعليين ، ولهذا فإن التاريخ علم له فروعه الكثيرة ومناهجه المتعددة . (**ص ٤١٥ ــ ٤٦١**) .

ومفهوم التاريخ المبني على النظرة المادية يغفل الجوانب الروحية والأخلاقية ويؤكد على أن التاريخ هو معرفة الأحداث التاريخية المتعلقة بالبلاد والعادات والمؤسسات السياسية وغيرها من الأمور الحسية فهذا هرنشو ـ كغيره ـ يؤكد على الجوانب الحسية، ومايمكن إدراكه بالحواس ، أو ملاحظته عن طريق التجربة إذ يقول :

« إنه على الرغم من أننا لا يمكننا أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية ثابتة على غرار ما هو كائن في العلوم الطبيعية .. فالتاريخ ليس علم

---

(١) يَهِمُ من يجعل الأرض كوكباً ، إذ أخبر الباري عز وجل عن الكواكب أنها تتناثر وتتساقط يوم القيامة فقال سبحانه : (وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ) (الانفطار : ٢) ، وغيرها من الآيات ، أما الأرض فقد أخبر عنها تعالى بأنها تُبدّل فقال سبحانه : (يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ..) (إبراهيم : ٤٨) والله أعلم وأحكم .

تجربة واختبار ولكنه علم نقد وتحقيق ، وأن أقرب العلوم التطبيقية شبهاً به هو علم الجيولوجيا ، فكل من الجيولوجي والمؤرخ يدرس آثار الماضي ومخلفاته ، لكي يستخلص ما يمكن استخلاصه عن الماضي والحاضر على السواء ، ويزيد عمل المؤرخ عن عمل الجيولوجي من حيث اضطرار المؤرخ إلى أن يدرس ويفسر العامل البشري الإرادي الانفعالي حتى يقترب بقدر المستطاع من الحقائق التاريخية » (**عثمان : منهج البحث التاريخي ، ص ١٧**) .

وهكذا تستبعد النظرة المادية لمفهوم التاريخ قضاء الله وقدره ومشيئته النافذة التي لا تهمل اختيار الإنسان وإرادته الحرة داخل نطاق المشيئة الإلهية ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير : ٢٩) . ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً ﴾ (الكهف : ٢٣ ، ٢٤) ، بل إن تلك النظرة المادية تركز على إرادة الإنسان المجردة ، وانفعالاته مشبهة إياه بالهياكل العظيمة والحفريات والآثار في علم الجيولوجيا ، مغفلة النظر لحقيقة الإنسان وعلاقته بالخالق سبحانه ، وعلاقة الانسان بأخيه الإنسان ، وبالكون المحيط به ، وغير ذلك من الأمور المهمة التي يركز عليها الإسلام مجتمعة في نظرته الشاملة والمتوازنة للمفاهيم والمصطلحات ، وقد تبين من خلال تلك النماذج المختلفة لمفهوم التاريخ في الإصطلاح تميز نظرة المؤرخين المسلمين إلى التاريخ لأنها مبنية على فهمهم لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؛ من الآيات ، والأحاديث المتضمنة للأوامر ، والنواهي ، والقيم ، إضافة إلى قصص وأخبار الأولين ، والماضين ، والدعوة إلى دراسة أحوالهم والتفكير فيها ، وأخذ العبرة منها .

مفهوم التاريخ في الإسلام

لم ترد لفظة « تاريخ » في القرآن الكريم وروداً صريحاً ، ولكن ثمة ألفاظ أخرى جاءت في القرآن تشير إلى مضمون التاريخ ومحتوياته ، وتحمل في طياتها إضافات ذات بال تنبع من التصور القرآني للكون وللإنسان وتضفي على التاريخ لوناً خاصاً له مقولاته الخاصة ، وملامحه المتميزة .

فلقـد استعمـل القرآن الكريـم لفظـة « أنبـاء » ومفردهـا « نبأ » ولفظـة « القصص » لتكون كلتاهما وعاءً لمجموعة من القضايا ذات الأهمية في معنى التاريخ ودلالته ، قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ (آل عمران :٤٤) وكان ذلك في سياق ذكره تعالى لقصة مريم ، وزكريا . وقال تعالى في خاتمة (سورة يوسف :١١١) ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَابِ. مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يؤمنون ﴾ . وقـال النبي ﷺ في قصة مـوسى عليه السلام مع الخضر : « وددنا أنّ موسى كـانَ صَبَرَ حتى يقُصَّ ٱلـلَّهُ علينا من خبرهما » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٤ / ١٧٥٤**) . هكذا تضمنت الآيتان ا لقرآنية ، والحديث النبوي الشريف التعبير عن طرف من التاريخ بلفظتي : الأنباء ، والقصص .

كمـا أطلق القـرآن الكريم ، والسنة النبـوية على مـادة التـاريخ اسم « أيام الله » كقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ.. ﴾ (آل عمران : ١٤٠) ، فقد أخبر تعالى على سبيل التسلية أن الأيام على قديم الدهر لا تبقي للناس على حالة واحدة ، والمراد بالأيام أوقات الغلبة والظفر يصرِّفها الله على ما أراده تارة لهؤلاء ، وتارة لهؤلاء .. (**ابن حيـان : البحـر المحيـط ، ٣/٦٢ ، ٦٣**) ، وقال (**القرطبي**) في كتابه (**الجامع لأحكام القرآن**) : هذا في الحرب تكون مرة للمؤمنين لينصر الله دينه، ومرة للكافرين إذاعصى المؤمـنون ليبتليهم وليُمَحِّصَ ذنوبهم ، فإذا لم يعصوا فإن حزب اللـه هـم الغالبون .. وقيل : « نداولها بين الناس » من فَرَج وغَمّ وصحّة وسُقَم وغنىً وفقر . والدُّولةُ : الكرّة ؛ قال الشاعر :

فيومٌ لنا ويوم علينا   ويوم نُسَاءُ ويومُ نُسَرّ (٤ / ٢١٨) .

والأيام يُعبر بها عن الوقائع والأحداث ، كما في قوله تعـالى : ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس :١٠٢ ، ١٠٣) ، يقول : « الذين خلوا » : مضوا ، « من قبلهم » : من مكذبي

الأمم ، قال قتادة : يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود ، والعرب تسمي العذاب أياماً ، والنعيم أياماً ، كقوله تعالى : ﴿ ..وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّهِ .. ﴾ (إبراهيم :٥) ، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام .. » (١٥٤/٤) وفي هذا المعنى جاء قول الرسول ﷺ : « إِنَّ بين يدي السَّاعةِ لأياماً .. » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٦ / ٢٥٩٠)** . فتلك الأيام تمر على ا لناس بما فيها من خير وشر قبل قيام الساعة .

إن مصطلح التاريخ في النظرة الإسلامية يعني مجموعة الأحداث التي وقعت في الماضي ، والتي تقع حالياً ، ثم العناية بدراستها في ضوء هدي الله تعالى ومنهجه الذي ارتضاه لعباده ؛ إذ التاريخ ليس ماضياً فحسب ، ولكنه حاضر ومستقبل أيضاً يجري الزمن في حلقاته الثلاث مجرى الدم من الجسم ، وهو مخزن الحوادث والمعنيٌّ بها (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ١٤**) .

كما أن حركة البشر في التاريخ لا تأتي اعتباطية ، وإنما تأتي مسئولة مسئولية كاملة ، بحيث ينتفي العبث ، وعدم الجدوى ، إذ أن الحرية البشرية تتحرك من الشكل المتميع إلى العمل المدرك المخطط الذي يقف به الإنسان مسئولاً أمام الله عز وجل ، وأمام العالم ؛ من أجل تحقيق الإِعْمَارِ والتقدّم . ولكنه الإِعْمَار والتقدّم المرتبط بالخالق المدبر سبحانه الذي وجّه الإنسان إلى الهدف من خلقه وأنه لم يخلقه عبثاً فقال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون : ١١٥) ؛ « أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ، ولا حكمة لنا .. وقيل في تفسيرها ـ أيضاً ـ أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب [عليها] ، وإنما خلقناكم للعبادة ، وإقامة أوامر الله .. » (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٢٧٢**) .

وعليه فإن المفهوم الإسلامي للتاريخ يقوم أساساً على وجود الله تعالى يوجه كل شيء : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٤) ، وهو القائل سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ.. ﴾ (هود : ١٢٣) ، كما يقوم هذا المفهوم على أن للإنسان حرية الاختيار في أعماله ، وتلك الحرية

مستتبعة بالمسئولية ؛ إذ كل إنسان مسئول عن أعماله ، ومحاسب عليها كما قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (الإسراء : ١٣ ، ١٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (الصافات : ٢٤) أي محاسبون ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، أي محاسب صاحبه عنه ، وهذه الأسس تؤكد أن نظرة الإسلام إلى التاريخ نظرة كلية ، لا ترتبط بزمان ولا مكان ـ في كثير من الأحيان ـ وهي نظرة منبثقة من نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة التي أبرزت بشكل واضح دور الإنسان ، الذي جعله الله عز وجل خليفة في الأرض ، وأعطاه حرية منضبطة يعمل بها في حدود معينة ليتمكن من تحقيق هدف الخلق وهو العبودية الكاملة الشاملة الخالصة لله تبارك وتعالى القائل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) ، والتي على أساسها يقوم المجتمع المسلم الصالح المصلح الذي يهتم بماضيه وحاضره ومستقبله ، في ضوء سنن ا لله تعالى التي لا تحويل لها ولا تبديل ، والتي تسير تسييراً سببياً منظماً ، خالياً من الاعتباط ، حتمياً ، ولكن في نطاق مشيئة الله تعالى وقدرته ، وفي نطاق قضائه وقدره .

ثانياً : مفهوم التفسير الإسلامي للتاريخ :

(أ) معنى التفسير في اللغة العربية :

تطلق كلمة « تفسير » في معاجم اللغة العربية على الإبانة ، والإيضاح ، والإفهام وبيان المرامي . (**ابن منظور : لسان العرب ، ٢ / ١٠٩٥**) ، و (**الجوهري : الصحاح ، ٢ / ٧٨١**) .

وقال (**طاش كبرى زاده**) في كتابه (**مفتاح السعادة**) : « فالتفسير : تفعيل من الفَسْرِ ، وهو البيان والكشف ويقال : هو مقلوب من السفر ، تقول : أسفر الصبح إذا أضاء . وقيل : مأخوذ من التَّفْسِرَة ؛ وهي : اسم لما يعرف به الطبيب المرض » (٢/٥٣٠) .

(ب) التفسير في الاصطلاح :

أما التفسير في الاصطلاح فهو عَلَمٌ على علمٍ بعينه ؛ هو علم التفسير ؛ الذي يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، وقصصه وأخباره ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والصرف وعلم البيان ، وأصول الفقه ، والقراءات ، كما يحتاج إلى معرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ (**الزركشي : البرهان ، ١٣/١**) .

والحقيقة أن التفسير أمر تفتقر إليه سائر العلوم ـ ليس القرآن فقط ـ بل حتى علوم الحديث ، والتاريخ ، واللغة وغيرها ، وفي مقام تفسير التاريخ يتضح انطباق الدلالة القرآنية ، والدلالة اللغوية ، وجزء كبير من تعريف التفسير في الاصطلاح ، على العملية التحليلية أو التركيبية للتاريخ بصفته ليس سرداً للأحداث والوقائع فقط ، ولكنه إضافة لذلك تفسير وتقويم لها في ضوء المنهج الرباني ، فيحتاج إلى بيان المعاني والفهم ، واستخراج الأحكام والحكم .

(جـ) مصطلح تفسير التاريخ :

يعتبر مصطلح تفسير التاريخ من المصطلحات حديثة النشأة في كتابات المؤرخين ، وإن كان مضمونه موجوداً في نصوص متفرقة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وما تضمنه الفكر الإسلامي المبني عليهما .

كما أن مصطلح تفسير التاريخ ـ كوحدة متكاملة ـ أصبح يطلق على المحاولات التي تبذل من قبل العلماء لتفسير مسيرة الأيام وحركة الوقائع ، وما يكمن وراءها من أسباب وعوامل ، وما يعقبها من غايات وأهداف ، فهو يتضمن جانبين أساسيين هما : جانب التاريخ وهو الوقائع الظاهرة وحركة الأيام وتقلبها . وجانب ما

وراء الوقائع الظاهرة والحركة المستمرة دون توقف ، وينظر إليه بعض المؤرخين على أنه مرادف تماماً لمصطلح فلسفة التاريخ (**عويس : تفسير التاريخ علم إسلامي ، ص ١٢**) ، والباحث يفضل استخدام مصطلح تفسير التاريخ وهو ما ستسير عليه هذه الدراسة .

وعند إعادة النظر في تعريف ابن خلدون ـ المتقدم ـ للتاريخ[١] يتضح أنه أقرب إلى تفسير التاريخ ؛ خاصة أنه بعد أن ساق ذلك التعريف أوضح مفهومه على نحو أعمق ؛ إذ عاب على أكثر المؤرخين من متقدميه منهجهم في التاريخ وقال عنهم :

> « إذا تعرضوا لذكر الدولة نَسَقُوا أخبارها نسْقاً ، محافظين على نقلها وهماً وصدقاً ، لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها وأظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعاً إلى افتقاد أحوال مبادىء الدولة ومراتبها ، مفتشاً عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها ، باحثاً عن المقنع في تباينها أو تناسبها » (**ابن خلدون : المقدمة : ص 5**) .

ويبدو أن ما أوضحه ابن خلدون بشأن مصطلح تفسير التاريخ هو أشمل تعريف قدمه المؤرخون الأوائل لهذا المصطلح ، والذي يمعن النظر في مقدمة ابن خلدون يجد أنه يرفض التفسير الواحدي للتاريخ ـ على حد تعبير عماد الدين خليل ـ ويختار الرؤية الشمولية للتاريخ فيسلط الأضواء على الأسباب والدوافع كافة في ضوء الاسلام ، وللبعد عن الوقوع في المبالغة والتعميم يجب التنبيه على أن ليس كل ما قاله ابن خلدون صواباً ، سواء على مستوى المقدمة ، أو على مستوى البعد الديني فيها فما أكثر الأخطاء ، والثغرات التي يمكن للنقد أن يتسرب منها إلى آراء ابن خلدون ، وهذا شيء طبيعي فما من فكر بشري سواء استمد من مصادر دينية أو دخيلة إلا وهو معرض للخطأ والصواب (**خليل : حول إسلامية تفسير ابن خلدون للتاريخ ، مجلة المسلم المعاصر ، ٣٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٨**) .

وقد أكدّ الدكتور (**محروس أحمد غبان**) في كتابه (**ابن خلدون مؤسساً لعلم التربية المقارنة**) على أن « رؤية ابن خلدون الدينية تتخلل عرضه واستنتاجاته في جميع أبواب مقدمته الست . فنجده يوظف ثقافته الإسلامية وإيمانه العميق بالله في تفسير العديد من الأحداث وفي صياغة نظرياته ومقولاته » (**ص ٣٩**) .

---

(١) انظر : ص ٣٩ .

وعلى أية حال فإن العقيدة الإسلامية الصحيحة يجب أن تحكم عمل كل باحث مسلم في تعامله مع تفسير وتعليل الأحداث التاريخية التربوية وغيرها ، ومن خلال تلك العقيدة ينظر إلى كافة القوى والعوامل المؤثرة في حياة البشر .

(د) الفرق بين المؤرخ ومفسر التاريخ :

حاول بعض العلماء التفريق بين المؤرخ ، ومفسر التاريخ في نقاط منها كما يرى (**عويس : تفسير التاريخ علم إسلامي**) :

١ ـ أن المؤرخ مجرد وثائقي يهدف إلى الوصول إلى صحة الواقعة التاريخية التي يقرها المنهج التاريخي في البحث ، وغالباً ما يقصر جهده على النواحي السياسية والعسكرية وتقلب الدول سقوطاً وقياماً ، بخلاف مفسر التاريخ الذي يعتمد منهجه على ثلاث مراحل :

(أ) المرحلة التسجيلية الوثائقية التي يشترك فيها مع المؤرخ العادي .

(ب) المرحلة التأملية التي يقوم فيها بتحليل الوقائع واستنباط بعض القيم والأنماط الإجتماعية والاقتصادية وغيرها من خلال إطار جزئي .

(جـ) المرحلة التفسيرية التي يصل فيها المفسر إلى استخلاص بعض السنن التي تحكم حركة التاريخ بمجتمعاته المختلفة ، والتي تجيب عن الأسئلة الكبرى : لماذا ؟ وكيف ؟ .

٢ ـ أن المؤرخ يتبع أسلوباً جزئياً محدوداً ، والمفسر شامل النظرة ؛ يضع في اعتباره كل العوامل ، وكل الأنشطة ، وكل جوانب الحياة المساعدة على تفسير الواقعة .

٣ ـ عمل مفسر التاريخ عمل فكري أكثر منه حركي .. وهو ليس مجرد آلة تصوير بل هو صياغة إنسانية للتاريخ .

٤ ـ أن مفسر التاريخ هو الذي يستطيع القيام بالمقارنة بين الحضارات لاستخلاص القيم الإنسانية الكلية ، وتفسير الشخصية الحضارية المستقلة للأمة من خلال فعلها في التاريخ .

٥ ـ أن مفسر التاريخ هو الذي يحاول الكشف عن معنى نشاط الإنسان وفعله في الأرض وبإمكانه أن يسأل ماذا تعني الحياة الإنسانية ؟ وما الأهداف التي يسعى

إليها الوجود التاريخي للإنسان ؟ وما القيمة الحقيقية للتاريخ البشري ؟ وهل يتحرك التاريخ بلا مغزى ؟ وهل أهداف التاريخ أهدافاً تنبع من داخل الإنسان أم من خارجه ؟ وهل يمشي التاريخ نحو الرقي دائماً أم أن له دورات يتعاقب عليها ؟ إلى آخر هذه الأسئلة الكبيرة .

٦ ـ الاختلاف بين المؤرخ ومفسر التاريخ في المنهج حيث يعتمد المفسر على ا لفحص النقدي الدقيق لمنهج المؤرخ ووثائقه التي يعتمدها ، ويدرس طبيعة الفكر وقوانين البحث وقوانين المنطق ، ويحقق مدى صلاحيتها كلها ، وقد يقبل منها ما يقبله ويرفض منها ما يرفضه ، ثم يقوم أي مفسر التاريخ بنشاط تركيبي للتفسير مستخلصاً أبرز السنن وأشملها ليصدر بناء عليها أحكامه ، ولكن في ضوء المباديء والقيم (**ص ١٦ ، ١٧**) .

وفي ضوء هذه الفروق يتضح بجلاء شمول عمل مفسر التاريخ ، وفائدته للتقدم البشري ، ولكن بشرط أن يلتزم بالمنهج الرباني الذي تضمن العديد من السنن الإلهية المتعلقة بالإنسان والمجتمع والكون بكامله ، ومن هنا فإن المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى جهود مفسري التاريخ في ضوء هذا المنهج لتوجيه حياة المسلمين في مختلف نواحيها ، وعلى رأسها النواحي التربوية التي يمثل الجانب التاريخي واحداً من قواعدها وأساساتها .

وباختصار فان حكمة [مفسر التاريخ] كما يقول بشير التوم : تتجلى في جانبين مهمين :

* الجانب الأول : يتعلق بحوادث التاريخ ، والجانب الآخر : يتعلق بالحكمة التي يمنحها له ربه عز وجل ، والمتمثلة في القدرة على الفهم والإدراك والتمحيص ونضج النظرة ، وقوة الحجة وسلامة المنطق ، مع القدرة على الربط بين حوادث التاريخ لاستخلاص العبر والعظات في إطار التفسير الإسلامي للتاريخ الذي لا يقف عند حد العوامل المادية فحسب ، بل يتجاوزها ليجعل العوامل الروحية والغيبية في المكان الأول . **(التوم : مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣)** .

(هـ) التفسير الإسلامي للتاريخ :

ورد لفظ التفسير في القرآن الكريم بمعنى الشرح والتبيين ؛ قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان : ٣٣)

وما يطلق عليه التفسير الإسلامي للتاريخ فهو اجتهاد بشري لأنه وإن كان مبنياً على مقررات ربانية من جهة أن مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، إلا أن التطبيقات المبنية عليها بشرية كونها تعتمد على مدى فهم البشر لهذه المقررات ، وطريقة استنباطهم لما يصلون إليه من تفسيرات ـ ومع ذلك فإنه يمكن إبراز أهم مميزات التفسير الإسلامي للتاريخ في النقاط التالية :

١ ـ أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يقدمان أصول منهج متكامل للتعامل مع التاريخ البشري ، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع إلى مرحلة استخلاص السنن التي تحكم الظواهر الإجتماعية ـ التاريخية .

٢ ـ أن الموقف الإسلامي من التاريخ يتميز ـ إضافة إلي شموله ـ بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبي الذي يسعى إلى قولبة الوقائع التاريخية وصبّها في هيكله المسبق ، واستبعاد أو تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل ، الأمر الذي جعل التفاسير الوضعية تقع في كثير من الأخطاء والانحرافات .

٣ ـ التفسير الإسلامي يُستمد من رؤية الله تعالى التي تعلو على الزمان والمكان وتتجاوز مواضعات العصر النسبية ، وينظر بانفتاح تام إلى الأحداث ، ويسلّط الأضواء على مساحاتها جميعاً ... في رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة .. ويُستمد أيضاً من المقررات الإسلامية عن الوجود كله ، سواء الوجود الإلهي أو الوجود الإنساني ، أو الوجود المادي ، وعلاقة الخالق بمخلوقاته ، وعلاقة الخلق بخالقهم ، والسنن التي يُجري بها الله تعالى أمر البشر وأمر الكون المادي سواء ..

وهكذا فإن أعظم ميزة للتفسير الإسلامي للتاريخ هي انبثاقه عن رؤية الله سبحانه التي تحيط علماً بوقائع التاريخ بأبعادها الزمنية الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، فهو يتميز بالبعد الغيبي ، المتمثل في فعل الله عز وجل المباشر .

٤ ـ أن التفسير الإسلامي تفسير واقعـي لا يتأثر بقيمه ومثالياته الممكنة الوقوع أساساً ، في تفسيره للواقع .. إنما يتكلم عن الواقع كما هو ، دون تبرير أو تعديل أو تحوير ، ولكنه من خلال حركته على أرض الواقع هذه ينطلق إلى أهدافه ومثالياته وآفاقه .

٥ ـ يركز التفسير الإسلامي للتاريخ على الدور الأساسي للإنسان في الواقعة التاريخية المتمثل في الحرية الإنسانية التي هي جزء من إرادة الله تعالى في خلق الأفعال والأحداث ، وفي إطاره تتحرك قوى العقل والإرادة والانفعال والحس والحركة وغيرها من الطاقات التي خلقها اللـه تعالى في الكائن البشري.. كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد :١١) وقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ.. ﴾ (التوبة : ١٤) (**خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص ٨ وما بعدها**) .

٦ ـ يحتفي التفسير الإسلامي للتاريخ احتفـاءً خاصاً بفترات الهدى في الحياة البشرية ـ وبخاصة فترة الرسالة الخاتمة ـ لأن تلك الفترات تمثل الإنسان في أرفع حالاته ، وأكثرها استقامة مع هدف وجوده ، وشرط استخلافه في الأرض ، ومن هنا يقسم التفسير الإسلامي للتاريخ الأمم إلى فريقين رئيسيين : أمم كافرة ، وأمم مؤمنة ، في ضوء التقسيم الرباني : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ (التغابن : ٢) . ثم تجيء بعد ذلك التقسيمات الأخرى ، بحسب الإنجاز المادي ، والعلمي ، والحربي والعسكري .. الخ (**قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص ١٨ ـ ١٩**) .

ويمكن القول بأن الواقعة التاريخية في ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ تجيء وفق مدرجات ثلاث : أولاها : علم الله ومشيئته ، وثانيتها : إرادة الإنسان وحركته ، وثالثتها : المادة الخام التي يخضعها الإنسان لإرادته في إطار منسجم من

سنن الله الكونية التي لا تتخلف . وفي حركة متوازية محكمة الترابط بين دور الفرد ودور الجماعة .

ومن هنا جاء تأكيد علماء المسلمين على أهمية التفسير الإسلامي للتاريخ ؛ واعتباره قضية تربوية إضافة لكونه قضية ثقافية وفكرية ، واعتبار درس التاريخ في حقيقته درساً في التربية . مؤكدين على أن تفسير التاريخ أمر ذو أهمية بالغة في تكوين الأمة التي يراد لها أن تتربى بدراسة التاريخ ؛ الواعية المهتدية بهدى الخالق عز وجل (**المرجع السابق ، ص ٥**) .

والخلاصة أن التفسير الإسلامي للتاريخ بمفهومه الشامل ، ومميزاته التي سبقت الإشارة إلى بعض منها يعتبر من صميم احتياجات الأمة المسلمة اليوم ، ومما ينبغي التركيز عليه وتوظيفه في توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً ، كونه ركيزة من ركائز التربية ، ومقوماً أساسياً لاسترداد الوعي الإسلامي ، وبناء الشخصية المسلمة الحقة .

ثالثاً : المفهوم الإسلامي للتربية وتاريخها :

(أ) معاني كلمة « التربية » :

يمكن القول بأن مدلول كلمة التربية في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة جاء بما فيه الكفاية لمن يرغب الوقوف على حقيقة التربية، وأهدافها، ومراحلها ، بل ووسائل تحقيقها على الوجه الأكمل ، فهو « يتضمن : العناية

والرعاية بشخصية الإنسان من جميع الجوانب ، وفي كافة مراحل الحياة ، ويؤكد هذا المدلول بشموله على أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق : خالق الفطرة ، وواهب المواهب ، وهو الذي سَنّ سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها . كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها [في الدنيا والآخرة] .. وأن التربية تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل فيه

الناشىء من طور إلى طور ، ومن مرحلة إلى مرحلة .. وأن عمل المربي تالٍ وتابع لخلق الله وإيجاده ، كما أنه تابع لشرعه ودينه » (**النحلاوي : أصول التربية الإسلامية ، ص ١٤**) .

فالرَّبُّ في الأصل : التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام ، ولا يقال الرّب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، نحو قوله تعالى : ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سبأ : ١٥) ، وعلى هذا قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ (آل عمران : ٨٠) ، أي آلهة ، وتزعمون أنهم الباري مسبب الأسباب ، والمتولي لمصالح العباد .

أما بالإضافة فيقال له سبحانه ولغيره ، نحو قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الفاتحة : ١) ، ويقال : رب الدار لصاحبها ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾(يوسف : ٤٢) (**الأصفهاني : مفردات القرآن ، ص ٣٣٦**) .

وقد استنبط (**البيضاوي**) من كلمة « الرّب » تعريفاً للتربية ، فقال : « التربية : تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً » (**أنوار التنزيل ، ١ / ٧**) .

ويقول ابن الأعرابي عن قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ (المائدة : ٦٣) :« لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً » (**ابن حجر : فتح الباري ، ١٦٢/١**) . أي متمكناً من علمه ، ومعلماً لغيره مما علمه الله، وعاملاً بذلك العلم، لأن العمل هو ثمرة العلم ، ولا خير في علم لا يتبعه عمل .

وعن قوله تعالى : ﴿ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ (آل عمران : ١٤٦) ، يقول الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ « الربّيّ : هو العالم الراسخ في علوم الشريعة ، والعابد لربه عز وجل ، والصابر البر التقي . (**صحيح البخاري ، ١٦٥٣/٢**) . ويشعر الباحث بأن ليس هناك ما يدل على قصر العالم الرباني على العالم في علوم الشريعة فحسب ،

بل يشمل كل عالم راسخ في العلم تتوفر لديه النية الخالصة لوجه الله تعالى مع توفر الصفات التي أشار إليها الإمام البخاري رحمه الله .

ومن التعبيرات القرآنية الصريحة في معنى التربية توجيه الباري عز وجل للولد كي يرد بعض جميل والديه بقوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(الإسراء : ٢٤) . كما جاء لفظ « يزكي » في القرآن الكريم مرادفاً لمعنى التربية في قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (البقرة : ١٢٩) ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) وقوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولًا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾(البقرة : ١٥١) ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(الجمعة : ٢) .

ومن الأحاديث النبوية التي تضمنت معاني التربية ؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ : « من تصدّق بعدل تمرة من كسبٍ طيبٍ ، ولا يقبلُ اللّهُ إلا الطّيب ، فإن الله يتقبلّها بيمنه ، ثم يُربِّيها(١) لصاحبها ، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّهُ(٢)؛ حتى تكون مثل الجبل » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٢/١١٥**) .

ففي هذا الحديث ضرب الرسول ﷺ المثل للمضاعفة ، والنماء ، والزيادة بحالة الفلّو ، لأنه يزيد زيادة بينة إذا تعاهده صاحبه بالرعاية والعناية ، ولأن الصدقة

---

(١) يُرَبِّيها : أي ينميها ويضاعف أجرها .

(٢) فَلُوَّهُ : مهره ؛ وهو الصغير من الخيل .

هي نتاج العمل ، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً ، فإذا أحسن صاحبه العناية به انتهى إلى حد الكمال .. وكذلك عمل ابن آدم ..(**ابن حجر : فتح الباري ، ٣/٢٧٩**) .

وفي حديث أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لهم أجْرَانِ .. [ومنهم] .. رَجُلٌ كانت عنده أَمَةٌ يطؤها ، فأدَّبهَا فأحْسَنَ تأديبها ، وعلَّمَهَا فأحْسَنَ تعليمَهَا ، ثم أَعْتَقَهَا فتزوَّجَهَا فلهُ أجْرَانِ » (**البخاري : صحيح البخاري ، ١/٤٨**) . والأدب في هذا الحديث يراد به التربية والتنشئة على الأخلاق الحميدة ، وليس التربية فحسب ، بل التربية الحسنة ، وما يتبعها من تعليم حسن أيضاً .

وبالرجوع إلى أصول كلمة « التربية » في معاجم اللغة العربية يتضح أن اللغة العربية قد استوعبت مدلولات هذه الكلمة في الكتاب والسنة ؛ من الرعاية ، والعناية ، والتنشئة ، والنماء ، والإصلاح (**ابن منظور : لسان العرب ، ١/١٠٩٩ ـ ١١١٧**) ؛ كيف وقد أنزل الله تبارك وتعالى كتابه قرآناً عربياً ، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف : ٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف : ٣) ، وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥) إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت أن اللغة العربية هي شعار الإسلام والمسلمين ، كما أنها من المقومات الأساسية للتوجيه الإسلامي ، وما يبني عليه من مفاهيم ومصطلحات في مختلف أنواع العلوم ، ومنها علوم التربية .

(ب) المفهوم الإسلامي للتربية :

وبناء على المقدمات السابقة يمكن إبراز المفهوم الإسلامي للتربية في النقاط التالية :

١ ـ أن التربية في الإسلام تعتمد على أصلين هما القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وتتمثل أصولها في مفاهيم ومبادىء عامة مستنبطة من هذين الأصلين ، وعن طريق

تلك المفاهيم والمبادىء تمكن المسلمون من مسايرة التطور الإنساني على مر الأزمنة واختلاف العصور ، بواسطة إعمال الفكر ، والإجتهاد لمواجهة المطالب البشرية المتجددة ،

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) ؛ فلقد كانت رسالة محمد ﷺ رحمة للعالمين ، ومن دلائل تلك الرحمة أن أرسل الله تعالى الرسول الأعظم بشريعة خالدة ، جمعت ما تحتاج إليه البشرية في معاشها ومعادها ، تارة في نصوص قطعية لا تحتمل اختلافاً ، يقف الناس أمامها وقفة رجل واحد ، يعتقدون المعنى الذي دلت عليه ، ويهبون للعمل بما جاء فيه (١) . وتارة أخرى تأتي الشريعة بنصوص ظنية أو قواعد كلية ومبادىء عامة ينظر المجتهدون فيها ، وينظرون في الجزئيات التي تنضمّ تحتها ، فيستخرجون منها ما يلائم زمنهم وبيئتهم ، ويناسب أحوالهم ، وفي هذا تختلف الأنظار فتختلف آراؤهم التي يصلون إليها ، وأحكامهم التي يستنبطونها (**الشاطبي : الموافقات ، ٣٩/١**) ، ومن فضل الله عز وجل أن جعل الخلاف في المسائل الإجتهادية توسعة ورحمة للأمة في مجال الاختيار ومن ذلك المسائل التربوية .

٢ ـ أن التربية الإسلامية تركز على الجانب العملي في التربية ، إذ دعت من أول أمرها إلى تعليم الناس ، وتنقية أرواحهم ، وتقوية أجسادهم ليكونوا أهلاً لتحمل مسئوليات الدعوة الجديدة التي كلفوا بحملها إلى البشر : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (البقرة : ١٤٣) ، كما ركزت على توجيه المسلمين إلى أن يحولوا ما تعلّموه ووُجِّهوا إليه من معارف إلى ممارسات في الواقع ، وتطبيقات في الحياة ، يَصلُحُ بها أمر الدنيا

---

(١) وهو ما يتعلق بالمسائل الأساسية في الدين سواء كانت اعتقادية أم عملية ، والتي يكون الخلاف فيها مفضياً إلى النزاع وتفريق الكلمة ، إذ تأتي أدلتها قطعية (**عيسوي : المدخل للفقه الإسلامي ، ص ٢٤٠**) .

والآخرة قال الله تعالى : ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢ ، ٣) . وبذلك يتحقق اهتمام الإسلام بكافة جوانب الشخصية المسلمة الروحية والاجتماعية والمادية وغيرها .

٣ ـ أن جوهر مفهوم التربية في الإسلام هو علم وعمل من أجل تحقيق الغاية الكبرى للوجود ، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى ، وحده لا شريك له ، إذ أن « مفهوم العبادة يقتضي بالضرورة ألا يعتمد الإنسان على العلم فقط في علاقته بالخالق سبحانه ، أو الإنسان ، أو الكون ، وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى العمل الذي هو الفعالية التي تتحقق بها إنسانية الإنسان المسلم في صورته الكاملة » (**خياط : النظرية التربوية في الإسلام ، ص ٤١ ، ٤٢**) .

ولتحقيق هذا المفهوم جاءت الآيات القرآنية ، والتوجيهات النبوية مؤكدة على اقتران الإيمان ـ باعتباره المكون الأساسي للتربية ـ بالعمل ، كما في قوله تعالى : ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ (التوبة : ٨٦) ، وقوله ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(الحديد : ٧) ، بل إن سورة كاملة في القرآن تضمنت مقومات الشخصية التي تهدف التربية الإسلامية إلى بنائها من أجل بناء الأمة المسلمة يقول الله تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾(سورة العصر) ، رحم الله الإمام الشافعي ما أعظم فقهه حيث قال : « لو ما أنزل الله على الناس إلا هذه السورة لكفتهم » ، وورد عند (**ابن كثير**) بلفظ « لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم » (**تفسير القرآن العظيم ، ٨٧١/٤**) .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد : ١٩) ، دليل على أن العلم لازم لصحة العمل ، والعمل لازم للحصول على ثمرة العلم ، وقد فطن لهذا

الإمام البخاري رحمه الله فبوب على هذه الآية في صحيحه بقوله : « باب العلم قبل القول والعمل » (**البخاري : صحيح البخاري ، ١/٣٧**) .

وها هو الرسول ﷺ يوجه أمته في شخص الصحابي سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه ؛ الذي قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً ، لا أسأل عنه أحداً بعدك ، قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » (**مسلم : الصحيح ، ١/٦٥**) . قال القاضي عياض رحمه الله : هذا من جوامع كلمه ﷺ . وهو مطابق لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ ﴾ (فصلت : ٣٠) ، أي وحّدوا الله وامنوا به . ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد ، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن تُوفّوا على ذلك .. » (**النووي : شرح صحيح مسلم ، ٢ / ٩**) ، ولا شك أن الاستقامة درجة كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها تحصل الخيرات ، وبفقدها يضيع السعي ، ويخيب الجهد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مفهوم التربية كما يراه بعض المربين :

كان لمفهوم التربية في الإسلام وقيامها على توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ، تأثير كبير على كثير ممن اشتغلوا بالتربية ، وقد اتفقت مفاهيمهم على وظيفة التربية ودورها في تدعيم عقيدة الأمة ، وتراثها . (**محجوب : أصول الفكر التربوي في الإسلام ، ص ١٨ ، ١٩**) .

* وهذه نماذج من تلك المفاهيم :

١ ـ يقول ابن مسكويه (ت : ٤٢١ هـ) : إن التربية هي أدب الشريعة والأخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها الطفل (**ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ١٧**) .

٢ ـ يرى الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) : أن التربية عملية تهيئة وتنمية وزيادة فمعناها « يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه » (**أيها الولد ، ص ١٢٨**) وغايتها « تزكية

النفس وطهارتها لكي تكون صافية ومجردة من العوائق التي تحول دون انصرافها إلى هدفها الأسمى وهو معرفة الله » (**النبهان : منهج التربية النفسية عند الغزالي ، ص ١٥٦**) .

٣ ـ ويرى ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : « أن التربية عملية تنشئة اجتماعية للفرد لتعويده بعض العادات والقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع ، واكسابه المعلومات وتزويده بالمعارف الموجودة بالمجتمع » (**المقدمة ، ص ٥٣٣**) .

٤ ـ ويقول **جمال** : « إن التربية عملية التناول الواعي للإنسان وللجماعة لتنشئتها على الإسلام عقيدة ، وعبادة ، وسلوكاً ، وروحاً ، تنشئة علمية ، وعملية ، فكرية ، وسلوكية، تنشئة تتمثل في كل معطيات الإسلام ، ومتغيرات العصر ومتطلباته ، واجتهاداته » (**نحو تربية إسلامية ، ص ١٤**) .

٥ ـ ويرى **الجمالي** أن التربية هي : « كل المؤثرات الموجهة التي يراد منها أن تصوغ كيان الإنسان وتهدي سلوكه في كل نواحي الحياة جسدية كانت ، أم عاطفية ، أم اجتماعية ، أم فكرية ، أم فنية ، أم أخلاقية ، أم روحية ، فالتربية تشمل كل المنظمات والعوامل والأساليب والطرق التي تدخل في نطاق الفعاليات التهذيبية » (**آفاق التربية الحديثة في الدول النامية ، ص ١٢٧**) .

٦ ـ يعرف بستالوتزي التربية بأنها : نمو جميع قوى الإنسان وملكاته نمواً طبيعياً في اتساق وانسجام ، كما يؤكد أن القدرات العلمية تعتمد على العادات التي تكونت من تكرار قوى المتعلم وتدريبه أكثر من الاعتماد على المعرفة البحتة ، أما هربارت فيرى أن التربية إعداد للحياة الكاملة (**أحمد : تطور الفكر التربوي ، ص ٤٢٥**) .

ويلاحظ الباحث على المفاهيم السابقة وجود خلافات جوهرية بين أصحابها حول مفهوم التربية . إذ بينما يؤكد التعريف الأول على تعويد الطفل على الأخذ بأدب الشريعة ووظائفها وشرائطها ، فإن التعريف الثاني يؤكد على جانب آخر وهو تزكية النفس ، ويأتي تركيز التعريف الثالث على تعويد الناشئة بعض العادات والقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع ، في حين أن بعض الاتجاهات والعادات السائدة في

المجتمع قد تكون بعيدة عن هدي الإسلام وتوجيهه ، أما التعريفان الرابع والخامس فقد حاولا التوصل إلى مفهوم شامل للتربية يغطي مختلف جوانب العملية التربوية ؛ أولهما يجعل الإسلام هو الموجه لتلك العملية ، بينما الآخر مبني على المؤثرات الموجهة دون تحديد واضح لها أو تقييدها بالتوجيهات الإسلامية ، وقد أتت الجوانب الروحية والأخلاقية في ذيل قائمة الجوانب التي رأى ذلك التعريف أن تكون موضع اهتمام التربية . أما التعريفان الآخيران السادس والسابع فقد انصب اهتمامهما على إعداد قوى الإنسان للحياة الدنيا فقط ، وتجاهلا تماما الجوانب الروحية ، والأخلاقية ، وكذا المعرفة الغيبية ، ولا يتوقع منهما إلا ذلك ؛ إذ صدرا عمن قال الله فيهم وفي أمثالهم من الكافرين : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم : ٧) ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : « يعني أن الكفار يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهّال » (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣/ ٦٨٠**) .

وعلى أية حال فإن مفهوم التربية في الإسلام مفهوم شامل شمول الإسلام ، إذ يتضمن المبادىء والمفاهيم والأصول الواردة في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، والخاصة بتربية الفرد المسلم ، من أجل بناء الأمة المسلمة ، بالإضافة إلى ما يتفق مع تلك المبادىء والمفاهيم والأصول من آراء وتطبيقات تربوية تثمرها جهود العلماء في الأزمنة المختلفة مما يصلح به أمر الدنيا والآخرة ، تحقيقاً لأهداف الإسلام .

(د) مفهوم تاريخ التربية في الإسلام :

يعتبر تاريخ التربية جانباً مهماً من جوانب التربية بمفهومها الشامل ـ والأكثر شمولاً في الإسلام ـ كما تقدم ـ ولكن الباحثين المحدثين يجملونها في ثلاثة جوانب :

« أصولية وفلسفية وتاريخية وفي المجال الأصولي يعتمد الباحث في استنباط الآراء والنظريات المتعلقة بالتربية والتعليم على القرآن الكريم والسنة الشريفة دونما تكلف أو تأويل للألفاظ والعبارات ، ويبدو ذلك مثلاً في دراسة عن : (الطبيعة الإنسانية في الإسلام ، أو نظرية المعرفة في القرآن الكريم) . أما المجال الفلسفي فإن الباحث فيه يتناول الإنتاج الفكري لواحد أو أكثر من مفكري الإسلام ويقوم بتحليله والتوصل إلى آرائه التربوية ، ومحاولة تأصيل هذه الآراء للكشف عن منابعها الرئيسية . وفي المجال التاريخي يقوم الباحث بدراسة فترة تاريخية معينة دراسة تكشف عن الفكر السائد فيها وتطور هذا الفكر في مجال التطبيق متأثراً بمسار الأحداث المحيطة به والضاغطة عليه ، سياسية واجتماعية وثقافية » (**الخولي : الفكر التربوي في الأندلس ، ص ١٥**) .

وكما هو واضح فإن هذه النظرة ـ كأي رأي بشري ـ يوجد بها عدد من الثغرات . منها على سبيل المثال في الجانب الأصولي ـ كما سمي ـ دعوة إلى الاقتصار على النصوص ، وعدم الاستعانة بفهم السلف في معانيها ومدلولاتها اللفظية والمعنوية ، مع تحجيم اجتهاد الباحث ، وفي المجال الفلسفي ـ كما سمي أيضا ـ كان الحصر على الانتاج الفكري للمربين ، دون التطبيقات التربوية ، ومن ثم اغفال دور التفسير الإسلامي للتاريخ في مجال تاريخ التربية مع التأكيد على آثار العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية .وبداية فإن تاريخ التربية يعتبر جزءا من التاريخ العام يهتم بمعالجة التربية من منظورها التاريخي ، الأمر الذي يؤكد أن تاريخ التربية موضوع مستقل بذاته .

وقد جاء في قاموس التربية أن « تاريخ التربية جزء من التاريخ يهتم بتاريخ وتطور النظريات والممارسات التربوية منذ عصورها الأولى وحتى اليوم » (Good : Dictionary of Education, p. 283) .

وعرفه بعض التربويين بأنه « تاريخ حركة المجتمع ونشاطه في مجال التربية » (**خضر : تطور الفكر التربوي ، ص ٣**) .

وقال آخر : « تاريخ التربية يوضح الماضي القريب والبعيد للعملية التربوية ، ويبين العوامل التي أثرت سلباً أو إيجاباً على المسيرة التربوية »(**عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ١١**) .

ويرى بعض الباحثين في مجال الدراسة التاريخية للتربية الفصل بين موضوعين أحدهما يختص بتاريخ الفكر التربوي ، والثاني هو تاريخ التربية فيرى أن :

« تاريخ الفكر التربوي يُعنى بتطور الفكر التربوي عبر العصور وعلى مستوى العلم منذ أن وجد فكر مكتوب أتيح الإطلاع عليه .

أما تاريخ التربية فيعنى بدراسة تطور الحركة التربوية والتعليمية في بلد معين عبر العصور ، فيهتم بمراحل التقدم والإزدهار ، وكذلك مراحل الركود والتخلف ، ويعقد المقارنات ويبحث في أسباب ذلك ثم يستخلص النتائج » (**شبير : تصور جديد لتنظيم دراسة مادة الأصول الإسلامية للتربية ، ص ص ٧٤ ، ٧٦**) .

و في نظر الباحث أنه لا حاجة لهذا الفصل الحاد بين الفكر التربوي وتاريخ الحركة التربوية خاصة في أمة معينة - كالأمة الإسلامية - عبر العصور المختلفة فإنه يصعب الاستغناء عن الإشارة إلى المفكرين التربويين المسلمين عند التاريخ للتربية الإسلامية حيث الحقيقة أن الإسلام خاتمة الرسالات السماوية ، جاء ليقود الحياة ويمسك زمامها وليضع أمام البشر منهاجاً واضحاً للحياة المستقرة المتوازنة ذات النظرة الشاملة الواضحة ، وليضيء آفاقاً ، ويزيل عن الناس الظلام والضلال ، قال الله تعالى : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) .

ولهذا كان الإسلام بتعاليمه الشاملة ، نقطة تحول كاملة في حياة الناس التربوية ، والثقافية ، والإجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية التي أثر فيها الإسلام بتوجيهاته الربانية المتضمنة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ؛ وقد ظهر في تاريخ البشرية نمط تربوي جديد هو التربية الإسلامية التي لبّت حاجة الناس إلى إطار جديد تستوحي منه التربية أصولها ومبادئها وأفكارها ، وتستمد منه الطاقة والقدرة على إعادة تشكيل الإنسان على الوجه الذي يرضي الخالق عز وجل ، وترسم خلال ذلك الإطار وسائل التنفيذ وطرائق التطبيق ، فكانت التربية الإسلامية المستمدة من الإسلام ، ذلك الدين القيم الذي جعل التربية تتطور تطوراً ملحوظاً (**علي: نشأة التربية الإسلامية، ص ١٨**) . وقد كان من ثمار ذلك التطور بروز الكثير من العلماء المسلمين في مجال التربية الإسلامية الذين ساهموا في إثراء الفكر التربوي وتطويره في مجال الوسائل والتنفيذ في زمانهم ، ويعتبر إغفال مساهماتهم التربوية إغفالاً لجزء كبير من تاريخ التربية .

وعليه فإن مفهوم تاريخ التربية في الإسلام لا يعني مجرد تاريخ تعاليم الدين وفاعليتها التربوية (وهي الأصل) فحسب ، ولكنه يشتمل على تاريخ الفكر التربوي ، وتاريخ النظم التربوية الإسلامية ، إضافة إلى تاريخ البُنى الاجتماعية ونظمها

وتفاعلها وتأثيرها وتأثرها بالأفكار التربوية ، بما تشمله من انساق وأنظمة وعلاقات متنوعة كان لها تأثير واضح في التربية الإسلامية .

بمعنى أن تاريخ التربية الإسلامية هو دراسة الأصول الإسلامية للتربية ، إضافة إلى دراسة تطور الأفكار والنظريات والمؤسسات التربوية عبر تاريخ المجتمع الإسلامي ، وفي إطار حضارته ، التي استمدت أسسها من المصادر الإسلامية ، وحملها الناس عبر الزمان والمكان فكانت تطبيقات ونظريات تربوية معبرة عن تأثيرعوامل متعددة ومتنوعة مرّت بالمجتمع الإسلامي سواء كان هذا على مستوى عام أو مستوى خاص (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ١٧**) .

ومجمل القول أن تاريخ التربية الإسلامية يشتمل على العناصر التالية :

١ ـ الأصول : وهي تلك المباديء والمفاهيم والقيم والأساليب والاتجاهات المتضمنة في آيات القرآن الكريم ، وسنة الرسول ﷺ ، والمتعلقة بتربية جوانب شخصية الإنسان المختلفة .

٢ ـ الفكر التربوي الإسلامي ؛ والمتمثل في مجموعة الآراء ، والأفكار ، والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء ، والفلاسفة ، والعلماء المسلمين ، ذات الصلة المباشرة بالقضايا والمشكلات التربوية .

٣ ـ الممارسات والتطبيقات التربوية التي صدرت ، وتصدر عن المربين المسلمين عبر العصور ، والأماكن المختلفة ، (**علي : بحوث في التربية الإسلامية ، ص ٣٦ ، ٣٧**) .

٤ ـ تاريخ المؤسسات والوسائط التربوية ، وكل ما يؤثر في عملية التربية من عوامل وقوى ؛ روحية ، وأخلاقية ، و ثقافية مختلفة .

رابعاً : مفهوم التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية :

(أ) التوجيه في اللغة :

يقول الله تعالى في وصف عيسى عليه السلام : ﴿ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ (آل عمران : ٤٥) ، وقد أورد (**الأصفهاني**) في كتابه (**مفردات ألفاظ القرآن**) ، بعد أن ساق هذه الآية عدة معان للفظ « وجيه » منها قوله : « وجَّهتُ الشيء أرسلته في جهة واحدة فتوجَّه » (ص ٨٥٦) .

وقال (**ابن منظور**) في (**لسان العرب**) : « يقال شيء موجّه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف ... ويقال : خرج القوم فوجهّوا للناس الطريق توجيهاً، إذا وطؤوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه » (٣/٨٨٥) ،

وجاء في كتاب (**أقرب الموارد في فصح اللغة والشوارد**) (**للخوري**) :

> « وَجَّه إليه في حاجة توجيهاً : أرسله فوجه إليه أي فذهب ، ووجهّوا الناس الطريق وطؤوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه .. والجهة والوجه : ما يتوجه إليه الإنسان من عمل وغيره .. والوجه : القصد والنية « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ .. » (الأنعام : ٧٩) . أي قصدي ونيتي .. وشيء موجَّه أي جعل على جهة واحدة لا يختلف .. » (٢ / ١٤٣٠ ، ١٤٣١) .

مما تقدم يتضح أن مفهوم التوجيه في اللغة العربية يَنْصَبُّ على تبيان الطريق المحددة ، والمقصودة ، بواسطة كشفها حتى تتضح ، مع بيان كيفية السير عليها ، كل ذلك من أجل مساعدة السالكين لها على معرفتها ليلتزموها ، ولا ينحرفوا عنها ، لأنها هي الطريق المستقيم ، الذي بسلوكه يتحقق الهدف .. كما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) ، يقول (**الطبري**) رحمه الله في تفسير هذه الآية : « صراط الله يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده ، قويماً لا اعوجاج به عن الحق فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه ، ولا تسلكوا طريقاً سواه ، ولا تركبوا منهجا غيره ، ولا تبغوا ديناً خلافه .. وهو الإسلام الذي وصّى الله به

الأنبياء [عليهم السلام] ، وأمر به الأمم قبلكم » (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٨ / ٨٧ ، ٨٨**) .

والواقع أن المفهوم اللغوي للتوجيه يتضمن المعنى الاصطلاحي له ، والذي تمثل حقيقته ضرورة الثبات على الصراط المستقيم الموحّد ، واتباع الخطة المرسومة لبلوغ الغاية ، وليس للمسلم غاية أعلى من مرضاة الله سبحانه وتعالى ، والتقيد بمنهجه ، والثبات على صراطه المستقيم ، والاعتصام بحبله المتين مع جماعة المسلمين .

(ب) مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم في اصطلاح العلماء المسلمين :

برزت على ساحة الوعي الإسلامي الدواعي الأساسية لتوجيه العلوم توجيهاً إسلامياً والتي لخص (**المطيري**) في كتابه (**الصياغة الإسلامية لعلم الإجتماع**) أهمها في الآتي :

« ١ ـ التصورات الغربية الفاسدة الموجهة لهذه العلوم .

٢ ـ أن هذه العلوم صبت اهتمامها على الجزء المنظور من الواقع ، ولم تعترف بالجزء الغيبي منه ، لذلك فهي لا تعبر عن الحقيقة كاملة .

٣ ـ أن النظريات والقضايا والحلول التي وجهت مختلف العلوم ، هي قضايا تخص جزءاً من العالم يسمى الغرب ، ومن الخطأ تعميمها على بقية أنحاء العالم » (ص ٤٧ ، ٤٨) .

ولمواجهة هذا الخلل في العلوم السائدة في المجتمعات الإسلامية نادى المخلصون من أبناء العالم الإسلامي إلى العودة إلى الإسلام وتوجيه العلوم في ضوء أهدافه ومنطلقاته التي تعبر عن الحقيقة تعبيراً شاملاً ، وتقدم الحلول الملائمة لمشكلات العالم بأسره .

وبدأت تلبية هذا النداء بجهود فردية استخدمت للتعبير عن تلك الاستجابة عدة مصطلحات منها :

١ ـ استخدام الإسلام وصفاً للعلم أو النظرية ، كقولهم « التربية الإسلامية » « النظرية التربوية الإسلامية » أو « الاجتماع والطب الإسلامي » ، وكقولهم « علم النفس أو

الصحة النفسية في الإسلام » ، وكقولهم « نحو نظرية إسلامية للمعرفة ، أو للتربية ، أو في البيئة ».وهكذا دواليك .

٢ ـ استخدمت عبارة : « من منظور إسلامي » أو « في ظل التصور الإسلامي » ، أو « من وجهة النظر الإسلامية » أو « الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع .. » وهلّم جرّا ..

٣ ـ استخدام مصطلح « أسلمة » أو « إسلامية المعرفة » أو العلم وقد عرف **(الفاروقي)** في كتابه : (**أسلمة المعرفة**) ، هذا المصطلح بأنه : « إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام » ، ثم قال : « ونعني بها إعادة صياغة المعلومات وتنسيقها ، وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها ، وتقويم الاستنتاجات التي انتهت إليها ، وإعادة تحديد الأهداف على أن يكون كل ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة تثري التصور الإسلامي ، وتخدم أهداف الإسلام » (**ص ٤٩ ، ٥٠**) .

٤ ـ استخدم مصطلح « التأصيل الإسلامي للعلوم » وهو مصطلح نشأ في ظل الاعتراضات الموجهة إلى مصطلح « أسلمة المعرفة » .

٥ ـ استخدم مصطلح « التوجيه الإسلامي للعلوم » أو للعلوم التربوية .. أو لعلم النفس .. الخ ، وهذا المصطلح نشأ في ظل الاعتراضات التي وجهت إلى مصطلح « التأصيل » ، وقد عُرّف مصطلح « التوجيه » بتعريفات منها :

(أ) أنه « مجموعة من الإرشادات التي تتعلق بأهداف تحصيل العلوم ، وبطرق دراستها وتدريسها ووجوه استخدامها في ضوء التربية الإسلامية » (**يالجن : أساسيات التوجيه الإسلام للعلوم ، ص ٨**) .

(ب) أنه « إصلاح منطلقات المعرفة وإعادة بنائها بما يجعلها قادرة على النماء والعطاء » (**القطان : مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم ، ص ٧٣**) .

(جـ) وقد حاول (**الخمساوي**) في بحثه (**الفكر الموسوعي والتوجيه الإسلامي للعلوم الحضارية**) أن يوضح المقصود بعبارة التوجيه الإسلامي في النقاط التالية :

ـ قد يكون المقصود بعبارة التوجيه الإسلامي : « أن تكون غاية العلوم غاية إسلامية تتفق مع مبادىء وقواعد الإسلام ، أو تخدم القضايا الإسلامية ويتم التوجيه باستبعاد الغايات التي لا تتفق ومباديء وقواعد الإسلام » .

ـ وقد يكون المقصود بها : أن يكون منهج العلوم منهجاً إسلامياً ، أي بالطريق التي رسمها الإسلام ، ويتم التوجيه بتعديل مناهج وأساليب العلوم إلى ما يتفق ومبادىء الإسلام ، مثل علم الاقتصاد فهو وإن كان علماً ذا غاية تتفق ومبادىء الإسلام ، إلا أنه قد يأخذ لذلك أسلوباً ومنهجاً غير إسلامي في بعض فروعه وأسسه ، كالأخذ بنظام الفوائد الربوية لرأس المال ، أو التعامل بغير النقدين كأوراق « البنكنوت » .

ـ وقد يكون المقصود بها : « مساعدة العلوم بإمدادها بموضوعات أو شواهد أو معينات فكرية إسلامية ، كإمداد علوم الطب بمعارف إسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية عن نمو الجنين داخل الرحم ، أو فوائد عسل النحل » (ص ٢٢١)

والحقيقة أن كل هذه الأمور مقصودة في مجال التوجيه الإسلامي للعلوم المختلفة ، ليشمل الغايات والأهداف ، والمناهج والطرق ، والمحتوى لكل علم يراد توجيهه توجيهاً إسلامياً .

(د) أما سعيد إسماعيل علي فقد عرف التوجيه الإسلامي لأصول التربية بأنه :

> « إعادة صياغة أصول التربية في ضوء الإسلام ... وبالتالي إعادة صياغة المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة من مجالات المعرفة التربوية ، وإعادة تحديد ا لأهداف على أن يكون كل ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة التربوية تثري التصور الإسلامي وتخدم أهداف الإسلام » (**علي : التوجيه الإسلامي لمجال أصول التربية ، ص ٥٥٧**) .

وفي معالجته لأوضاع الجامعات الإسلامية اليوم يؤكد الدكتور محمد جميل خياط على ضرورة الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أساساً ومصدراً للإصلاح والتطوير والتغيير ، مؤكداً أن أي أمر من أمور الجامعة سواء في نظامها العام أو مناهجها وبرامجها يخالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا بد من تغييره وتوجيهه في ضوء الأسس والقواعد والمبادىء التي جاء بها الإسلام . (**خياط : الجامعات الإسلامية ، ص ١٦١**) .

ويرى (**الجندي**) في (**أسلمة المناهج والعلوم**) أن التوجيه الإسلامي للعلوم يعني : تغطية الشريعة الإسلامية لكل جوانب الحياة في المجتمع تربوياً وثقافياً واقتصادياً وسلوكياً بالإضافة إلى المحافظة على كيانها وروحها والإستجابة لمختلف حاجات الإنسان في إطار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة (**ص ٥٩**) .

ويعد أن استعرض (**طعيمة**) في بحثه (**معوقات توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً**) مجموعة من عناوين الكتابات التي تندرج تحت مجال التوجيه الإسلامي للعلوم وتستظل به قال :

« وأيا ما كانت الدلالات التي يحملها كل عنوان مما سبق ، والدوافع التي تكمن وراء صياغتها بالصورة التي صيغت بها والمستويات التي تتدرج فيها بدءاً من مجرد الرؤية الإسلامية وانتهاء بالهوية والنظرية الإسلامية ـ فالمعنى الذي تلتقي عنده جميعاً هو أن نظرة المسلم للمفاهيم والحقائق العلمية المعاصرة يمكن أن تتميز عن نظرة أقرانه من ثقافات أخرى ، استناداً إلى معطيات وأطر مستمدة من مصادر الإسلام (الكتاب والسنة) ، ومستضيئة بتراث أهله على امتداد التاريخ مما يمنح هذه النظرة شخصية متفردة .

وإذا كان هذا هو المعنى الذي تلتقي عنده هذه العناوين [والمصطلحات] ، فإنها تحمل في الوقت نفسه مناشدة العلماء والمفكرين والباحثين المسلمين لبذل الجهد في سبيل تحديد هذه النظرة الإسلامية لمفاهيم العلم ، وحقائق الكون ، ورسم الخطط التي تيسر لهذه النظرة لأن تشق طريقها ، وأن تجد لها مكاناً وسط النظرات الأخرى لهذه المفاهيم والحقائق » (**ص ٥٥٨ ، ٥٥٩**) .

والباحث يؤكد على أن هذه النظرة قد سيطرت على غيرها ـ بحمد الله ـ لأنها تمثل الفطرة التي تنزع الى الرجوع الى الحق ، والوفاء بالعهد مع الخالق سبحانه وتعالى .

ويحدد (**بلعوص**) في دراسته (**التوجيه الإسلامي لتقنية التعليم**) بعض المقومات الأساسية لمفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم على النحو التالي :

« ـ أنه تصور ينطلق من منهج الله عقيدة وشريعة ودستور حياة .

ـ أنه تصور ليس فيه حركة إرتداد إلى الوراء أو إحجام عن السير إلى الأمام ، أو انبهار بالحديث وإهمال للتراث .

ـ أنه تصور لا يقتصر على ما ورد في القرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين واسهامات العلماء المسلمين فقط .

ـ أنه تصور لا يغفل معطيات العلوم في المجالات المختلفة ونتائجها السليمة [التي لا تتعارض مع الإسلام] .

ـ أنه تصور يشمل جوانب ثلاثة ، هي : الإنسان ، والكون ، والحياة ، ولا يقتصر على إحداها .

ـ أنه تصور يأخذ من نتائج العلوم ونظرياتها ما يتفق مع التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ، ويترك ما عداه .

ـ أنه تصور يسعى إلى تحقيق غاية كبرى هي عبادة الله ، وهدف نبيل هو عمارة الأرض » . (ص ٤٦٥) .

(جـ) التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية كما تعنيه هذه الدراسة :

وفي ضوء ما تقدم من تحديد لمفهوم التوجيه في اللغة العربية ، وما تم عرضه من المفاهيم التي طرحها بعض علماء المسلمين لمصطلح التوجيه الإسلامي للعلوم ، والذي يظهر للباحث أنه أدق في الدلالة على الهدف من الدعوة إلى أسلمة العلوم ، أو إسلامية المعرفة ، لأن التوجيه الإسلامي للعلوم لا يغفل الحقائق العلمية الموضوعية ، بل يعمل على توجيهها من منظور إسلامي ، حيث أن أي عالم مهما فسد اعتقاده قد يصل إلى كثير من الحقائق العلمية المجردة التي لا أثر فيها لعقيدته ، كما يهدف التوجيه الإسلامي إلى استبدال الإطار الإلحادي للعلوم بالإطار الإيماني ، من أجل أن يفكر العالم ويشاهد ويجرّب ويستنتج ويقوّم وهو مؤمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالوحي المنزل عليه . وفي كنف هذا الإيمان يجد العالم التفسير الإسلامي للعلوم ، وما يحمله من حقائق نافعة في حياة الناس يصلح بها أمرالدنيا والاخرة معاً .

وعليه .. فإن الباحث يقصد بالتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية : تقديم تصور إسلامي لتاريخ التربية ينطلق من منهج الله تعالى عقيدة وشريعة ودستور حياة ، ويقوم على إيجاد تكامل حقيقي بين ما ورد في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ فيما يتعلق بتاريخ التربية وتفسيره ، وإسهامات العلماء المتفقة مع التصور الإسلامي في هذا المجال قديماً وحديثاً بعد اخضاعها لهيمنة القرآن والسنة ، بوصفهما مادة الإسلام وقوامه .

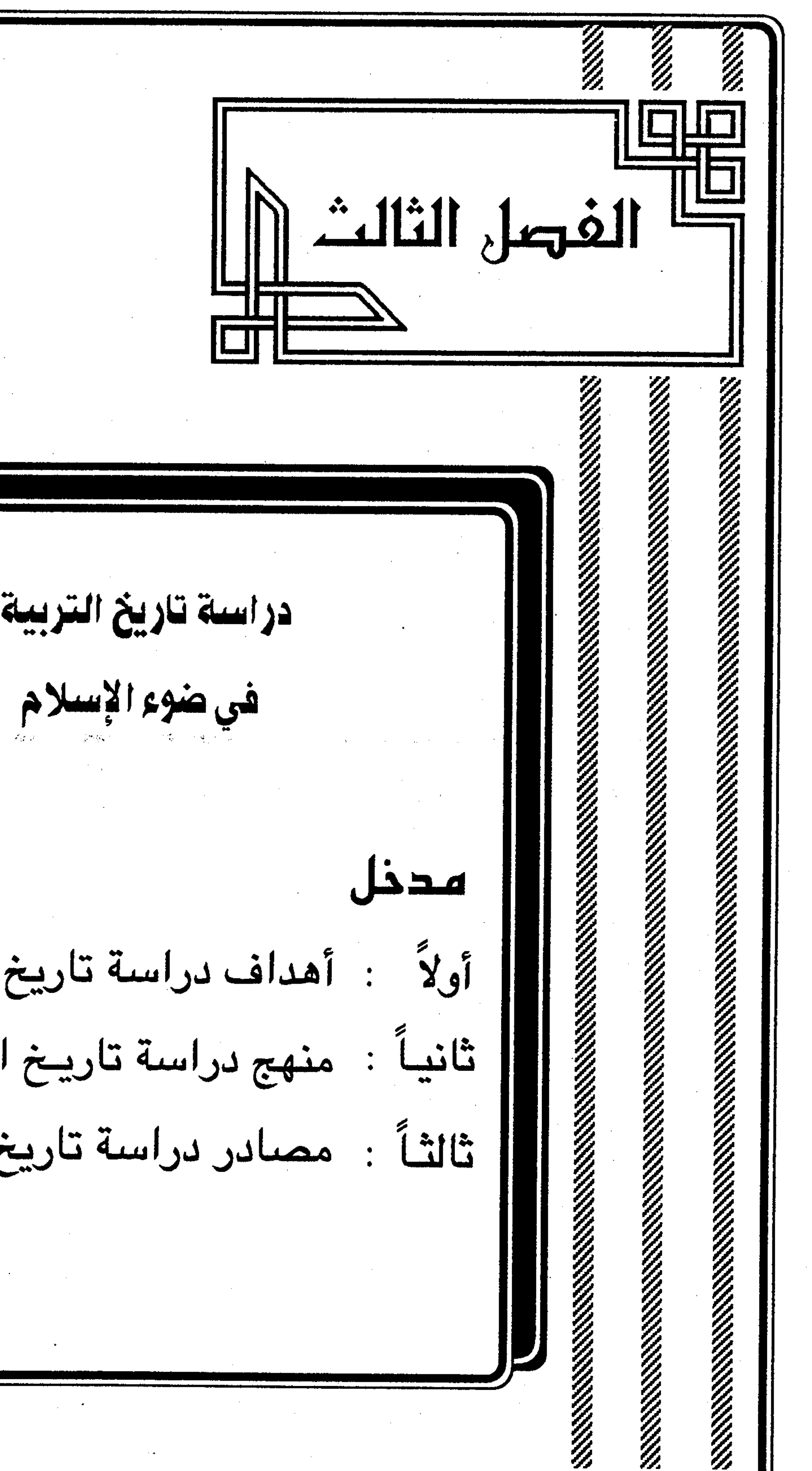
وخلاصة القول فإن هذه الدراسة تقصد بالتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ايجاد تصور علمي لتاريخ التربية مستمد من المنهج الإسلامي يركز على الأمور التالية :

١ ـ تفسير وتوجيه الأفكار والأحداث التاريخية التربوية في ضوء توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، من أجل تحقيق فلاح الإنسان في الدنيا والآخرة .

٢ ـ الإهتمام بتاريخ التربية الإسلامية على مر العصور ، واختلاف البلدان ، مع عدم إغفال تاريخ التربية لدى الأمم الأخرى ، للإستفادة من كل صالح ومفيد في مجال الأساليب والوسائل التربوية .

٣ ـ التأكيد على استخدام المقاييس الإسلامية التي يقيس بها المؤرخ المسلم الأفكار والآراء التربوية ليبرز ما فيها من إيجابيات ، وسلبيات أو قصور ، كما يزن بتلك المقاييس ما أصاب الفكر التربوي العالمي من انحلال وتأخر ، كان من أوضح أسبابه تخلي المسلمين عن دورهم في قيادة البشرية ، واعتماد كثير من الأفكار التربوية المعاصرة على فلسفات وضعية متغيرة أدت إلى تخبط العالم في التصورات والمفاهيم المحيرة .

٤ ـ التركيز على استنباط بعض المعايير لتوجيه ثلاثة أبعاد رئيسة في تاريخ التربية ، هي الأهداف ، والمحتوى ، وطريقة عرضه ، والتي يمكن أن تعين المختصين في هذا المجال ، خاصة عند تأليف الكتب وإجراء البحوث .



الفصل الثالث

دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام

مدخل

أولاً : أهداف دراسة تاريخ التربية

ثانياً : منهج دراسة تاريخ التربية

ثالثاً : مصادر دراسة تاريخ التربية

الفصل الثالث

دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام

مدخل :

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن التربية نشأت بوجود الإنسان الأول وهو آدم ـ أبو البشر ـ عليه السلام الذي وجهه ربه عز وجل من أول لحظة ، وعرّفه بالخير والشر منذ بدء الخليقة ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣١ ـ ٣٢ ، ٣٥ ـ ٣٨).

إذاً فالتربية وجدت بوجود الإنسان ، ونشأت نشأة سماوية صادرة عن الذات الإلهية ، ثم توالت توجيهات الباري سبحانه وتعالى للبشرية بواسطة رسله عليهم السلام ، الذين بيّنوا للناس ما نزّل إليهم من ربهم ، وأوضحوا لهم طريق الهداية ، وحددوا لهم الغاية من وجودهم على الأرض ، وسلكوا بهم في هذه الحياة مسلكاً من الأخلاق الفاضلة والقيم الروحية ، والمُثُل العليا التي تربطهم بالله تعالى ، واعدّوهم بواسطة التربية والتعليم لتحمل المسئوليات الجسام التي عبر عنها القرآن الكريم بالأمانة ، إذ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (الأحزاب : ٧٢) . وقد تعددت أقوال المفسرين من السلف في معنى الأمانة ، ولكنها كما قال الإمام (**ابن كثير**) ـ رحمه الله ـ « لا تنافى بينها بل هي متفقة وراجعة

إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ؛ وهو أنه [أي الإنسان] إن قام بذلك أُثيب ، وإن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله » (**تفسير القرآن العظيم ، ٣/٨٣١**) .

ونظراً لخطورة القيام بمهمة التربية كان أول من قام بها الأنبياء والرسل عليهم السلام ، واستمرت التربية مع الإنسان على مر الأزمان ، وظهرت نظريات وأفكار تربوية لدى كثير من الشعوب ، فكان لكل أمة من الأمم منهجها ووسائلها وأساليبها التي توجه بها أجيالها ، مدعية سلامة مقصدها ونبل غايتها ، وعلى أساس التربية وقوتها المهتدية قامت حضارات الأمم ، وبضعفها ضعفت وخارت ، إلى أن جاءت الرسالة الإسلامية الخالدة موضحة للإنسان القواعد الشرعية التي يستطيع بها معرفة أسرار الكون ، في ضوء عقيدة التوحيد ، ومكانة النبوة في تلك العقيدة كما بينت الشرائع التي يقوم عليها النظام الإجتماعي ، إضافة إلى المنهجية العلمية التي يجب إتباعها في تحصيل المعرفة العلمية ، والإجابة على التساؤلات المتعلقة بعالم الغيب ؛ ومن ذلك الإيضاح الكافي لفكرة الحساب والجزاء التي تحدد معنى الحياة على هذه الأرض ، وتحفز الإنسان على القيام بإعمارها بما يرضي الله عز وجل ، الأمر الذي يُمكِّنه من إدراك التوازن والتكامل بين تلك العناصر ، وتفهم العلاقات الداخلية التي تربط بينها ، حيث أن هدف التربية في الإسلام هو تحقيق هذا الفهم المتوازن ، الذي يستند على العقيدة الإسلامية ، ونظام القيم الذي تقوم عليه . ومن هنا يتضح أن التربية الإسلامية - عبر عصورها - تمثل منظومة تختلف في أسسها عن غيرها من المنظومات التربوية المختلفة التي أسفرت عنها الحضارة الإنسانية (**خياط : النظرية التربوية في الإسلام ، ص ٨١**) .

وكادت التربية في الإسلام أن تكون أمُّ العلوم ، لأن مجال عملها هو الإنسان بروحه ، وعقله ، وجسمه ، ليستحق عن جدارة ماكرّمه الله تعالى به من تفضيله على كثير من الخلق ، كما قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) ، وليستحق الخلافة في الأرض فيعقب بعضه بعضاً جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد امتن الله تعالى على أمة محمد ﷺ بقوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس :١٤) ، وأوضح ذلك الرسول ﷺ لأمته في حديث أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حُلْوَةٌ خضرة ، وإن الله مُسْتَخْلِفكم فيها فينظرُ كيف تعملون .. » (**مسلم : صحيح مسلم ، ٤ / ٢٠٩٨**) . أي أن الله جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم (**النووي : شرح صحيح مسلم ، ١٧ / ٥٥**) .

وتمتاز التربية على العلوم ذات العلاقة بالإنسان على أساس أنها تعمل على تغيير الإنسان ، ومهمة التغيير هذه أصعب المهمات وأخطرها ، حيث أنه بتغير الإنسان تتغير الحياة من حوله ، والإنسان هو أثمن شيء في الوجود إذا حقق الغاية التي من أجلها خُلِقَ ، وهي عبادة الله تعالى القائل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) ، وليس من سبيل إلى تحقيق هذه الغاية إلا بالتربية والتعليم ، وهما أداتا التغيير المنشود في قول الباري عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) . وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٥٣) . ففي هاتين الآيتين تأكيد لسنة التغيير في الحياة ، حيث أن الله العليم بخلقه يتعقب البشر بالحفظة من أجل مراقبة ما يحدثونه من التغيير في مختلف أحوالهم ، ويرتب على ذلك تصرفه بهم سبحانه (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٢/٥٠٢، ٧٧٩ ــ ٧٨١**) ، وقد قال رسول الله ﷺ ، فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « يَتَعَاقَبُونَ فيكم : ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يَعْرُجُ الذين بَاتُوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يُصلّون ، وأتيناهم وهم يصلّون » (**البخاري : صحيح البخاري ، ١/٢٠٤**) ، ولعل الحكمة من سؤالهم ــ والله أعلم بحال

المصلين ـ إظهار شهادتهم لبني آدم بالخير ، ليستحقوا الجزاء في الدنيا والآخرة ، كل على قدر عمله وسداده .

ومن هنا جاءت نظرة الإسلام إلى سنة التغيير كامنة في العلاقة السببية بين تغيير الأنفس وتغيير المجتمع المرهون بتغيير الأنفس ، واهتمامه بأداة التغيير الفاعلة وهي : التربية والتعليم ، إذ بدونهما لا يحدث التغيير في الأنفس الذي هو المقدمة المنطقية بل والضرورية لتغيير المجتمع . (**سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ص ٦٩ وما بعدها**) .

وكان الرسول ﷺ هو المعلم الأول للأمة الخاتمة ، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « إنما أنا لكم مثل الوالد أعلّمكم » (**ابن حنبل : المسند ، ١٣٩/١٣ ، واسناده صحيح**) ، وقد عمل ﷺ على تطبيق شرائع الإسلام ، ومبادىء التربية والتعليم لتكوين الأفراد ، والأجيال المسلمة الواعية لمهمتها في الحياة ، وهو الذي خاطبه ربه عز وجل بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ (الأنعام : ٩٠) ، وذلك بعد أن قص الله تعالى طرفاً من أخبار الرسل والأنبياء عليهم السلام ومن أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان ، وتربيتهم لأقوامهم على منهج الله وهديه ، أمر رسوله ﷺ بالاقتداء بهم واتباعهم ، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ ، فأمته تبع له ، فيما يشرعه ويأمرهم به (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣٤٩/٢**) ، كيف .. وما جاء به من الحق هو عين الكمال بشهادة ربه عز وجل﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (هود : ١٢٠) ، بل لقد خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب : ٢١) ، كما وجههم سبحانه ــ إلى دعاء يعينهم به على أداء مهمتهم في الحياة فقال تعالى : ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان : ٧٤) ، وفسر الإمام (**البخاري**) رحمه الله ذلك بقوله : « يعني أئمة نقتدي بمن قبلنا ، ويقتدي بنا من بعدنا » (**صحيح البخاري ، ٦ / ٢٦٥٤**) .

ويشعر الباحث أن في مقدمة الاقتداء بالأنبياء والرسل وصالح المؤمنين عملية التربية ؛ فإنها عملية مستمرة يتأثر كل من يسهم فيها بمن سبقوه ، ويؤثر فيمن سيتلقون عنه فيما بعد . وهذا يحكي باختصار تاريخ التربية في الإسلام خاتمة الرسالات السماوية التي أكمل الله تعالى بها دينه ، وأتم بها نعمته على خلقه ، بأن رضي لهم الإسلام ديناً ، لا يقبل من أحد ديناً سواه ، فقد قال عز وجل : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِيناً ﴾ (المائدة : ٣) ، وتلك آخر آية نزلت من القرآن ، في يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع ، سنة عشر ، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضباء » (**الواحدي : أسباب النزول ، ص ١٥٩**) ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آية في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا معشر اليهود نزلت ، لا تخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : أي آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة (**البخاري : صحيح البخاري ، ١ / ٢٥**) .

إن تاريخ التربية الإسلامية يتضمن أفضل النماذج لتربية الإنسان بل لقد قام ذلك التاريخ على نموذج تربوي يتسامى عن أي نموذج وضعته عقول المصلحين والمربين ، فهو نموذج ارتضاه الله تعالى ورضي عنه ، وقد نفذه خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ برعاية ربه عز وجل وعنايته ، وبقي محفوظاً في سيرته التي هي أصل التاريخ الإسلامي ، بل إنها الحقبة التاريخية المثلى في التاريخ كله ، ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله . وقد أثبت ذلك النموذج التربوي نجاحه التام في العصور الإسلامية التي كان تطبيقه فيها سليماً ومحكماً .

وقد بدأ التقهقر في المسلمين منذ أن بدأوا الانحراف عن خط ذلك النموذج في التصور والسلوك ، وأثرت في تاريخ التربية الإسلامية عصور الركود والتخلف ، وبعد أن سقطت أقطار العالم الإسلامي تحت سيطرة ونفوذ الدول المستعمرة ، حرصت

القوى الاستعمارية في البلاد الإسلامية على السيطرة على نظام التربية والتعليم ، وتوجيهه توجيهاً يخدم أغراضها خلال فترة الاستعمار الفعلية ، ويخدم مصالحها على المدى البعيد بعد انسحابها العسكري ، وكان لها ذلك . (**فرحان و آخرون : نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية ، ص ٢**) ، بل لقد عمل المستعمر على أن يوجد حجاباً بين الأمة المسلمة وتاريخها ـ ومنه تاريخ التربية ـ عن طريق اغفاله ، وتشويهه ، وتزويره ، ولا شك أن في كل ذلك دروس وعبر يجب أن تعيها الأمة الإسلامية التي لن تقال من عثارها حتى تستعيد هويتها الإسلامية الأصيلة المبنية على العقيدة الصحيحة ، وتراجع ذلك النموذج التربوي الفريد ، وهذه العودة تتمثل في أمور ، تأتي في مقدمتها دراسة تاريخ التربية الإسلامية دراسة أصيلة من خلال العقيدة الإسلامية المستقاة من الكتاب والسنة ، في ضوء المنهج الإسلامي ، ومن واقع المصادر الأساسية الصحيحة .

وفي هذا الفصل سوف يتناول الباحث أهداف ومنهج دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام ، ثم مصادر دراسة تاريخ التربية الإسلامية بصفتها الحل المنشود لمشكلات العالم التربوية ، خاصة الأمة الإسلامية فهي أمة ذات مبدأ وعقيدة ، ورسالة ودعوة ، فيجب أن تكون تربيتها خاضعة لهذا المبدأ والعقيدة ، وهذه الرسالة والدعوة ، مؤدية لواجباتها المتضمنة في المصدرين الأساسين كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

أولاً : أهداف دراسة تاريخ التربية :

التاريخ ليس صفحة مطوية من حياة البشر ، وإنما هو عمل أصيل في ضمير البشرية يحركها ، ويساعدها على تحديد معالم حياتها الراهنة ، وحجم طموحها في المستقبل ، وكيفية تحقيق هذا الطموح ، وقد أكد هذه الحقيقة وصفات المؤهل لإدراكها كتاب الله عز وجل بعد أن أشار إلى طرف من تاريخ مكذبي الأمم السابقة قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق : ٣٧) ، يقول (**ابن كثير**) رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : « إن في ذلك لذكرى » أي لعبرة ، « لمن كان له قلب » أي لبٌ يعي به . وقال مجاهد : عقل ، « أو ألقى السمع وهو شهيد » أي استمع الكلام فوعاه وتعقّله بعقْله وتفهمه بلبه ، وقال الضحّاك : العرب تقول : ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه ، وهو شاهد بقلب غير غائب (**تفسير القرآن العظيم ، ٣٥٤/٤**) .

والواقع أن من تتحقق لديه هذه المؤهلات يرى ـ بحق ـ مصارع الطغاة على صخرة الحق ، ويستفيد من دراسة التاريخ ؛ فقد أخبر الله عز وجل عن عدله في خلقه ، وأنه سبحانه لم يهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم والإنذار لهم ، وبعثه الرسل عليهم السلام إليهم ، وقيام الحجة عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (الشعراء : ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

وكثيرة الآيات القرآنية التي تأمر بالنظر في التاريخ ، وما يتضمنه من سنن الله تعالى في الأمم السابقة من أجل أخذ العبرة ، وسلوك سبيل المهتدين ، والحذر من سُبل الضالين وما يؤلون إليه من مصير بائس ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران :١٣٧) ، وقوله تعالى : ﴿ .. فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل : ٣٦) وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ

﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (غافر : ٨٢) . وها هو الرسول ﷺ يحذر أمته من الحال التي وقعت فيها الأمم السابقة وليأخذو العبرة من حالهم ومآلهم إذ يقول فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه : « ولا تختلفوا ، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٣ / ١٢٨٢**) .

هذا بالإضافة إلى دروس القصص القرآني عن الأمم الماضية ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يوسف : ١١١) .

نعم .. لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم ، وكيف نجّى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ، عبرة لأصحاب العقول ... « وما كان لهذا القرآن أن يُكذب ويختلق .. ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة من السماء ؛ فهو يصدِّق ما فيها من الصحيح ، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ، وفيه تفصيل كل شيء من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات ، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات ، إضافة إلى الإخبار عن الأمور الجليّة ، وعن الغيوب المستقبلية المجملة والتفصيلية ، والإخبار عن الربِّ تبارك وتعالى بالأسماء والصفات ، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقات ، فلهذا كان ﴿ هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويبتغون به الرحمة من رب العباد ، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد » . (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٧٧٠**) .

تلك إطلالة سريعة على الغرض من دراسة التاريخ ــ عامة ــ وهو الذي ينهض على أكتافه ــ إن صح التعبير ــ تاريخ التربية ، الذي يمكن إجمال أهداف دراسته في النقاط التالية :

١ ــ لقد أصبح الهدف من دراسة تاريخ التربية هو البحث عن الحقيقة ، أي استخلاص الحقائق التاريخية التربوية ثم تفسيرها والاستفادة منها (**حسانين : الوجيز في تاريخ التربية ، ص ٩**) .

إضافة إلى أن تاريخ التربية فن مهم لا غنى عنه لمن أراد أن يدرس علم التربية ، ويلّم بأصوله وقواعده على الوجه الأكمل .

٢ ـ معرفة تاريخ التربية تزيد المربين والمتخصصين بصراً بشئون التربية ، وخبرة بأحوال التعليم ، لكي يأتوا البيوت من أبوابها ، ويسيروا في طريقهم التربوي على هدى وبصيرة ، فيقيسوا الحاضر بالغابر ، ويعرفوا الأشباه والنظائر ، لكي يصلوا إلى الغايات من أقرب المناهج ، وأوضح المسالك .

٣ ـ دراسة تاريخ التربية تعصم المربين من الزلل الذي وقع فيه سابقوهم من الأسلاف ، والأمم الأخرى ، بما يعرضه ذلك التاريخ من طرائق السابقين ومقاصدهم وأسباب ما لاقوه من اخفاق أو نجاح .. إذ يصف تاريخ التربية ما تجشمه رجال التربية والتعليم من الصعاب في اختيار الأوضاع والأساليب ، وابتكار الطرق والأنظمة التي عبّدوا بها سبل التهذيب والتعليم . (**أمين : تاريخ التربية ، ص ٧**) .

بمعنى أن تاريخ التربية يبين أساليب التربية وموادها عند كل أمة وفي كل عصر ، ويقفو أثرها ويستقرئ أحوالها ، وما أصابها من رقي أو جمود منذ نشأتها في الأيام الماضية إلى المدى الذي وصلت إليه في الأزمنة الحاضرة ، بالإضافة إلى وصف النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المؤثرة في التربية تأثير كمال أو نقص .

٤ ـ يترجم تاريخ التربية للقادة من المربين ، ويقص على الأجيال اللاحقة ما يفيد من سيرهم وأخبارهم ، ويفسر ويشرح ما كان لآرائهم وأفكارهم وممارساتهم من الفضل في انهاض التربية ورفع شأنها ، فيقوي عزائم المربين ، ويثير هممهم بما يضرب لهم من تلك الأمثلة من الأسلاف الذين وهبوا للتربية نفوسهم ، وأنفقوا المضنون به من الأوقات والأموال ، وانْضَوا لها ركائب أعمارهم ، لعلمهم أنها خير وسيلة لبناء المجتمع ، وسعادة بنيه ، وفي هذا تسلية تحبب إلى المربين ما قد يلاقونه من نصب ، وتُهوِّن عليهم ما ينبغي أن يبذلوه من جهد وعناء . (**المرجع السابق ، ص ٧ ، ٨**) .

٥ ـ يقال إن التاريخ هو الفرق بين الإنسان الواعي وغير الواعي ـ ومنه تاريخ التربية ـ إذ أن غاية التاريخ هي جلاء الحاضر والكشف عن حقيقته ، ولا يتسنى ذلك ما لم ينفذ المؤرخ إلى حقيقة النزعات التي تسوق الوقائع والأحداث حتى « تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا » (**ابن خلدون : المقدمة ، ص ٩**) بمعنى أن المؤرخ لا يقص خبر الأحداث فحسب ولكنه يفسرها ويتحرى العلل في وقائعها ، والعوامل التي تسوقها ليفسر على ضوئها أحداث الحاضر الذي يعيشه .

والحقيقة أنه لا أمل في قوم يقطعون جذورهم من ماضيهم ، لأن النمو إلى أعلى يتطلب أن تكون الأصول راسية من تحتها . كيف وأساليب الحياة الحاضرة مستمدة من الماضي وتتأثر به عرف ذلك الناس أم جهلوه ، على أن لا ينسى المسلم أن ماضي الأمة الإسلامية ليس كماضي أي أمة أخرى ـ خاصة القرون المفضلة ـ التي أشار إليها رسول الهدى ﷺ بقوله فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « بعُثْتُ من خير قرون بني آدم ، قرناً فقرناً ، حتى كنت في القرن الذي كنت فيه » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٣ / ١٣٠٥**) . وقوله فيما رواه عبد الله رضي الله عنه : « خير أمتي القرن الذين يلوني . ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .. » (**مسلم: صحيح مسلم. ٤/١٩٦٢**) ، ومن سار على منهجهم ، وطريقتهم في التمسك بمباديء الكتاب والسنة في مختلف العصور، وإنه لحق : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ولعل نظرة فاحصة ودقيقة إلى بعض المشكلات التربوية التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم تجعل المربين المسلمين يشعرون بالحاجة إلى البحث وراء جذورها التاريخية للتمكن من التصدي لها ومعالجتها معالجة سليمة ، وتاريخ التربية يختزن الكثير من التجارب التي يمكن الإهتداء بما وصلت إليه من نتائج في تكييف الحاضر ورسم المستقبل كما ينبغي أن يكون ، وأكمل نموذج للتربية عرفته البشرية ذلك

النموذج الذي رسمه الرسول ﷺ وأصحابه ، في فترة تنزل الوحي عليه ﷺ واتصال السماء بالأرض ، وتلك الفترة يجب أن تكون كالمرآة للمسلمين ينظرون بواسطتها لما حولهم من الأشياء وما يوجد بساحتهم من القضايا التربوية وغيرها (**الحربي : التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ ، ص ٧**) .

٦ ـ دراسة تاريخ التربية توقف المتخصصين على تفاعل الآراء وتطاحن الجهود التي قام بها كبار المفكرين والعلماء التربويين على مدى أجيال متعاقبة وهم يخططون للجنس البشري وسائل التربية لكي يساهموا في مسيرة الحضارة ، كما تطلعهم على ملامح الشعوب وخصائصها في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً ، وما يمكن أن يبشر به المستقبل من تغيرات وحلول للأزمات المختلفة ، والعاقبة للتقوى كما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه : ١٣٢) ، وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف : ١٢٨) ، وقوله سبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص : ٨٣) ؛ والعاقبة « أي حالة الفلاح والنجاح التي تستقر وتستمر ، لمن اتقى الله تعالى. وغير المتقين ـ وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة ـ فإنه لا يطول وقته ، بل يزول عن قريب » (**السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٦ / ٦٣**) .

٧ ـ تمتاز دراسة تاريخ التربية بأنها مجموعة لدراسات تحليلية تهتم بتطور المبادىء والأساليب التربوية ، وأسباب وعلل تلك التطورات ونتائجها ، وما يمكن أن تؤدي إليه من تطلعات في المستقبل ، كما توضح تلك الدراسات وحدة الجنس البشري ، والتقاؤه حول الإهتمام برسالة التربية ، تلك الوحدة التي تؤتي ثمارها كلما التقت بالتوحيد ، فعند ذلك تتخطى كافة الحدود المصطنعة ، والمعوقات المفتعلة بقوة ومضاء .

٨ ـ دراسة تاريخ التربية تؤدي إلى فهم قيمة ما يمكن أن تصبو إليه التربية من تقدم في عصر من العصور ، عن طريق الوقوف على جهود علماء السلف وتسلسلها الذي أوصل الخلف إلى ما يكونون عليه ، الأمر الذي يحفزهم على القيام بدورهم في إثراء العملية التربوية ، والاضافة المبدعة فيها من حيث الأساليب والوسائل التي تساعد على تحقيق الغايات والأهداف السامية .

والأمثلة الحية على كل هذا متوفرة ، تنفذ بالأجيال الحاضرة إلى فهم ماضي البشرية وتطورها وصعودها في سلّم الرقي الذي لا يتوقف إلا بتوقف الجهود وجمودها ، ولعل أعظم شاهد على ذلك هو مسيرة التربية الإسلامية .

فعلى سبيل المثال يلاحظ أنه في مطلع الإسلام انبثقت التربية الإسلامية من وحي السماء المنزل على الرسول ﷺ ، وشخصيته الكاملة التي طبقت أوامر الوحي واقعاً يمشي على الأرض . وحوله ﷺ رجال أثمرت فيهم تربيته ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واستطاعوا معه وبعده أن يساهموا في إحياء البشرية من مواتها . ونشر راية الحق والخير والرحمة في انحاء العالم . وسار على نهجهم من جاء بعدهم في عصور النور الإسلامية فأفلحوا ونجحوا . وعندما تخلى المسلمون عن مبادىء التربية الإسلامية المنبثقة من الكتاب والسنة ، لجأوا إلى الجدل العقيم وتعلقوا بالقشور في البحث العلمي . وانساقوا مع الفلسفة العقيمة ، وتركوا لُبَابَ الحقيقة ، عندئذ هبط المسلمون من عليائهم ، وتنازعوا ، وفشلوا وذهبت ريحهم ، وعثى فيهم العدو المتربص بهم فساداً .

ولما قامت حركة الإصلاح الديني التي نادى بها علماً وعملاً الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، آتت تلك الحركة ثمارها عودة إلى منهج الله سبحانه ، وسيطرت التربية الإسلامية من جديد

على مجرى الحياة ، والأحياء في المملكة العربية السعودية ، إذ طبقت أحكام الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا أقرّ الأمن في أرجاء المملكة ، وزالت عن عقول الناس غياهب الأوهام والخرافات التي نشأت نتيجة البعد عن منهج الله ، وعاد الناس إلى الأخذ بالعقيدة الإسلامية الصحيحة المنبثقة من كتاب الله العزيز ، والسنة النبوية المطهرة ، وبناء الأعمال على هديها .

والخلاصة أن تاريخ الأمة يساهم في صياغة مناهجها التربوية وتحديد خطوطها الرئيسية ، لأن التاريخ رصيد عملي وتربوي يمثل هوية الأمة وأصالتها فلا غرو أن ينعكس على واقع الأمة ومستقبلها التربوي والحضاري ، وبالتالي يساهم في صبغ الأجيال الحالية واللاحقة بملامحه التاريخية .

وهذا التصور للتاريخ ، حقيقة تشترك فيه أمم الأرض كلها .. ولكن الإسلام وحده نظام حياة يختلف عن النظم الأرضية .. والتاريخ الإسلامي يشكل ثروة عظيمة من المعارف والأفكار التربوية والثقافية ، وتاريخ التربية الإسلامية يستمد أهميته وأهدافه من أهمية التاريخ الإسلامي والتي يمكن الإشارة إليها بإيجاز في النقاط التالية :

أ ـ التاريخ الإسلامي يمثل تاريخ خاتمة الرسالات الدينية ، فقد بدأ بنزول الوحي على نبينا محمد ﷺ ، ومنذئذ ظل هذا التاريخ مَعْلماً بارزاً في تاريخ البشرية .. لأن تلك الرسالة السماوية كانت نقطة تحول كبيرة في حياة البشر ، وأصبح التاريخ سجلاً لهذه الرسالة التي حدد الباري عز وجل مهمتها العظيمة التي تؤديها ، كما بين سبحانه القواعد والضوابط التي يتم بها أداء هذه المهمة ، ليخرج للعالم أمة فريدة ، هي الأمة الوسط ، التي حمّلها الله تعالى مسئولية الشهادة على الناس ، والقيادة لهم ، وتقويم سلوكهم بقيم الدِّين ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) ، وهي الأمة المسلمة صاحبة النبوة الخاتمة والرسالة المعيار كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

ب ـ التاريخ الإسلامي يغطي مدى زمنياً واسعاً من تاريخ البشرية ، فقد مضى على مجيء الرسالة الإسلامية خمسة عشر قرناً من الزمان اشتملت على تغيرات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية بالغة الأهمية ، مرت بالمجتمعات الإسلامية ، وقد تباينت طبيعة تلك التغيرات من عصر لآخر ، حيث كان العصر الأول هو النموذج الأمثل للحياة الإسلامية في جميع جوانبها ، ثم تتابعت العصور وانتشر الإسلام في بقاع مختلفة من العالم ، وقامت دولة الإسلام من شرق آسيا إلى غرب أفريقيا ، وحلت القوة الإسلامية محل كيانات سياسية ـ الفرس والروم ـ اعتراها الضعف الإنساني والاجتماعي والسياسي ، حيث أقام الإسلام في مكان تلك الكيانات نمطاً إنسانياً فريداً من المجتمعات ، وكان لانتشار الإسلام تأثير روحي عظيم ، أثمر تحولاً اجتماعياً وفكرياً هائلاً في حياة الشعوب التي دخلت فيه على كافة الجوانب ، ولا غرو فالإسلام طريقة عملية للحياة ، وليس اعترافاً شفوياً أو فكرياً فقط .

جـ ـ امتدت دولة الإسلام عبر رقعة واسعة من العالم ، وانصهرت شعوبها في بوتقة فكرية واحدة ، تحت راية التوحيد ، وكانت تجربة فريدة للكيفية التي برز بها المسلمون ، قوة مهابة لها وزن كبير استمدته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، بنصرها لدين الله ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد : ٧) . وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون : ٨) . وما أحوج المسلمين اليوم إلى أن ينصروا الله في أنفسهم ليكتب لهم النصر على أعدائهم ويمكّن لهم في الأرض كما وعدهم ، ووعده تعالى حق ، ومن أصدق من الله حديثا ، لا أحد !! .

د ـ التاريخ الإسلامي يحتوي على معارف وأفكار تتسم بالإتساع والتنوع ، والإبداع والأصالة في كافة ميادين العلوم والمعارف المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة ، وذلك حسب ما سجلته المصادر التاريخية التي عنيت بانجازات المسلمين في مجال الحضارة الإنسانية .

هـ ـ التاريخ الإسلامي سجل متصل برسالة روحية ذات منهج متكامل للحياة الإنسانية. ولذا فقد اشتمل على قيم ومفاهيم يتألف منها منهج فريد لتربية الناشئة ، والشباب المسلم .

تلك نماذج للثمرات التي يمكن أن تُجنى من دراسة تاريخ التربية ـ خاصة التربية الإسلامية ـ ولن يتحقق جني تلك الثمار إلا بواسطة المنهج السليم ومن خلال المصادر الأساسية لذلك التاريخ ، وهذا ما سيتجه إليه الباحث الآن .

ثانياً : منهج دراسة تاريخ التربية :

تتضمن معاجم اللغة العربية ثلاث كلمات بمعنى واحد وهي : النَّهْجُ ، والمنهج ، والمنهاج ، وهي تعني : الطريق الواضح والخطة المرسومة ، إذ يقال : انهج الطريق إذا استبان وصار شيئاً واضحاً بيّناً .

ونهجت الطريق إذا أَبَنْتُه وأوضحته ، ونهجت الطريق أيضاً إذا سلكته ، وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه (**الجوهري : الصحاح ، ١ / ٣٤٦**) ، فهو يعني السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٨٩**) .

وقد وردت كلمة « منهاج » في كتاب الله الكريم ، في قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا .. ﴾ (المائدة : ٤٨) ، يقول (**السعدي**) رحمه الله في تفسيره لهذه الآية « [لكل جعلنا منكم] أيها الأمم [شرعة ومنهاجاً] أي سبيلاً وسنة . وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم ، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعيتها . وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان ، فإنها لا تختلف ، فتُشْرَعُ في جميع الشرائع » (**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٢ / ٣٠٠**) . وفي الآية إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام عليهم السلام من الشرائع المختلفة في الأحكام ، المتفقة في التوحيد ، كما ثبت في صحيح (**البخاري**) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « والأنبياءُ إِخوةٌ لِعَلَّاتٍ[1] أُمَّهاتُهم شَتَّى ودينُهم واحِدٌ » (**صحيح البخاري ، ٣ / ١٢٧٠**) . وهو دين التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمّنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥) ، وقوله

(١) هم الأخوة لأب واحدٍ من أمهات مختلفة ، والمعنى أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول ، وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزمن ، وحسب العموم والخصوص .

تعالى : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل : ٣٦) . وهذا يفيد أن النسب الحقيقي هو نسب العقيدة والإيمان ، وأن به يكون التفاضل ؛ وليس بالآباء ، وأن على العقيدة يقوم المنهج في مختلف ميادين الحياة . وبسلامتها يسلم المنهج ويصح .

وقد كان العلماء المسلمون يعبرون عن المنهج في ميدان العلوم الشرعية بالأصول والقواعد ، ولذلك قاموا بوضع أصول وضوابط للبحث في مختلف العلوم ، مثل أصول التفسير المتمثلة في القواعد والضوابط التي يحتاج إليها المفسر لكتاب الله . (**الزركشي : البرهان ، ٢ / ١٤٧ ــ ٢١٤**) ، وأصول الحديث ، وهو ما يعرف بـ « المصطلح » الذي يقوم على القواعد الدقيقة الصارمة لقبول الحديث النبوي ، والموازين الدقيقة لتصحيح الأخبار (**ابن الصلاح : علوم الحديث**) ، وأصول الفقه الذي يمثل « مجموعة القواعد العامة التي تستخدم في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية » (**الأشقر : الواضح في أصول الفقه ، ص ٩**) .

وفي الميدان التربوي استخدم مصطلح المنهج والمنهاج للدلالة على أكثر من معنى ؛ ومنها المناهج الدراسية بالمفهوم الشامل والواسع للمنهج ، أو المفهوم الضيق الذي يقصره على المواد الدراسية (**خياط : الجامعات الإسلامية ، ص ٧٥**) ، وهناك مناهج للبحث في مختلف العلوم مثل مناهج البحث في العلوم التربوية ، ومنها تاريخ التربية وهي الطرق أو الأساليب التي يسلكها الدارس أو الباحث لتقصي الحقائق التربوية بضوابط معينة .

وكذلك المنهج في الدراسات التاريخية فإنه يعني : الشروط ، والقواعد التي لا بد من مراعاتها في معالجة الأحداث التاريخية ، سواء بالكتابة والتأليف ، أم بالدراسة والتعليم ، وتشمل شخصية المؤلف أو الكاتب ، والمصادر التي يعتمد عليها ، بالإضافة إلى الغاية والهدف من الدراسة والكتابة ، ومنها ما يتعلق بالأسلوب والمصطلحات .

وهنا مسألة يحسن التنبيه عليها ؛ وهي ما يراه بعض المؤرخين من التفريق بين نوعين من دلالة لفظ المنهج ، فإنها قد تطلق ويراد بها : مجموعة المبادىء والتصورات والقيم التي يجب أن يلتزم بها الباحث في اختياره لموضوع بحثه والتوصل الى الحقيقة ، وكيفية استعماله للنتائج . كما تطلق ويراد بها : طريقة معينة في البحث العلمي في علم من العلوم ، والذي يحدد المراد بلفظة المنهج هو الشيء الذي تتم إضافتها إليه ؛ ومن هنا جاء التمييز بين مصطلحين هما :

* المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ .

* ومنهج إثبات الحقائق التاريخية .

فالأول يدل على المبادىء والتصورات التي جاء بها الإسلام كحدود ومنطلقات عامة تحكم دراسة التاريخ وتفسيره في ضوء المبادىء والمفاهيم الإسلامية . كما هو الحال في أي مبادىء أو مفاهيم تقوم على تصور أو نظرية معينة ، ولكل عقيدة أو تصور منهج خاص .

أما المصطلح الثاني فإنه يدل على الطرق والقواعد التي وضعها العلماء من أجل الاستعانة بها على الوصول إلى صحة المعلومات والتأكد من صوابها . وبهذا المعنى يصبح المنهج ممكن الاستخدام من قبل الباحثين ، وإن اختلفت مناهج حياتهم ، وعقائدهم ، وتصوراتهم . (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٩٠**) . ومن المنطلق الثاني جاءت رؤية بعض المؤرخين للمنهجية التي يرى اتباعها في دراسة التاريخ على أنها : « الطريقة التي تتبع في جمع المادة التاريخية ، وترتيبها ، والاستفادة منها » (**مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، ص ٥١**) . إن هذا التعريف يؤكد على استخدام الطريقة العلمية في جمع المادة التاريخية ، وترتيبها ، والاستفادة منها ، ولكن صياغته بصورة عامة وغير منضبطة ؛ إذ يمكن تكييفها على يد أي باحث أو مؤلف في التاريخ ــ سواء العام أو تاريخ التربية ــ في إطار العقيدة التي يؤمن بها ، والتي تؤثر ــ لا محالة ــ في خطوات الطريقة ومراحلها المختلفة ويحسب الباحث أن

الفصل بين هذين المصطلحين ، فصل لا حاجة له ـ إلا من أجل التوضيح والدراسة ؛ إذ أن التصورات والقيم والمبادىء تعتبر موجهاً مهماً من موجهات مناهج البحث . وهذا ما يلح على الباحث بضرورة تقديم فكرة موجزة عن اختلاف مناهج البحث في تاريخ التربية تبعاً للتنوع الفكري ، أو العقدي ، قبل التحدث عن منهجية البحث التاريخي في دراسة تاريخ التربية .

(أ) تأثير العقيدة أو المذهب الفكري في مناهج البحث في تاريخ التربية :

لا شك أن العقيدة لها أهمية عظيمة في حياة الإنسان ، بل في حياة البشرية جمعاء ، إذ أن العقائد هي الركائز والأسس التي تقوم عليها المبادىء والتصورات ، والشرائع ، فالبشر أسرى المعتقدات والأفكار ، ولكل أمة من الأمم مفاهيم وتصورات خاصة عن الإنسان والكون والحياة ، وقبل ذلك وبعده عن علاقة كل ذلك بالخالق سبحانه ، وهي تنطلق من عقيدتها التي تؤمن بها ، وتحافظ عليها ؛ فالذين يعتقدون أن الله هو ربهم ومعبودهم ، وأن مصيرهم إليه ، وأن الدنيا معبر وطريق إلى الدار الباقية يقيمون حياتهم وفق شريعة الله ، بحيث تهيمن هذه الشريعة على تصرفاتهم وأعمالهم ومناهجهم ، والذين كفروا بالله ، وقالوا بأزلية المادة ، أقاموا حياتهم وفق معتقداتهم ، وعملوا لهذه الحياة : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ .. ﴾ (الجاثية : ٢٤) .

ولا شك أن العقائد تستولى على أنفس أصحابها ، وتدفعهم لبذل أموالهم وأنفسهم في سبيل تحقيق ما يعتقدونه ، وهم راضون مطمئنون ، وهذا هو السر في إنتصار أصحاب العقائد وعدم تنازلهم عن مبدئهم على الرغم من الآلام والمصائب التي تعترض طريقهم ، ثم إن ضلال الإنسان في معتقده يجر عليه البلاء ، ويضل عمله وسعيه ، ويحمله على إضلال غيره وظلمه ، وأعظم خلاف حصل في تاريخ البشرية هو الاختلاف حول قضايا الاعتقاد ، ولذا كانت أعظم مهمات الرسل ـ عليهم السلام ـ تصحيح عقائد البشر الزائفة ، وتصحيح تصوراتهم عن الله والكون والحياة (**الأشقر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ص ٨١ ـ ٨٢**) ؛ وذلك بواسطة التربية ، وهي الأداة

الفاعلة في تغيير العقائد ، وترسيخها ، والعقيدة التي جاء بها الرسل ضرورية للبشر لأنها تحرر العقل من الخرافة ، وتفسر للإنسان سر وجوده في الحياة ، وتدله على مصدر وجوده ومصدر وجود الكون كله ، كما تعرفه بالعلاقة بينه وبين الله سبحانه خالقه ومدبره ، وبينه وبين الكون ، وتحدثه عن العوالم الأخرى التي هي من علم الغيب ، وتبصره بمصيره بعد الحياة (**المرجع السابق ، ص ٨٥**) .

ونتيجة لتعدد وتنوع العقائد ، تنوعت المناهج والمذاهب الفكرية التي تناولت دراسة العلوم بما فيها العلوم التربوية ومنها تاريخ التربية ، إذ أن كل دارس يُقْدِمُ على دراسته ولديه تصورات ، وتفسيرات ، وخلفية فكرية عن التفاعل بين الكون والإنسان والحياة والمعرفة في إطار العقيدة أو المذهب الفكري الذي يحمله ، ويؤمن به ، وهو الذي يحدد لعقله موضوع المعرفة وأصول التفكير وضوابطه ، وبالتالي ينعكس تأثير تلك العقيدة على اختيار الباحث للموضوع الذي يدرسه ، وللمنهج المناسب لموضوع دراسته . وهذا يستوي فيه الباحث المسلم مع سواه ، ولكي تتضح أهمية نظرة الإسلام إلى منهج دراسة تاريخ التربية ، وتقدر حق قدرها لا بد من الإشارة إلى نظرات أخرى سابقة أو لاحقة لأنه كما يقولون : وبضدها تتميز الأشياء .

إن المنهجية في إطارها الوضعي الذي يمكن التمثيل له بالفكرالليبرالي ، والفكر الماركسي تختلف عن المنهجية في الإطار الإيماني والإسلامي ، فالمنهجية الوضعية عند حضارة الغرب الحديثة ، ارتكزت على فهم جزئيات الحياة بالعلوم والقوانين التي تفسر وقائع الطبيعة ، والاعتماد على الاختبارات المعملية للتوصل إلى المعرفة التي تضع حدودها في إطار الفهم الجزئي للوجود ، ولكن ارتباطها بمذهبيات هذه الحضارة كان أشد وأوثق ؛ الأمر الذي أفضى إلى تطويع منهج الفكر لتحقيق الغايات المذهبية ، وتسخير النتائج لمصالح تلك المذهبية ، ولو أدى الأمر إلى انتهاك قواعد الأخلاق .

وأوضح تأثير للمذاهب الفكرية المادية برز في نطاق ما عرف ـ اصطلاحاً ـ بالعلوم الإنسانية ومنها العلوم التربوية وذلك في نماذج البحث التصورية ، وما يتبع ذلك

من تباين في طرق البحث للقضية المدروسة ، وأيضا اختلاف المعايير والمقاييس ، وما تؤدي إليه من نتائج يترتب عليها مفارقات شتى (**عبد المتعال : المنهجية الإسلامية ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧**) .

ولقد خُدِع المسلمون طويلاً بالنظريات التي طرحتها الليبرالية ثم الماركسية ، وما قام عليها من مناهج خاصة في ميدان التربية ، وما أسبغته من نظرة استعلائية على الطريقة العلمية تجلت في تفضيل نتائج الدراسات التجريبية الحسية ، على نتائج الدراسات النظرية ، بهدف ابعاد المعرفة الغيبية . ولكن التجربة أثبتت هناك ، وفي العالم الإسلامي أيضاً فشل تلك المناهج ، وأنها مناهج ناقصة اعتمدت على الفلسفة المادية ، والتفسير المادي للتاريخ ، وتنكرت لجوانب الإنسان الروحية والمعنوية ، ولعدم اعترافها بالوحي والنبوة والغيب والبعث ، وبذلك فقدت جانباً كبيراً من وسائل القدرة على تقييم الأمور ، والحكم عليها (**الجندي : كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ، ص ١٦٧**) .

ولقد حقق الإسلام للعقل المسلم نقلة منهجية في ضوء الإيمان والعقيدة الصحيحة امتدت باتجاهات ثلاثة كما يقول (**عماد الدين خليل**) في كتابه (**حول إعادة تشكيل العقل المسلم**) وهي :

(أ) السببية : حيث منحت آيات الله البينات في كتابه العزيز وبيانها في سنة الرسول ﷺ العقل المسلم رؤية تركيبية للكون والحياة والإنسان والوجود .. تربط وهي تتأمل وتبحث وتعاين وتفكر بين الأسباب والمسببات ، حيث أكدت سور القرآن وآياته على ضرورة اعتماد الرؤية السببية للظواهر والأشياء من أجل الوصول إلى معجزة الخلق ووحدانية الخالق سبحانه .. ومن خلال هذا التأكيد ذي الارتباط العميق بالموقف الإيماني عموماً تحققت للعقل المسلم رؤية عقلية استطاع من خلالها الوصول إلى حقيقة أن الكون تعبير عن إبداع الخالق سبحانه ، وتحكمه قوانين واحدة ، وأسباب واحدة ، ونواميس واحدة ، تصدر عن إرادة واحدة .. ومن هنا أصبح الكشف عن السببية

والأخذ بشروطها المنهجية كسباً كبيراً للعقل البشري ، واضافة قيمة مكنته من إعادة التشكّل في صيغ أكثر قدرة على العطاء والإبداع ..

(ب) القانونية التاريخية : حيث كشف الإسلام ـ لأول مرة في تاريخ الفكر ـ الغطاء أمام العقل البشري عن حقيقة منهجية عظيمة هي : أن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى وعلى غير هدف ، وإنما تحكمه سنن ونواميس مثل السنن التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء .. سواء بسواء .. وأن الوقائع التاريخية لا تخلق بالصدفة ، وإنما من خلال شروط خاصة تمنحها هذه الصفة أو تلك ، وتوجهها صوب هذا المصير أو ذاك .. وتوجد أصول ذلك المنهج المتكامل للتعامل مع التاريخ البشري والدعوة إليه في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

(جـ) منهج البحث الحسي التجريبي : حيث كشف النقاب عنه ، ونظّمه ، وأكّده الإسلام في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، عن طريق دعوة الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية بواسطة النظر الحسي إلى ما حولهم ابتداء من مواقع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون ، إضافة إلى إعطاء الحواس مسؤوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب . (ص ٤٨ ـ ٦١) .

وقد آثر الباحث أن يرجىء سوق المزيد من الأدلة والأمثلة على هذه المنهجية الإسلامية إلى أماكنها المتفرقة في هذه الدراسة إذ أنها هي المحور الذي يقوم عليه التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

ويمكن الاكتفاء هنا بالإشارة إلى أن العلوم التربوية تستطيع في ضوء الإسلام أن تستخدم المنهج التاريخي والتحليلي ، والتجريبي وغيرها من المناهج ، على أن يستخدم كل منهج في المجال الذي يصلح له ، ومن ذلك استخدام المنهج التاريخي في دراسة تاريخ التربية حيث لا تصلح دراسة حقائقه التاريخية بالمنهج التجريبي .

(ب) منهجية البحث التاريخي :

يميز بعض علماء مناهج البحث بين مستويين للمنهج التاريخي ، الأول : منهج البحث التاريخي باعتباره أداة أو طريقة للبحث ، ويقصد به : « التبني المبسط لحركة التاريخ في كل الظواهر الإنسانية والطبيعية .. حيث تخضع أي ظاهرة في بحثها لثلاث مراحل كيف نشأت ؟ ثم كيف تطورت ؟ ثم كيف آلت ؟ أي ما النتائج والآثار التي ترتبت عليها ؟ » (**فكّار : لمحات عن منهجية الحوار ، ص ١٤**) .

وهذا المستوى من المنهج التاريخي مستوى عام ، يمكن لكافة العلوم أن تستخدمه ، ليصبح لكل علم تاريخه .

أما المستوى الثاني : فهو منهج البحث التاريخي باعتباره قدرة شارحة ، ويمكن التمييز فيه بين ثلاثة مستويات كالآتي :

(١) مستوى منهج المؤرخ ، وفي هذا المستوى يعتمد المنهج التاريخي على أساس معين يتمثل في احتفاظ الباحث أو المؤرخ بتسلسل الأفكار عبر التاريخ ، حين رصده للوقائع التاريخية ، وهنا يتضح بشدة أثر شخصية المؤرخ ، وعقيدته ، وانتمائه على تدوينه للتاريخ « فيمدح إن أحب ، ويسيء إن كره ، ويختزل إن كانت الفترة لا تعنيه ، ويتوسع إن كانت الفترة تعنيه » (**المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥**) .

(٢) مستوى علمية التاريخ ، وفي هذا المستوى لا يكتفي المؤرخ بسرد الوقائع التاريخية ، بل ينصبُّ اهتمامه على استجواب التاريخ عن طريق إخضاعه لمعايير علمية منها :

« - الرجوع إلى المصادر والمراجع المتعددة ، بحيث لا يكتفي بمصدر واحد مهما كانت درجة الثقة فيه .

- الاحتكام للعوامل المتعددة في صياغة التاريخ ، كالعوامل الاقتصادية ، والسياسية ، والسكانية ، والدينية ، والنفسية وغير ذلك .

- وضع الوقائع التاريخية في بيئتها باعادة صياغتها في حاضر أصبح ماضيا ، ويتم ذلك برصد ما لا يتكرر من الوقائع » (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ١٩ ، ٢٠**) .

ويلاحظ الباحث على هذه المعايير أنها جعلت الدين أحد العوامل المؤثرة في صياغة التاريخ ، وجاء ترتيبه بعد العوامل الاقتصادية ، والسياسية ، والسكانية . وهذا الأمر لا يليق بالدين الإسلامي حيث أن المؤرخ المسلم يجب عليه أن لايعتبر الإسلام عاملاً من العوامل المؤثرة ـ كما يرى الماديون ومن تأثروا بمنهجهم في دراسة تاريخ التربية ـ بل إن الإسلام هو الموجه لكافة العوامل ، وهو الذي يضعها في مسارها الصحيح .

ويهدف هذا المستوى إلى تصحيح التاريخ ، وتنقيته مما قد علق به من تغميض ، وتعتيم ، وذاتية المؤرخين (**فكّار : لمحات عن منهجية الحوار ، ص ١٦**) .

(٣) مستوى تفسير التاريخ ، وهدفه تعليل الوقائع والأحداث التاريخية الصحيحة ، واستنباط النتائج التي تعين على استكشاف مآلية التاريخ بصفته فعل ، وليس بصفته فكر (**المرجع السابق ، نفس الصفحة**) .

ومستوى تفسير التاريخ يفتقر إلى إطار معين ؛ يعين المؤرخ على فهم التاريخ وتفسيره ، ويتمثل في فهم غائية التاريخ ومنطقه الأساسي الذي يقوم على جملة من العلاقات على قمتها علاقة الإنسان بالخالق عز وجل ، ثم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، وعلاقة الإنسان بالكون كله . وتلك العلاقات تعتبر أساسية لفهم الأحداث التاريخية وفهم مجريات الأمور فهما سليماً . (**العرفي : المدخل إلى التاريخ العربي ، ص ٢٩**) .

وهكذا لم يصرح العرفي بأن الإطار الذي يعين المؤرخ على فهم وتفسير التاريخ هو الإسلام ، ولكن الباحث يؤكد أن التفسير الأمثل للتاريخ هو التفسير القائم على العقيدة الصحيحة ، وليس من عقيدة صحيحة على وجه الأرض ـ اليوم ـ إلا العقيدة الإسلامية ، وعلى أساس الالتزام بمقوماتها ، وقيمها ، وتصوراتها ينبغي أن يقوم المنهج الإسلامي في دراسة تاريخ التربية ، وفي ضوئها تقاس أعمال المؤرخين والباحثين المسلمين وغيرهم ، كما توزن مناهجهم ومذاهبهم في البحث والتأليف .

والالتزام بالمفهوم العقدي الإسلامي في منهج دراسة تاريخ التربية يعتبر مفرق الطرق بين الباحث المسلم ، والباحث غير المسلم ؛ فالباحث المسلم ينطلق في بحثه عن الإنسان ، وحركته ، وتفسير تاريخه ، وطريقة تربيته من منطلقات ثابتة ، وطمأنينة علمية تحكمها العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتصورها الشامل عن الوجود ، النابع من الوحي الصادق المنزل من الله العليم الخبير إلى رسوله ﷺ ، وعليه تقوم التربية في الإسلام .

أما غير المسلم فإنه لعدم اهتدائه بالوحي الرباني في تفسير الوجود ، وجهله بحقيقة الربوبية والعبودية الخالصة لله عز وجل ، وغفلته عن وظيفة الإنسان التي خلق من أجلها ، وعدم معرفته لحقيقة نشأته ومصيره ، ولعلاقته بالكون من حوله ؛ فإنه يخبط بالظنون والأوهام ، ويرجم بالغيب بدون دليل ، ولا برهان . (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٩١**) .

وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ ـ عامة ـ وتاريخ التربية خاصة ؛ في وقت غاب فيه المنهج المهتدي بهدي الله سبحانه ، وفقدت الضوابط الشرعية ، فسادت الفوضى الفكرية في الحياة العلمية والثقافية ، متمثلة في ضياع المقاييس ، وضياع الرؤية الشاملة ، وكثرة الإجترار والتكرار ، وعدم إبصار الأولويات بل وصل الأمر إلى ا لإجتراء على القول في دين الله بغير علم ، وتفسير نصوصه بلا فقه (**حسنة : تقديم لكتاب الفكر المنهجي عند المحدثين ، ص ٩**) .

(جـ) مداخل دراسة تاريخ التربية :

برزت في الساحة التربوية عدة أساليب أو مداخل لدراسة تاريخ التربية ؛ يمكن إيجاز القول عنها كما يلي :

١ ـ مدخل المفكرين التربويين :

يسلك بعض دارسي تاريخ التربية هذا المدخل ؛ فتكون حياة وآراء أعلام التربية محور دراستهم ، بصفة أولئك الأعلام يمثلون القيادات الفكرية ؛ التي تمثل عقل

الأمة ومن ثم تأتي أهمية دراستها في إطار ظروف مجتمعها ، ليتوفر للمجتمع ـ أي مجتمع ـ مجموعة من النماذج التي تعتبرمصدراً جيداً لحفز الهمم واستثارتها ، وقدوة يقتدى بها ، لا في تجليات تلك القيادات في الفكر والإبداع ، بل في تناول قضايا العصر ، وما اتسمت به تلك القيادات من جدية ومثابرة وعمق فكري ، مع استجابتها لظروف عصرها (**النقيب : فلسفة التربية عند ابن سينا ، ص ٢ ، ٣ من مقدمة سعيد اسماعيل علي**) .

ومن الأمثلة على هذا المدخل ـ وهي كثيرة جداً ـ دراسة حسن بن علي الحجاجي . بعنوان : الفكر التربوي عند ابن القيم ، وقد تناول فيها الباحث ترجمة هذا العَلَم ، ومكانته العلمية ، ومؤلفاته ، ومنهجه في التأليف ، ومصادره ، وأخلاقه ، وشيوخه وتلاميذه ، وأقوال العلماء فيه ، وعصره الذي عاش فيه ؛ ثم فرَّق آراءه التربوية على بقية فصول الدراسة .

وهذا المدخل ؛ وإن كان أكثر تشويقاً وجذباً للقارىء إلا أنه قد يؤدي إلى تأكيد دور المفكرين التربويين ، مع التقليل من شأن الظروف الموضوعية التي ساهمت في تشكيل فكر أولئك المفكرين ، إضافة إلى ما يغفله من الشعور بالاتصال الزماني والمكاني ، طولياً وأفقياً بين المفكرين التربويين ـ خاصة إذا كان الباحث غير معدّ الإعداد المطلوب ـ فيظهر كل واحد منهم وكأنه منقطع الصلة بمن هو قبله ، ومن هو بعده ، بعيداً عن المؤثرات الأخرى .

وقد يغري مدخل المفكرين التربويين بعض الباحثين باستغراق جزء كبير في الكتابة عن التاريخ الشخصي للمربي من أجل فهم فكره وآرائه . وهذه الطريقة قد تُفقد الباحث أو القارىء الوقوف على الأطر الرئيسية الكبيرة للفكر الإنساني (**أحمد وآخر : تاريخ التربية والتعليم ، ص ١١ ـ ١٢**) .

وعلى أية حال فإنه يمكن الاستدراك على ما ذُكر بأن الباحث المسلم الذي يختار هذا المدخل ينبغي عليه أن يضع في إعتباره أهمية استقصاء المنطلقات العقدية التي يقوم عليها فكر المربي ـ موضع الدراسة ـ ومدى قربه أو بعده من

هدى الله سبحانه وتعالى ، بالإضافة إلى استقصاء القوى والعوامل التي يكون لها تأثير ما في تشكيل فكر المربي ، وآرائه التربوية ، ومحاكمة ذلك كله في ضوء النصوص الشرعية في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

٢ـ مدخل القضايا التربوية :

من الدارسين لتاريخ التربية من يختار قضية معينة من قضايا التربية الأساسية ، ويقوم بتتبعها عبر التاريخ من أقدم العصور التاريخية حتى عصره ، لمعرفة الظروف التي نشأت فيها ومراحل تطورها .

ثم ينتقل من قضية تربوية إلى قضية أخرى . كأن يدرس مثلاً تطور العلاقة بين الاقتصاد والتعليم كالدراسة التي قام بها محمد عفيفي بهذا العنوان ، ومن هذا النوع أن يكون محور الدراسة مفهوماً من مفاهيم التربية الأساسية ، مثل الطبيعة الانسانية أو غيرها ، ويكون عمل الباحث تتبع مختلف الاتجاهات والآراء التي ظهرت بخصوص موضوع الدراسة وتطوره ، وإلى أي شيء آلت مثل دراسة سعيد إسماعيل علي (النزعة العقلية في الفكر الإسلامي) .

ويمكن أن يكون محور الدراسة اتجاهًا تربوياً معيناً كالاتجاه الطبيعي ، أو الاتجاه المثالي ، اللذين برزا في التربية الغربية .

وتتميز هذه الطريقة بالوحدة الفكرية التي تتخطى حدود الزمان والمكان ، كما تتيح فرصة تتبع التطور التربوي الذي لحق القضية محور الدراسة ، وتقدم كافة الآراء والأفكار الخاصة بها في إطار موحد .

ومن المآخذ على هذه الطريقة ؛ أنها قد تؤدي إلى كثرة التكرار ، إضافة إلى صعوبة الإشارة إلى الظروف المجتمعية من تركيب اقتصادي أو سياسي أو بناء اجتماعي أو نمط ثقافي ؛ والتي تتضافر عادة كلها أو معظمها على التأثير في القضية أو الظاهرة التربوية ، بمعنى أن هذه الطريقة تتناول جزئيات التربية أو جانباً من

جوانبها على انفراد وهذا يؤدي إلى ضياع وحدة الفكر التربوي (**متولي : مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٣٢**) .

وهذه الطريقة في دراسة تاريخ التربية تكون أكثر ملائمة لموضوعات التخصص الدقيق في التربية على مستوى الدراسات العليا حيث يجب الاقتصار على جانب معين أو قضية محددة والتفرغ لدراستها والبحث فيها في ضوء معايير معينة ينطلق منها الباحث المسلم ـ خاصة ـ في مقدمتها العقيدة الصحيحة .

٣ـ مدخل الحقبة التاريخية :

وهذه الطريقة تعتمد على التقسيم الزمني ، إذ يقسّم بعض الدارسين لتاريخ التربية ، التاريخ إلى عصور مثل العصور القديمة ، والوسطى ، والحديثة وهو التقسيم الشائع مع ما عليه من مآخذ ، ثم يتتبع الباحث داخل كل قسم أهم الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي لها أثر واضح في تشكيل الفكر التربوي ، وقيام المؤسسات والنظم التربوية ، ويطول وقوفه أو يقصر تبعاً لأهمية المرحلة الحضارية التي يتأملها ، والاسهام الذي أضافته لتطور الفكر التربوي ، حيث ينظر إلى التربية نظرة كلية داخل سياقها الثقافي بشتى أبعاده في مرحلة حضارية معينة .

وهذه الطريقة هي الأكثر شيوعاً في المؤلفات العربية ـ القليلة ـ التي كتبت في تاريخ التربية ، مثل تاريخ التربية لمصطفى أمين ، وتاريخ التربية لمحمود عبدالرازق شفشق ومنيرعطا الله وتطور الفكر التربوي لسعد مرسي أحمد وغيرهم ، مع ما يؤخذ عليهم من هضم لحق تاريخ التربية الإسلامية .

ورغم المزايا التي يمتاز بها مدخل الحقبة التاريخية في دراسة تاريخ التربية فإن عليه بعض المآخذ ؛ لعل أهمها : افتقاره إلى الوحدة الفكرية التي تجمع بين آراء

الفلاسفة والمربين ، وأخرى أهم بالنسبة لتاريخ الإسلام والتربية الإسلامية وهي أن التقسيم الشائع للعصور مبني على التاريخ الأوروبي ، ولا يتناسب مع تاريخ الإسلام وعصوره .

والجدير ذكره هنا أن ليس ثمة فواصل بين تلك المداخل لدراسة تاريخ التربية بصفة عامة ، إذ من الممكن أن يجمع الباحث بين أسلوبين أو أكثر من تلك الأساليب ، ثم أن تنوع الأساليب على النحو الذي تم عرضه يعطي مؤشراً على أن دراسة تاريخ التربية ليست مجرد سرد للحقائق التاريخية ذات الصلة بالتربية ، ولكنها دراسة تفسيرية تحليلية ، تأخذ في حسابها العوامل التي شكلت تلك الحقائق من أجل الخروج بنتائج تفيد الواقع التربوي ، وتعمل على تحسينه ، وتساهم في حل معضلاته .

خلاصة القول أن أساليب دراسة تاريخ التربية الإسلامية يمكن أن تتنوع بتعدد أساليب دراسة تاريخ التربية بصفة عامة ، فيمكن استخدام المداخل السابقة ، ولكن في ضوء المنهج الإسلامي القائم بذاته ، والمنبثق من العقيدة الإسلامية الصحيحة ، بما يضمنه لدراسة تاريخ التربية من حماية من الانحراف والتطرف ، وما يتضمنه من ضوابط ومعايير تحقق أقصى درجات الصدق والسمو الروحي ، والنفسي ، والمادي ، وما يحققه لمن يلتزم به من السعادة في الدنيا والآخرة .

ثالثاً : مصادر دراسة تاريخ التربية :

لا بد لكل دراسة في أي علم من العلوم من مصادر يستقي منها ذلك العلم مبادئه ، وتستند إليها قواعده ؛ ودراسة تاريخ التربية ـ إذا ما أريد لها أن تكون سليمة وصادقة ـ فلا بد أن تعتمد بالدرجة الأولى على مصدر يفوق جميع المصادر الأخرى ، وهو الوحي الإلهي ، الذي يجب أن يكون هو المعيار الذي يُنظر من خلاله إلى كافة المصادر .

والأصل الصادق لهذا الوحي هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فهذان المصدران الأصليان في الإسلام ، وبجانبهما مصادر فرعية ترجع إليهما ، وسيتكلم الباحث بإيجاز عن أهم مصادر دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام على النحو التالي :

١ـ القرآن الكريم وعلومه :

وهو أشهر من أن يعرّف ومع ذلك عرّفه علماء الأصول بتعريفات كثيرة لعل من أبرزها : أنه كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ باللفظ المنقول بالتواتر ، والمكتوب في المصاحف ، المبدوء بالفاتحة والمختوم بسورة الناس المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه . (**الغزالي : المستصفى ، ٢ / ٩**) .

والقرآن الكريم يمتاز عن الكتب السماوية السابقة ، وعن السنة الواردة عن رسول الله ﷺ بخصائص منها :

(أ) أن القرآن الكريم قد نزل بألفاظه ومعانيه باللغة العربية من عند الله .

(ب) أن القرآن الكريم قطعي الثبوت بلا خلاف بين المسلمين .

(جـ) أنه اشتمل على نظام كامل تناول جميع شئون الحياة المتعلقة بالعقيدة والأخلاق والتربية والنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الى جانب القواعد التي تنظم حياة جميع الناس بما يحقق المصلحة والعدالة .

(د) أنه محفوظ من الزيادة والنقصان لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) بينما وكَلَ الله تعالى أمر حفظ الكتب السماوية السابقة إلى أهلها وأخبر عن ذلك في قوله تعالى ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ (المائدة : ٤٤) وعليه فلا نقص ولا زيادة في القرآن ، ولن يستطيع مخلوق أن يزيد عليه شيئاً أو ينقص منه شيئاً ، لأن الله تعالى تولى حفظه ، وما تولى الله حفظه فلن تصل إليه يد العابثين المفسدين (**زيدان : الوجيز في أصول الفقه ، ص ١٥٣**) .

ولعل هذا التعهد بالحفظ ، من لوازم الرسالة الخاتمة ، حتى يصل خطاب التكليف سليماً لكل إنسان ، مجرداً عن حدود الزمان والمكان ، ويكون البيان النبوي صحيحاً فيصح التكليف وتتحدد المسئولية وتتحقق العدالة ويترتب الثواب والعقاب .

وبيان القرآن الكريم للأحكام على نوعين :

النوع الأول : ذكر القواعد والمبادىء العامة للتشريع ، وبيان الأحكام بصورة مجملة ، كالشورى ، والعدل ، وأخذ الإنسان بجريرته ، وعدم سؤاله عن ذنب غيره ، وأن العقوبة بقدر الجريمة ، وحرمة مال الغير ، والتعاون على الخير وما فيه نفع الأمة ، والوفاء بالالتزامات ، وأن الحرج مرفوع ، والضرورات تبيح المحظورات ، وإجمال أحكام الصلاة والزكاة ، والقصص وغيرها ، والحكمة في مجيء أحكام القرآن على شكل قواعد ومبادىء عامة : أن مجيئها على هذا النحو يجعلها تتسع لما يستجد من الحوادث ، فلا تضيق بشيء أبداً ، لأنها تتعلق بالأحكام العملية غير الثابتة التي تتغير فيها المصلحة بتغير الزمان ، وتختلف باختلاف الأماكن والمجتمعات (**المرجع السابق ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨**) .

والنوع الثاني : الأحكام التفصيلية ، وهي قليلة في القرآن ، وقد جاءت في تشريع أحكام العقائد والأخلاق ، وبعض الأحكام العملية الثابتة كأحكام المواريث ونظام الأسرة ، ومقادير العقوبات في الحدود وغيرها (**المرجع السابق ، ص ١٥٨**) ، « والسرُّ في ذلك أن تلك الأحكام لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو البيئات ، وأن كثيراً من أحكام العقائد لا يستقل العقل بإدراكها وحده ، ولذلك تولى الله سبحانه وتعالى بيانها بنفسه على سبيل التفصيل في الكتاب الكريم » (**الصالح : المصادر الأصلية والتبعية للشريعة الإسلامية ، ص ٢٣**) .

وقد تضمن القرآن الكريم مسلمات تدور حول التاريخ البشري إذ استغرقت الرؤية التاريخية القرآنية تاريخ الإنسان منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، وحتى محمد ﷺ وإلى جانب هذه التغطية الرأسية لتاريخ الإنسان تضمنت آيات القرآن تغطيات أفقية للأحداث المعاصرة للرسول ﷺ مما فصلّته كتب السنة، والسيرة النبوية ،

وأسباب النزول ، مما يحتاج الإنسان إلى الاهتداء به في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .. وذلك في دراسة تاريخ التربية وغيره .

كما تضمن كتاب الله تعالى الخطوط العريضة والمباديء الأساسية التي تحكم الإنسان والمجتمع والتاريخ ، من أجل إثارة الفكر البشري ودفعه للبحث عن الحقائق ، والاستفادة من خلاصات التجارب البشرية السابقة التي تجنب الإنسان تجارب المحاولة والخطأ التي قد تدمّره ، إلى جانب ما في القرآن الكريم من السنن الثابتة التي تحكم حركة الإنسان وتوضح له أمر دنياه وآخرته ، وتمده بعناصر التوقف والاستمرار لتكون مسيرته على هدى الدين الإسلامي الحنيف .

ومن ضمن المسلمات التاريخية في القرآن أن حركة المجتمعات في مسيرتها التاريخية ليست حركة عشوائية ، وإنما تحكمها سنن الخالق عز وجل الاجتماعية والتاريخية ، فعلى سبيل المثال : الظلم يؤدي إلى التهلكة مهما أمهل الله تعالى للظالم . كما قال تعالى : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ (النمل : ٥٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ (الأنبياء : ١١) ، وقوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف : ٥٩) ، ففي هذه الآيات بيان السنّة الإلهية لارتباط حصول الهلاك بظهور الظلم ، وبالمقابل فإن اتباع الحق يحقق السعادة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٨) ، وفي الآية الأخرى (فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه : ١٢٣) ، رتب الله سبحانه أربعة أشياء على اتباع هداه عز وجل : « نفى الخوف ، والحزن (١) ، عمن اتبع الهدى

وإذا انتفيا ثبت ضدهما وهو الهدى ، والسعادة ، فمن اتبع هداه ، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى ، وانتفى عنه كل مكروه ؛ من الخوف ، والحزن ، والضلال ، والشقاء . فحصل له المرغوب ، واندفع عنه المرهوب ، وهذا عكس من لم يتبع هداه ، فكفر به وكذب آياته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (**السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ١ / ٧٦ ـ ٧٧**) .

---

(١) الفرق بين الخوف والحزن : أن المكروه إن كان قد مضى ، أحدث الحزن ، وإن كان منتظراً أحدث الخوف .

وتؤكد الآيات القرآنية أن السنن الإلهية نافذة بغض النظر عن معايير الكم والكيف والقوة والثراء ، ومن المسلمات الإسلامية الدفع المستمر بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾ (الحج : ٤٠) ، وقال تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ (١) . وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٨) ، فالقرآن « يروض النفس على الحق ، ويربيها على منهجه حتى تنفر من الباطل وتتأذى من وجوده ، وحتى يصبح الحق أصلاً في حياة الناس وأساساً في تكوين المجتمع مهما كانت مرارته ومهما خالف الهوى والمصالح العاجلة » (**شديد : منهج القرآن في التربية ، ص ١٥٠**) .

ومن المسلمات أيضا أن الله سبحانه وتعالى : ينفذ جانباً من إرادته عن طريق البشر . كما في قوله عز وجل : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) (التوبة : ١٤) ، وهذا تفضل من الخالق سبحانه بالحاق الفاعلية للبشر في تشكيل ظواهر المجتمعات ، وأحداث التاريخ في إطار إرادته تعالى وعلمه ومشيئته .

وعلى أية حال فإن العروض التاريخية في القرآن الكريم تستهدف خير الإنسان في حاضره ومستقبله ، إذ أن استخلاص السنن الإلهية في التاريخ وفي المجتمعات من آيات القرآن الكريم يحولها إلى قوة دافعة ومحركة تربي المجتمعات المؤمنة على تجاوز مواقع الهلاك ، والتمسك بكل ما يؤدي بها إلى الفوز برضا الله تعالى ، والنجاة في الدنيا والآخرة. ،

كما تؤكد الآيات القرآنية على أن منطلقات التغيير وتحسين أحوال البشر ، والتربية الحقيقية للإنسان ، والمجتمع ، تنطلق من الإنسان ذاته من خلال تغيير الناس لأنفسهم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ

(١) أي زائل .

حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٥٣) ، ـ وكما تقدم ـ فإن أداة التغيير الفاعلة هي التربية ، التي أولاها الكتاب الكريم الاهتمام الذي تستحقه ، ومنه تستقي أهدافها وأصولها ، وهو الأمر الذي ينبغي أن لا يغفله من يكتب في تاريخ التربية ، حتى تكون كتابته نابعة من المصدر الحقيقي للتربية ، وسائرة على المنهج الرباني ، الماثل في كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ المبينة للكتاب الكريم .

وعلى من يريد من المسلمين الكتابة في تاريخ التربية أن يكون ملماً بمعرفة أنواع علوم القرآن التي يحتاج إلى معرفتها كعلم التفسير ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمناسبة بين الآيات ، ومعرفة الوجوه والنظائر ، وعلم المتشابه وغير ذلك مما يلزمه الإطلاع عليه حسب طبيعة موضوع دراسته ، ولكنه إلمام دون استقصاء ، بل بقدر ما يمكّن الباحث من التعامل مع تلك العلوم وما كتب فيها ، والإستفادة مما كُتب . حيث تعتبر كتب علوم القرآن وتفسيره من أهم مصادر التاريخ ، وتاريخ التربية ؛ بما تحتويه من آراء وأفكار تربوية كثيرة ، يحتاج إليها دارس تاريخ التربية اضافة إلى ما تعكسه من روح العصر الذي عاش فيه المؤلفون ، أو المفسرون .

ولعل من أشهر ما كتب في علوم القرآن كتابيّ : البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي في أربع مجلدات ، والاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي في مجلدين . ومن أهم كتب التفسير بالمأثور عن النبي ﷺ ، وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم تفسير الإمام الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن ، وهو من أجلِّ التفاسير بالمأثور ، وتفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم ، وهو يقرب من تفسير الطبري بل وينقل عنه كثيراً وربما فاقه في بعض الأمور ، ومن مزاياه الدقة في الإسناد وبساطة العبارة والوضوح في الفكرة . والطبري وابن كثير مؤرخان مشهوران ، ثم تفسير السيوطي المسمى الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، وقد جمع مصنفه الروايات التي وردت لديه عن السلف في تفسير الآية الواحدة جمعاً اختلط فيه الصحيح والعليل دون تعليق على ذلك (**السرحان : تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية ، ص ٥١ ، ٥٣**) .

ويقابل التفسير بالمأثور التفسير بالرأي ومعناه : تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة كلام العرب ، وأسباب نزول الآيات ، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من المستلزمات التي يحتاجها المفسر ، ومن أهم كتب التفسير بالرأي الجائز : تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب ، أو التفسير الكبير ، وتفسير الكشاف للزمخشري وهو المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، وصاحبه من المعتزلة ، وتفسيره يمثل نزعتهم العقلية وينبغي لمن يرجع إليه أن يستعين بكتاب : الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي ، المطبوع على حاشية الكشاف ، وتفسير القرطبي المسمى : الجامع لأحكام القرآن ، وهو كتاب اهتم بأحكام القرآن واستنباط الأدلة والمقارنةبين الفقهاء فيما يذكر من القراءات والإعراب وبيان الغريب من الألفاظ والاستشهاد بأشعار العرب ، وذكر الناسخ والمنسوخ ، والرد على المعتزلة والقدرية ، والروافض والفلاسفة وغلاة المتصوفة (**المرجع السابق ، ص ٥٧ ـ ٥٩**) . . اضافة إلى كثير من المصادر القديمة والحديثة في تفسير القرآن ، وعلومه التي لا يستغني عنها الباحث في تاريخ التربية .

وهكذا يتضح أن اعتماد الباحث في تاريخ التربية على القرآن الكريم أمر ضروري كونه المصدر الأول في الإسلام ، الذي تضمن الكثير عن أصول التربية ومبادئها والسنن الإلهية في التاريخ ، والمجتمعات والتي تساعد على فهم وتفسير تاريخ التربية ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه ، وأمر رسوله ﷺ ببيانه فبيّنه ، وبذل علماء هذه الأمة قديماً وحديثاً جهوداً مشكورة في إستخلاص علومه ، وتفسير آياته .

٢ ـ السنة النبوية المطهرة :

وهي الوحي الثاني كما صح الحديث بذلك عن الرسول ﷺ فيما رواه المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه: « أَلَا إِنِّي أوتيتُ القُرآنَ ومثلَهُ معه » (**البغوي : شرح السنة ، ١ / ٢٠١ حاشية رقم « ١ »**) ، والمراد بقوله « مثله معه » السنة النبوية ،

وقد فُسِّرَت الحكمة في قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (البقرة : ١٢٩، وآل عمران : ١٦٤ ، والجمعة : ٢) بالسنة ، حيث قال الإمام (**الشافعي**) رحمه الله كل الحكمة في القرآن والسنة ، والحكمة سنة رسول الله ﷺ (**الرسالة ،ص٣٢**) .

وتعتبر السنة وحياً مستقلاً بالبيان له نفس مكانة القرآن من جهة وجوب امتثال ما جاءت به ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (الأنفال : ١ ، والمجادلة : ١٣) ، وقال جل جلاله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنَ أَمْرِهِمْ .. ﴾ (الأحزاب : ٣٦) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء : ٦٥) ، وقال تعالى : ﴿ .. وَمَآ ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ .. ﴾ (الحشر : ٧) .

كما أن السنة النبوية هي بيان القرآن وتفسيره ، والكاشفة عن أسراره وذخائره ، وأحكامه ، إذ فيها تفسير ما أجمل فيه ، وبيان ما أُبهم من آياته .

ومثلماعني علماء المسلمين بعلوم القرآن ، فقد عنوا بعلوم الحديث والسيرة النبوية ، فألفوا فيها المؤلفات ، وأعدوا لها المصنفات .

وفي كتب السنة والسيرة الكثير من الأفكار ، والأحداث ، والوقائع التاريخية التربوية ، كما أنها مصادر لتوثيق الأحداث ، وتأصيل الدراسة التاريخية التربوية ، وهذا يتطلب ممن يريد دراسة تاريخ التربية الإسلامية ـ خاصة ـ ان يتعرف على تلك الكتب وطريقة التعامل معها ، والاستفادة منها .

والتعريف بكتب السنة موضوع جليل وكبير ، وليس باستطاعة الباحث في هذه الدراسة أن يتعرض للتعريف بجميع تلك الكتب ، ولكن لا بأس من إشارات موجزة لأنواع كتب الحديث والتمثيل لأهمها ، مع الدلالة على مضان ومصادر السيرة النبوية .

فأنواع كتب الحديث كثيرة منها :

* الجوامع : والجامع من كتب الحديث : ما اشتمل على جميع أبواب الحديث التي اصطلح المحدثون على أنها ثمانية تتمثل في العقائد ، والأحكام ، والرقاق ، وآداب الطعام والشراب ، والتفسير ، والتاريخ والسير والشمائل ، والفتن ، والمناقب والمثالب . ومن الجوامع صحيحا البخاري ومسلم ، وجامع الترمذي .

* المسانيد : والمسند : كتاب ذكرت الأحاديث فيه حسب ترتيب أسماء رواتها من الصحابة ، وتختلف الخطة المتبعة في ترتيب الأسماء من عَالِمٍ إلى عَالِمٍ آخر ، فعلى سبيل المثال من المسانيد ما صنف مؤلفه أحاديث كل صحابي على أبواب الفقه مثل المسند الكبير لبقي بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، ومن أهم المسانيد وأعظمها مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي رتبه على مسانيد الصحابة وجمع فيه أحاديث كل صحابي متتالية دون ترتيب (**شاكر : مقدمة المسند للإمام أحمد ابن محمدبن حنبل « ١٦٤ ـ ٢٤١ هـ » ، ص ٤**) .

* المعاجم : والمعجم : ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ والغالب أن تكون مرتبة على حروف المعجم (**الكتاني : الرسالة المستطرفة ، ص ١٠١**) . واشهر المعاجم : المعاجم الثلاثة للطبراني المتوفي سنة ٣٦٠ هـ وهي : الكبير والمتوسط والصغير (**الخولي : مفتاح السنة ، ص ٣٥**) .

* المستدركات : والمستدرك : كتاب يستدرك فيه مؤلفه على ما فات مؤلفًا آخر في كتاب له على شرطه ، ومن أشهر المستدركات مستدرك الحاكم على الصحيحين .

* المستخرجات : والمستخرج : مشتق من الاستخراج ، وذلك أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخَرِّج أحاديثه بأسانيد لنفسه من طريق غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ، ومن ذلك مستخرج أبي عوانة الاسفراييني المتوفي ٣١٦ هـ على صحيح مسلم (**المرجع السابق ص ٧٨ ـ ٧٩**) .

* كتب الأطراف : وهي التي تجمع الأحاديث على الأطراف ، مثل كتاب الأطراف للحافظ المزي المتوفي ٧٤٢ هـ وهو **تحفة الأشراف** ؛ ومثلها كتب الفهارس .

* كتب الرجال : وهي الكتب التي تعرّف برجال الحديث .

* كتب المصطلح : وهي الكتب التي تبحث في قواعد مصطلح الحديث .

أما الكتب الستة فهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه ، وقد اقترح بعض العلماء أن يكون موطأ مالك عوضاً عن ابن ماجه ، واقترح آخرون أن يكون سنن الدارمي .

وهذه « الكتب الستة كادت لا تغادر من صحيح الحديث إلا النزر اليسير ، وهي التي عليها يعتمد المستنبطون ، وبها يعتضد المناظرون ، وعن محياها تنجاب الشُبه ، وبضوئها يهتدي الضال ، ويبرد يقينها تثلج الصدور » (**المرجع السابق ، ص ٢٩**) .

وعلى أية حال فإن دراسة تاريخ التربية تفتقر إلى معرفة كتب الحديث ، إذ أن أول من نظم نقد الروايات التاريخية ، ووضع القواعد لها علماء الحديث الذين اعتنوا بأقوال النبي ﷺ وأفعاله لفهم القرآن ، سائرين على هدى قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٤) فما تلي منه فهو القرآن ، وما لم يتل فهو السُنَّة ، فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها ، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد ، وضوابط لا تزال في أسسها وجوهرها موضع احترام الأوساط العلمية (**رستم : مصطلح التاريخ ،ص أ**) ، ومن تلك القواعد يستفيد المؤرخ لتاريخ التربية في نقد أصول مصادره وتحري الحقائق التاريخية ، وايضاحها وعرضها إضافة إلى ما تحمله كتب الحديث من السنن الالهية والتوجيهات النبوية المتعلقة بالظواهر الإنسانية وتفسيرها .

أما السيرة النبوية فهي تجسيد حي لتعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالى أن تطبق في عالم الواقع .. فهي تعاليم نزلت من العليم الحكيم لتكون سلوكاً إنسانياً ومنهجاً حياتياً يعيشها الفرد في نفسه وشخصه ، ويدركها في واقعه ومجتمعه . وقد كان رسول الله ﷺ يجسد تعاليم الإسلام كما أرادها الله أن تطبق في عالم الأحياء والبشر ، في كافة أحواله وظروفه في ظل التربية والعناية الإلهية من الله عز وجل ..

وباختصار فإن السيرة النبوية تاريخ لأفضل رسل الله وأفضل البشر أجمعين ، فلا بد أن تكون المصادر التي كتبت عنها موضع اهتمام كل من يؤرخ للتربية الإسلامية ليكون عمله على بصيرة ، وليفهم أعظم منهج شهدته الأرض ، وقد أعدّ الدكتور فاروق حمادة كتاباً مفيداً سماه مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، وللدكتور محمد ماهر حمادة كتاب بعنوان مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ ، عالج فيه كتابة السيرة النبوية بين الشرق والغرب من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ويحسن الرجوع إليهما من قبل دارس تاريخ التربية الإسلامية للتعرف على مصادر السيرة ، وطريقة التعامل مع تلك المصادر ، والإستفادة منها .

٣ ـ كتب التاريخ العام :

ولعل من أقدم الذين كتبوا في التاريخ العام ابن قتيبة الدينوري المتوفى ببغداد في سنة ٢٧٦ هـ ، ومن كتبه التاريخية كتاب المعارف وهو موجز في تاريخ الخليقة ، والرسل ، والعرب في الجاهلية ، والسيرة النبوية ، والفتوح ، والمغازي ، وأخبار الصحابة والتابعين ، والعرب ، والعجم ، وله كتاب عيون الأخبار الذي يفيد دارس تاريخ التربية كثيراً حيث يتضمن كتاب العلم بأخبار العلم والعلماء .

ومن معاصري ابن قتيبة : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي ، وكان رحالة ومؤرخاً وجغرافياً جاب الأقطار الإسلامية في عصره ، وتوفي نحو سنة ٢٨٤ هـ ، وله كتاب البلدان ، وكتابه في التاريخ يعرف بتاريخ اليعقوبي ، والمطبوع منه قسمان أحدهما في التاريخ العام ، والثاني في تاريخ الإسلام ، وهو مرتب حسب الخلفاء إلى عصر المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ .

كما اشتهر من أهل دينور مؤرخ آخر هو أبو حنيفة الدينوري المتوفي سنة ٢٨٢ ، أو ٢٩٠ هـ وقد وصل من مؤلفاته كتاب الأخبار الطوال ويبدأ من آدم عليه السلام إلى انقضاء ملك يزدجرد ، ويذكر ملوك قحطان ، والروم ، والترك ، في كل

عصر ، ثم يذكر الأئمة والخلفاء إلى آخر أيام المعتصم وثورة بابك الخرمي وحروبه ، وهو مطبوع في جزئين .

ومن أشهر المؤرخين الطبري والمسعودي ، فالطبري أبو جعفر محمدبن جرير المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، ذاع صيته بتفسيره للقرآن الكريم ، وبكتابه : تاريخ الرسل والملوك الذي يعرف بتاريخ الأمم والملوك ، والمشهور بتاريخ الطبري ، وقد اعتمد المؤرخون بعده على تاريخه مثل مسكويه ، وابن الأثير ، وابن خلدون ، والذهبي وغيرهم ، وكتاب الطبري في التاريخ أول كتب التاريخ الشاملة باللغة العربية . وقد بدأ بالخليقة ، ووقف فيه عند سنة ٣٠٢ هـ ، ورتبه على السنين الهجرية ، واتبع فيه طريقة الإسناد إلى رواة الحوادث بالتسلسل ، وفيه تظهر الصلة الوثيقة بين علمي الحديث والتاريخ ، والمعروف أن الطبري محدث قبل أن يكون مؤرخاً ، وأن تاريخه مكمل في كثير من النواحي لكتابه الكبير في تفسير القرآن الكريم . ولكنه لم يهتم بنقد الروايات التاريخية .

أما المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ فقد استنَّ في تأليف التاريخ سُنَّةً جديدة فصار لا يرتب الحوادث حسب السنين الهجرية ، بل جمعها تحت رؤوس موضوعات من الشعوب والملوك والأسرات . وقد تبعه في هذه الطريقة ابن خلدون وغيره . وكان المسعودي من المعتزلة وله كتاب : مروج الذهب ومعادن الجوهر وهو كتاب تاريخي جغرافي عظيم القيمة ، وكتابه الآخر : التنبيه والاشراف لخص فيه آراءه في فلسفة التاريخ والكون وآراء الفلاسفة ، كما كتب فيه عن التاريخ القديم وتاريخ المسلمين (**كاشف : مصادر التاريخ الإسلامي ، ص٣٣ ـ ٣٧**) .

هذه نماذج لبعض كتب التاريخ العام التي لا يستغني عنها دارس تاريخ التربية ، إضافة إلى الكتب الحديثة في هذا المجال ، وكلها تتضمن معلومات مهمة عن تاريخ التربية في مختلف العصور ، والمجتمعات .

٤ ـ كتب الطبقات والتراجم :

من المؤلفات العربية التي تهم دارس تاريخ التربية ، كتب الطبقات والتراجم التي تضم كثيراً من البيانات عن الأحوال الاجتماعية والسياسية والتربوية والأدبية في المجتمعات الإسلامية ، وتتألف من سير طائفة كبيرة من الفقهاء والعلماء والأدباء والقادة وأصحاب المهن جيلاً بعد جيل ، ومنها الطبقات الكبرى لابن سعد ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي ومشاهير أعلام النساء لرضا كحالة وغيرها كثير .. وكتب التواريخ المحلية التي تضمنت تراجم العلماء و يتصدرها تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، إذ فيهما مادة كثيرة عن تاريخ التربية الإسلامية .

٥ ـ كتب الرحلات :

لقد حاز المسلمون قصب السبق في ميدان الرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية ، وكَتَبَ المؤلفون المسلمون كثيراً عن رحلاتهم فيما بين القرنين الثالث الهجري = التاسع الميلادي ، والتاسع الهجري = الخامس عشر بعد الميلاد . ومن أشهر كتب الرحلات التي لا يستغني عنها دارس تاريخ التربية ، رحلة ابن جبير الأندلسي في القرن السادس الهجري وهي مطبوعة وتتضمن معلومات تربوية واجتماعية مهمة ، ورحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي ، وهي مطبوعة ، وطبيعي أن يفيد منها دارس تاريخ التربية الإسلامية ، لأن ابن بطوطة من أعظم الرحالة المسلمين ومن أكثرهم طوافاً بالبلدان وكان لديه نشاط واستيعاب للأخبار ، ويعتني بالتحدث عن الحالة الإجتماعية في البلاد التي تجول فيها ؛ وخلّف صورة صادقة للعصر الذي كان يعيش فيه (**المرجع السابق ص ٧٠ وما بعدها**) .

هذا بالإضافة إلى كتب الفقه الإسلامي وأصوله ، وكتب الفتاوى ، والحسبة ، وكتب الأدب والنقد ، وغيرها من الكتب التي تحوي الكثير من المادة

التاريخية الخصبة التي تفيد في الكشف عن جوانب وأبعاد تاريخ التربية الإسلامية ، ولا يعني هذا اعتماد كل ما جاء في الكتب بل لا بد من فحصها والاستدلال على صحة الأحداث والوقائع التاريخية بالطرق المنهجية المعروفة ، في ضوء نصوص الكتاب ، والسنة الصحيحة .

٦ ـ المراجع الحديثة :

يعتبر الرجوع إلى المراجع الحديثة ، ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بموضوع دراسة تاريخ التربية أمر لازم ، لا سيما أن بعض الكتب الحديثة أو المقالات يمتاز بعمق البحث ويشهد بالجهود المضنية التي بذلها أصحابها في الرجوع إلى المصادر الأصلية ، وفي نقد رواياتها واستنباط الحقائق التاريخية منها ، وطبيعي أن كثيراً من الكتب الحديثة سطحي ، أو يقصد به تأييد وجهة نظر خاصة من دون التقيد بأساليب البحث العلمي الصحيح ، أو يهدف إلى التثقيف العام ، ومثل هذا لا يصح أن يكون مرجعاً في البحوث العلمية التربوية ، كما أن الكتب الحديثة تتفاوت في منهجها العلمي من حيث سداد المنهج ونقد الروايات وذكر المصادر وعمق البحث وسلامة العرض وافادة القارئ بالفهارس المفصلة ، وعلى دارس تاريخ التربية أن يميز ما يمكن أن ينتفع به من الكتب الحديثة .

ولكن المهم في هذا الشأن أن يعتمد مؤرخ التربية على ا لمصادر الشرعية وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فيقدمها على غيرها ، مع عدم التسليم لكل ما ورد في الكتب السابقة على القرآن لما اعتراها من تحريف اليهود والنصارى ، وقد كشف الله تعالى ذلك التحريف في عدد من الآيات القرآنية كقوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ (المائدة : ٤١) ، وقوله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

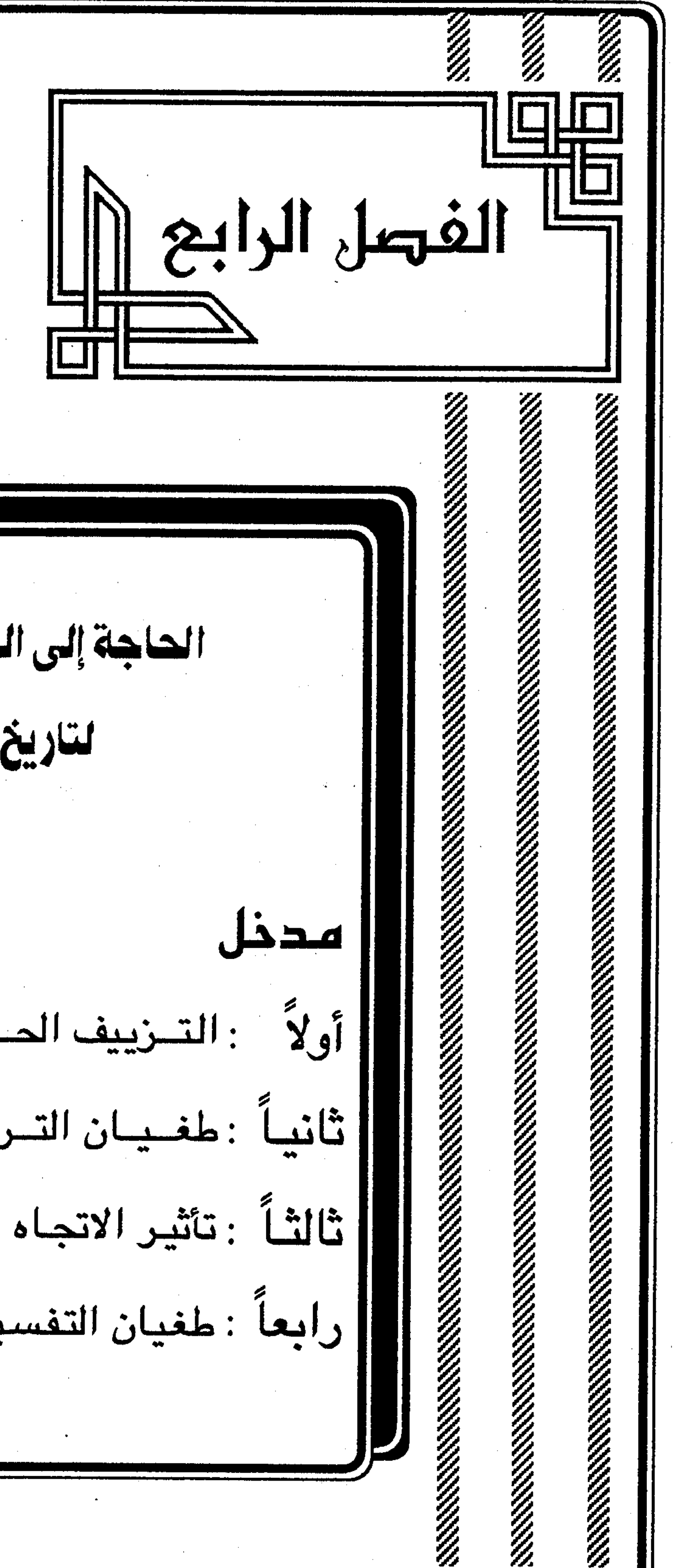
مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (النساء : ٤٦) . كما أن الكتب السماوية السابقة على القرآن منسوخة الشرائع والأحكام بهذه الشريعة الخاتمة . أما أخبارها وقصصها فهي مترددة بين الصواب والخطأ ، لثبوت وقوع التحريف والزيادة والنقص ، ولهذا جاء التوجيه ـ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ من الرسول ﷺ بقوله : « لا تصدِّقُوا أَهلَ ٱلكِّتابِ وَلاَ تكذِّبوهُمْ[1] وقولوا : ﴿ آمنا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلينْا ﴾ (البقرة : ١٣٦) » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٤/١٦٣١**) .

ولا بد من معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والزندقة ، وهذا يوجب على ا لباحث في تاريخ التربية عندما يرجع إلى أي مصدر أو مرجع أن يتعرف على مؤلفه واتجاهه الفكري والسياسي وعلى ضوء هذه المعرفة يستطيع أن يأخذ منه وفق ضوابط محددة ، وكذلك كتب غير المسلمين ، فإن الأخذ منها يكون بحسب الموضوع ،؛ فإن كان متعلقاً بديانتهم وهي ديانة وثنية فإنه حينئذ لا بأس من الأخذ عنهم مع النظر والمقارنة ، أما إن كانوا من أهل الكتاب وما يذكرون عن ديانتهم ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى أو إلى رسولهم أو غيره من رسل الله عليهم الصلاة والسلام ؛ فإن هذا لا يقبل منهم ولا يؤخذ عنهم إلا ما علمت صحته بشهادة القرآن الكريم ؛ والحديث النبوي الشريف ، أما إذا كان الموضوع متعلقاً بالإسلام من شرح أو تفسير أو إطلاق أحكام على علم أو شخصيات إسلامية أو نظام إسلامي فلا يحل الأخذ عنهم لأنهم ليسوا أهلاً أن يؤخذ عنهم شيء من دين الله تعالى ، وإذا كان ما في كتبهم ليس له علاقة بشيء من الأنواع السابقة ، فإنه لا بد من اخضاعه لموازين النقد العلمي ، وما ثبت منه لا شيء على من أخذ به (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٢٥٣ وما بعدها**) .

---

(١) أي لا تعتمدوا أقوالهم وتفسيراتهم سواءً وافقت الواقع أم خالفته ، واعتمدوا ماجاءكم على لسان نبيكم ﷺ ، مع تصديقكم بما أنزل على الرسل عليهم السلام ، كما جاء في تمام الآية : ﴿ وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ . (**البخاري : صحيح البخاري ، ٤ / ١٦٣١ ، هامش رقم ٤٢١٥**) .

وخلاصة القول أن الباحث المسلم صاحب منهج مستقل في تصوره وأهدافه وطريقة عمله ، والمصادر التي تحكم عمله ؛ القائمة على المنهج الرباني المتلقى بواسطة الوحي المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، والذي من أعظم خصائصه الشمول والكمال ، فهو لا يحتاج إلى شيء غيره ، ولا يسمح لنفسه باتباع ما يخالفه أو يناقضه ، فمنهج الله تبارك وتعالى له الهيمنة والحكم على كافة المناهج ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَاتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة : ٤٨) .



الفصل الرابع

الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربيــة

مدخل

أولاً : التــزييف الحــاصل في تاريخ التــربيــة

ثانيــاً : طغـيـان التـرجـمـة في تاريخ التـربيـة

ثالثــاً : تأثير الاتجاه العلماني في تاريخ التـربية

رابعاً : طغيان التفسير المادي على تاريخ التربية

الفصل الرابع
الحاجة إلى التوجيه الإسلامي
لتاريخ التربية

مدخل :

كثيرة هي التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة في بيئاتها المختلفة ؛ وقد نتجت هذه التحديات عن ظروف الحياة المعاصرة ، وكان مركز هذه التحديات حضارة معادية للإسلام ، بل حضارة تهدف للقضاء على كل الحضارات والثقافات التي تختلف عنها ، وكان تركيز غزوها على المجتمعات الإسلامية أشد وأنكى .

ونتيجة لبعد كثير من المجتمعات الإسلامية عن مظلة الإسلام ، فإن موقف العالم الإسلامي لمواجهة تلك التحديات لم يكن موحداً ، بل تنوعت أشكاله إلى حد التباين ، بحسب عمق الجذور ورسوخها من جهة ، وقوة التأثيرات الاستعمارية التي سادت تلك المجتمعات خلال فترة ركود دامت قروناً عديدة من جهة أخرى ومن أوضح التيارات التي برزت ما يلي :

ـ التيار الانسلاخي ، ويتمثل في الخضوع التام للرؤية الاستعمارية بعيداً عن جوهر العقيدة الإسلامية ، وقد اتجه إلى مركز الحضارة الحديثة في أوروبا وأمريكا ، ليستمد منها مبادئه وأفكاره المناقضة تماماً للقيم الأساسية الإسلامية التي تمثلتها الحضارة الإسلامية عبرفترة تاريخية طويلة .

ـ التيار الانتقائي : وهو الذي يرى إمكانية اختيار بعض الوجوه التي قد تناسب الواقع الإسلامي من الحضارة الغربية وطرح ما سواها ، وقد برز على الساحة مناصرون ومعارضون لهذا التيار ، واحتدم الجدال بينهم ، فالمؤيد يركز على نقل الحضارة الشيئية ، بينما المعارض يرى أن التركيز على نقل الحضارة الشيئية دون التركيز على تغيير العقل نفسه أمر مسلَّمٌ لليأس والفقر المحدث .

ـ التيار الحضاري : وهو الذي يرى ضرورة الاهتمام ببناء الإنسان في العالم الإسلامي بناء متكاملاً ، يشمل كافة النواحي المتعلقة بنمو الإنسان ، العقدية منها ، والثقافية ، والحضارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وفي ضوء هذا التيار برز الاهتمام بالتربية الإسلامية ، بصفتها رؤية شاملة لا غنى عنها إذا أراد الإنسان أن يعيش في مجتمع إسلامي متميز (**خياط : النظرية التربوية في الإسلام ، ص ٧ ـ ٨**) .

بمعنى أن التربية خير وسيلة تواجه بها المجتمعات ما يغير من مجرى الحياة فيها من مشكلات أو عراقيل وهذا ما أثبته تاريخ التربية في الماضي ، وفي العصر الحديث .. بل وفي التاريخ المعاصر .

وقد أدرك المسلمون ـ مؤخراً ـ أن النظام التعليمي السائد في معظم المجتمعات الإسلامية المعاصرة ؛ نظام غريب عن الإسلام ، بل ويتناقص في نظرته إلى الدين ، والمعرفة ، والكون ، والإنسان ، والمنهج مع نظرة الإسلام ، كما يولّد في الذين يتخرَّجون منه آثاراً عقلية ، وقيماً واتجاهات خُلقية ووجدانية تنافي تماماً غايات الإسلام وأهدافه في تربية الإنسان ، فصاروا غرباء عن الإسلام ، وابتعد كثير منهم عن التوجه بالإسلام وبأصوله فيما يقدمونه من دراسات ومؤلفات تتعلق بالإنسان وتربيته ، الأمر الذي شغل بال كثير من المسلمين المخلصين لدينهم ، فتعالت صيحاتهم منادين بالرجوع إلى الإسلام وفهمه وتطبيقه وتحكيمه في جوانب الحياة الإنسانية المتعددة ، وبخاصة أصول التربية الإسلامية المتمثلة في نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وتطبيقات تلك الأصول عبر العصور التاريخية ، لما لذلك من أهمية في تحديد موقع التربية الإسلامية في تاريخ التربية ، وحاجة المجتمعات الإسلامية إليها في هذه المرحلة الحرجة التي يمر بها العالم الإسلامي مع الاستفادة من تجارب الآخرين التربوية بعد توجيهها توجيهاً إسلامياً .

وسوف يخصص الباحث هذا الفصل من الدراسة للحديث عن الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية من خلال النقاط التالية :

أولا : التزييف الحاصل في تاريخ التربية .

ثانياً : طغيان الترجمة في تاريخ التربية .

ثالثاً : تأثير الاتجاه العلماني في تاريخ التربية .

رابعاً : ضرورة التفسير الإسلامي لتاريخ التربية .

أولاً : التزييف الحاصل في تاريخ التربية :

ليس من الممكن التعرف على التاريخ الحقيقي للتربية والتعليم إلا بعد تصحيح التشويه الذي أحدثه التزييف المتعمد في الغرب لتاريخ العلم والإنسان ، فلقد تواطأت أوروبا منذ القدم على تزييف التاريخ الإنساني ، وذلك بتأثير النزعة العرقية العنصرية التي تحكمت في العقل والسلوك الأوربيين منذ عصر الإغريق وإلى يوم الناس هذا .. ثم انضاف إلى تلك النزعة عامل آخر لا يقل خطورة عن العنصرية وقد ساعد على اتمام عملية التزييف بصورة أكثر بشاعة ؛ وهو فلسفة التطور الإلحادية التي كان هدفها هدم التاريخ الإنساني المعروف ، وإبداله بتاريخ مزيف عماده مقولة التطور الإلحادي للطبيعة من أجل وضع أوروبا على قمة العالم .

كما تمثل التزييف للتاريخ الإنساني ـ أيضاً ـ في سرقة تاريخ العلم ، ونسبة ما فيه من منجزات إلى الأوروبيين ، والتي وقعت في فترتين تاريخيتين هامتين ، كانت الأولى في بداية التاريخ الإغريقي حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ، حين سرق الإغريق تراث المصريين والبابليين ، وغيرهم من الشعوب القديمة ونسبوه إلى أنفسهم أما الفترة الثانية فقد بدأت من القرن الحادي عشر الميلادي الموافق للقرن السادس الهجري وفيها سَرَقَتْ أوروبا تراث المسلمين العلمي ونسبته إلى نفسها (**خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٥**) .

وقد شهد على تلك السرقات ، وما تمثله من انحطاط أخلاقي شهود من الأوربيين ممن درسوا التاريخ الإنساني ؛ فهذا (**جورج سارتون**) يقول عن السرقة الأولى :

« مما أفسد العلم القديم كثيراً من الأحيان ظاهرتان من الاهمال الذي لا يمكن التسامح فيه ؛ الظاهرة الأولى تتعلق باهمال العلم الشرقي ، فمن سذاجة الأطفال أن نعتقد أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، فإن (المعجزة) اليونانية سبقتها آلاف الجهود

العلمية في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما من الأقاليم ، والعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعاً .

والظاهرة الثانية إهمال الإطار الخرافي ا لذي نشأ فيه العلم ، لا الشرقي فحسب بل اليوناني كذلك ، وكفانا سوءاً أننا أخفينا الأصول الشرقية التي لم يكن التقدم الهيليني ممكناً بدونها ، ولكن بعض المؤرخين أضافوا إلى هذا السوء بما أخفوا ما لا حصر له من خرافات يونانية عاقت هذا التقدم ، وكان من الجائز أن تقضي عليه » (**تاريخ العلم ، ١ / ٢١**) .

وتقول (**زيغريد هونكة**) عن السرقة الثانية ، وهي سرقتهم للمسلمين :

« إن العرب ـ [هكذا يسمون المسلمين] ـ لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ، ولم ينظموها ، ويرتبوها ، ويهدوها إلى الغرب فحسب ، إنهم مؤسسوا الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع .. وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلم التي سرق أغلبها ونسب إلى الآخرين قدم العرب أثمن هدية ، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم .. » (**شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤٠٠ ، ٤٠٢**) .

وإذا كان سبب السرقة الأولى أنانية الغرب ، ورغبته التاريخية المتعطشة للسيطرة على العالم واستغلاله ، فإن سرقته الثانية من المسلمين لها سبب إضافي يخص الإسلام والمسلمين وحدهم ؛ هوالحقد الهائل على الإسلام والمسلمين ، وهو المحرك الأساسي للسياسة الغربية إزاء العالم الإسلامي حتى اليوم ، وعلى الرغم من سيطرة الغرب على العالم ، وتمكنه التام من المسلمين ، فإن الإسلام يظل هو هاجسه المستمر الذي يحسب له كل حساب .

ولقد استخدم الغرب ضروباً من التنكيل بالمسلمين ، وكان من أشدها ضراوة التنكيل الثقافي والعلمي الذي لا يزال العالم الإسلامي يعاني منه ويعيش فيه حيث أطلق الغرب مع جيوشه العسكرية جيوش المستشرقين على الإسلام وتاريخه ، لتحقق أهدافا مشبوهة كان منها :

١ ـ تشكيك المسلمين بنبيهم ﷺ وقرآنهم ، وشريعتهم وفقههم .

٢ ـ تشكيك المسلمين بقيمة الحضارة الإسلامية بدعوى أنها منقولة عن حضارة الرومان ، وما العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها ، وليس لهم إبداع فكري ، ولا ابتكار حضاري .

٣ ـ إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم الفكري الإسلامي ، وبث روح الشك في العقيدة ، والقيم ، والمثل العليا في الإسلام ، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ، ونشر ثقافته بينهم .

٤ ـ إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام ، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم (**السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ص ٢٣ ، ٢٤**) .

وقد أشبع المستشرقون تاريخ الإسلام تشكيكاً ، وتشويهاً ، وتجريحاً ، من أجل شطب الإسلام والمسلمين من تاريخ العالم العلمي والثقافي والحضاري .. وآتت جهود المستشرقين ثمارها في أكبر انتصار حققه الغرب في هذا المجال وهو تربية أجيال من أبناء المسلمين على هذه الخيانة للعلم والتاريخ ، والدفع بهم ليكونوا في مراكز التوجيه والتعليم في المدارس والجامعات الإسلامية ، ليتولوا هم بأنفسهم وبعقولهم وبأقلامهم تزييف التاريخ ، وتأكيد المزيف منه ؛ بخصوص سيطرة الغرب العلمية والحضارية التاريخية على العالم ، وإبراز الإسلام في دور المعوق للحضارة (**خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٧**) .

وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بتاريخ التربية ـ موضوع الدراسة ـ تظهر بصورة واضحة سيطرة الفكر الغربي على عقول أبناء المسلمين الذين تربوا على أيدي الغرب فهذا الدكتور / محمود عبد الرزاق شفشق الذي حصل على ماجستير في التربية المقارنة من جامعة ريدنج بانجلترا ، ودكتوراه الفلسفة في التربية المقارنة من جامعة شيكاغو يخرج للمجتمع الإسلامي بكتاب ـ لعله من أقدم الكتب باللغة العربية في موضوعه ـ وهـو الأصول الفلسفية للتربية ، والذي يوحي من عنوانه أن التربية تنتمي

إلى الأصول الفلسفية فقط إضافة إلى أن محتوياته تضمنت الحديث عن فلسفة وآراء كل من : سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، الفارابي ، ابن سينا ، الغزالي ، ابن رشد ، توماس الأكويني ، روجو بيكون ، جوهان آموس كومينو ، جون لوك ، جان جاك رسو ، جوهان هريش بستالوتزي ، جوهان فريدريك هربارت ، هربارت سبنسر ، تشارلس بيرس ، جون ديوي ، برتداندرسل (**شفشق : الأصول الفلسفية للتربية**) . وكأن ليس للتربية مصدر آخر ، ولا أصول أخرى ، ناهيك عن أن هذه الأصول الفلسفية تنتمي إلى الإغريق ، وفي هذا يشارك المؤلف مدرسيه الغربيين في المغالطة العلمية التي تقرر أن تاريخ التربية يبدأ من الإغريق ببداية تاريخ الإنسان المتطور عن الحيوان ـ كما يزعمون ـ ؛ والمسلم لا يجوز له المشاركة في هذا التزييف الباطل بنصوص كتاب ربه عز وجل وسنة نبيه ﷺ التي تثبت أن التاريخ الحقيقي للإنسان هو التاريخ الذي يبدأ بالإنسان المخلوق ، وهو آدم ـ أبو البشر ـ عليه السلام ، وتاريخ التربية والتعليم فرع عن ذلك التاريخ ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

ولما كانت التربية في نظر المؤلف وأسلافه هي بنت الفلسفة الإغريقية الأوربية ، فإنه قد اكتفى من تاريخ التربية الإسلامية بآراء الفلاسفة الذين هم أصلاً ثمرة الفلسفة الإغريقية، وقد كانوا نبتاً غريباً في تاريخ الإسلام [إلا من تاب] (**خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٧ ـ ٩**) .

هذا مثال واحد مما كتب عن تاريخ التربية ، ولا يعني إيراده النيل من المؤلف بل القصد بيان مدى سيطرة الفكر الغربي على عقول بعض من تربوا على ثقافته من أبناء المسلمين ، وجرهم إلى المشاركة في ترسيخ تزييف تاريخ التربية ، وهو تنبيه إلى بلوى عامة وكتاب شفشق ليس فرد ولكنه نمط ، مع أن النقد البنّاء ، وإعادة الحق إلى نصابه في كل قضية ، ومنها القضايا المتعلقة بتاريخ التربية ـ موضوع الدراسة ـ في ضوء الإسلام من أهم مطالب التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

ثانيا : طغيان الترجمة في تاريخ التربية :

(أ) اهتمام الغربيين بتاريخ التربية :

برز الإهتمام بتاريخ التربية في الغرب منذ بداية القرن العشرين الميلادي الموافق للقرن الرابع عشر الهجري ، حيث أدركوا ما له من نفع كبير في تهذيب النشء ، وتقدم العملية التربوية ، باعتبار « تاريخ التربية من الأساسيات التي يجب أن يتثقف بها كل دارس للتربية إذا أراد أن يكون لما يدرسه معنىً يستطيع أن ينتفع به في تغيير الحاضر ، وتشكيل المستقبل » (**بك : التاريخ الإجتماعي للتربية ، تقديم الترجمة ، ص 5**) ،

ويصف (**مصطفى أمين**) في كتابه (**تاريخ التربية**) اهتمام الغربيين بتاريخ التربية قائلاً : « تنافس علماؤهم في جمع فرائده ، واقتناص شوارده ، وتباروا في تحقيق مسائله ، وترتيب حقائقه ، وصنفوا فيه من جليل الكتب ما يَشْفى غُلَّة الطلاب ، ويروي ظمأ الباحثين .. » (**ص ٧**) ، وهذا وصف مبالغ فيه ، وإن دلّ على شيء فإنه يدل على تفشي الانبهار والتأثر بفكر الغرب في تاريخ التربية .

وعلى أية حال فإن من أشهر الكتب التي عالجت تاريخ التربية باللغة الانجليزية وترجم بعضها إلى اللغة العربية ما يلي :

- كتب جرانفز الأربعة :

الأول بعنوان : التربية قبل العصور الوسطى ، وقد نشر عام ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .

الثاني بعنوان : التربية في العصور الوسطى ، وقد صدر عام ١٣٢٨ هـ =١٩١٠ م .

الثالث بعنوان : التربويون العظام في ثلاثة قرون ، وقد نشر عام١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م .

الرابع بعنوان : تاريخ التربية في العصور الحديثة الذي صدر عام ١٣٣١هـ= ١٩١٣ م .

- كتاب راسك بعنوان : مذهب التربويين العظام ، صدر عام ١٣٣٧ هـ = ١٩١٨ م .
- كتاب منرو بعنوان : المرجع في تاريخ التربية ، والذي نشر عام ١٣٣٧هـ = ١٩١٨م .
- كتاب بروباكر بعنوان : تاريخ المشكلات التربوية، الذي صدر عام١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م .
- كتاب باتس بعنوان : التاريخ الثقافي للتربية الذي صدر عام ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٧ م (١) .

---

(١) انظر : معلومات النشر مفصلة باللغة الانجليزية في قائمة المراجع .

(ب) ترجمة كتب تاريخ التربية إلى العربية ونقلها إلى المجتمعات الإسلامية :

ظن بعض التربويين المسلمين الذين تلقوا تعليمهم في الغرب أن التربية علم جديد وحديث ، لا أصول له في الإسلام ، ومن ثم كان هاجسهم الأعظم الاقتباس التربوي المبني على الانبهار بما كان يسمى التربية الحديثة آنذاك، وقد ساعد على ذلك ، وأعان عليه وجود المستعمر بامتداداته الثقافية والحضارية في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، ولم تكن التربية هي المتأثر الوحيد بتلك النظرة ؛ بل كانت كافة العلوم متأثرة بها تأثراً كبيراً ، حيث جرى نقل تلك العلوم ، ومنها العلوم التربوية دون أن تتوفر لدى ناقليها رؤية تحليلية نقدية لها ، الأمر الذي جرهم إلى تبعية فكرية ، وتقليد أعمى ؛ كانت أبرز نتائجه ظهور الأزمة التربوية في المجتمعات الإسلامية (**أبو العينين : دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية ، ص ٤**) .

نعم .. لقد أخذ كثير من المهتمين بالتربية ، والدارسين لها ، وباحثيها في العالم الإسلامي ينقلون عن طريق الترجمة ، والاقتباس الحرفي ؛ النظريات والتطبيقات الغربية في التربية ، ويعرضونها على أنها خبرة ممتازة يجب الأخذ بها ، دون أن يبذلوا جهداً يذكر في تحليل ونقد ما ينقلون ، حتى زخرت مكتبات الجامعات وغيرها في البلدان الإسلامية بكمّ هائل من الكتب والمراجع التربوية التي تحمل تلك النظريات ، وتحكي تلك الممارسات ، بل كانت ـ ولا زالت ـ تُدَرَّس لطلبة كليات التربية والمعلمين في العالم الإسلامي ، حتى أصبحت تشكّل في أذهان خريجيها حقائق ثابتة ، بالرغم مما يبدو فيها من تناقض مع الواقع الإجتماعي والفكري للمسلمين ، وقبل ذلك وبعده ما تحمله من تعارض فاضح مع عقيدة المسلمين ، والأصول والقيم الإسلامية .

ويمكن للباحث أن يقدم بعض الأمثلة التي توضح طغيان الترجمة في الكتابات الخاصة بتاريخ التربية ، والتي روّج لها بعض المربين في المجتمعات الإسلامية بما يقدمون بين يديها من مقدمات تحمل عبارات الإطراء لقيمة تلك الترجمات ؛ والتي

تصل في كثير من الأحيـان إلى حـد المبالغـة ، فهذا (**صالح عبد العزيز وزميله**) ؛ (المُراجِع) يقولان في مقدمة ترجمتهمـا لكتاب (**بول منرو**) (**المرجع في تاريخ التربية**) : « نقدم لقراء العربية في مصر والشرق عامة ، وللمشتغلين بالتربية والتعليم خاصة .. كتاب تاريخ التربية للمربي الأمريكي الفاضل العلامة !! بول منرو » ثم يقولان :

« إن هذا الكتاب .. واحد من الكتب العالمية النفيسة المؤلفة باللغات الأجنبية في التربية والتعليم .. إننا جد واثقين إذا قلنا إن هذا السفر ليس كتاباً في تاريخ التربية في العالم في عصورها المختلفة فحسب ، ولكنه أيضاً موسوعة قيمة جامعة تقص علينا الثقافة الإنسانية في شتى نواحيها العلمية والفنية ، وتصف لنا العقلية الإنسانية في نشأتها ونموها وتطورها ، وتصورها لنا تصويراً واضحاً دقيقاً مفصلاً إلى حد كبير جداً » !! ، وهذا الكتاب بالإضافة إلى إغفاله لتاريخ التربية الإسلامية ؛ فإنه مليء بالأفكار المناهضة لعقيدة المسلم ، وفيه إشارات مدسوسة للغمز في الإسلام والمسلمين ، ففي الصحيفة (٣٧٩) قرن مؤلفه الإسلام مع الفارسية عند حديثه عن التصوف إذ قال : « يجد التصوف في كل من الديانة الفارسية والإسلامية مكاناً أقل قيمة » ، وفي الصحيفة (٢٦٢) اتهم (العرب) وهو يريد (المسلمين) بتهمة ساقطة لا برهان له بها إذ قال : « وكان لديرنوفاليز .. في إيطاليا قبيل القرن العاشر ، مكتبة كان بها عندما دمرها العرب ، ما يربو على ستة آلاف وخمسمائة مجلد » ، ولم يحرك ذلك لدى المترجم أي غيرة من ردّ أو امتعاض عند ترجمته لتلك المغامز ، والتهم ؛ التي وجهها المؤلف للإسلام وتاريخ المسلمين إضافة لما احتواه الكتاب من أفكار ما كان للمترجم المسلم الذي يعتز بعقيدته ، ويرى واجب حمايتها عليه أن يتجاوزها بغير تفنيد أو رد . وليس مترجم هذا الكتاب وحده في هذا المسلك المستسلم بل إنه يمثل نمطاً لمجموعة كبيرة من المربين الذين تولوا ترجمة الكتب التربوية الغربية وروجوا لانتشارها في العالم الإسلامي .

ومثال آخر لكتاب مترجم في تاريخ التربية ، وهو كتاب (**روبرت هولمز بك**) وهو استاذ ورئيس قسم تاريخ وفلسفة التربية بجامعة منيسوتا بالولايات المتحدة

الأمريكية (**التاريخ الإجتماعي للتربية**) ، فقد ترجمه إلى العربية (**محمد لبيب النجيحي**) وزميلاه ، وأوضحوا في تقديم الترجمة أن الكتاب يتبنى فكرة الإنسانية في تطور التربية وازدهارها ، ومعلوم لمن لديه الغيرة على دينه ويتنبه لدسائس الأعداء أن الهدف الحقيقي من دعوة « الإنسانية » هو : « نبذ المبادىء والمذاهب والمعتقدات والنظم التي تسبب الفرقة بين الناس ، وأهم ما يجب من دعوة الإنسانية نبذه هو الدين . وأخطر الأديان التي تقف حاجزاً أمام مخططي دعوة الإنسانية هو « الدين الإسلامي » إذ هو الطود العظيم الذي يريدون دكه والإجهاز عليه » (**الميداني : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص ٣٨٤**) .

أما نصف هذا الكتاب المترجم فانه يركز على تاريخ التربية الأمريكية . وقد رأى المترجمون أن ذلك يحمل « أهمية لدارسي التربية الذين يرون أن التربية المعاصرة بنظرياتها وفلسفاتها قد ازدهرت كل الإزدهار في أمريكا مما يمكن أن يكون لنشر تاريخها بصورة أكثر توسعاً ؛ فائدة لتدريس التربية في البلاد الأخرى » (**تقديم الترجمة ، ص ٦**) ، وفي هذا ترويج للتربية الأمريكية ، التي انتقدها أهلها في عقر دارها ، إضافة إلى أن التربية مهما بدت صالحة ـ فكيف وقد ثبت عوارها ـ فإنها قد نشأت في مجتمع آخر له ظروفه ، وخبرته الاجتماعية التاريخية الخاصة به ، وقبل ذلك له عقيدته وتصوراته الخاصة .

(جـ) اغفال الكتب المترجمة لتاريخ التربية الإسلامية :

لا توجد تربية صالحة لكل المجتمعات ، ولكل العصور ، عدا التربية الإسلامية الحقة ، المنبثقة مبادؤها وأصولها من الكتاب ، والسنة ، والتي وصف تطبيقها الفكر الإسلامي الرشيد ، الذي ينطلق في تصوراته ، وتفسيراته من هذين المصدرين . وبالرغم من أن تلك التربية كانت أساساً متيناً لحضارة استمرت في قيادة الحضارة البشرية قروناً عديدة . فإن ما كتب عن تاريخ التربية العامة قد تجاهل تاريخ التربية الإسلامية ، مع الاعتراف بذلك التجاهل ، فقد حكى (**ماجد الكيلاني**) في كتابه

(**تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**) أن أعلام الفكر التربوي في أمريكا وأوربا وروسيا ينعون على طلبتهم تجاهل تاريخ هذه التربية ، واستشهد بقول البروفسور بيارد دودج : « حين يدرس الطلبة التربية في العصور الوسطى كثيراً ما ينسون أنه وجد إلى جانب التعليم اللاتيني جنباً إلى جنب ثقافة عربية مزدهرة امتدت من أسبانيا إلى أفغانستان وزودت النهضة الأوروبية بأمداد هامة » (**ص ١٣**) .

ومع أن هذه الشهادة ليست مكتملة الشروط ، وقد ساوت ــ ظلما ــ بين التربية الإسلامية ، والتعليم اللاتيني فيما عرف عندهم بعصور الظلام ، التي كانت عند المسلمين عصور نور وهداية ، وسمت الثقافة الإسلامية بغير اسمها ، فإنها تؤكد التجاهل المتعمد من قبل المفكرين التربويين في الغرب لتاريخ التربية الإسلامية ، وتنكرهم لفضل الحضارة الإسلامية التي كانت من ثمار تلك التربية الشاملة الكاملة .

ومن يشر إلى تاريخ التربية الإسلامية من الغربيين تأت إشارته مقتضبة ومبتسرة لا تحكي الصورة الحقيقية لتاريخ التربية الإسلامية ، إن لم تشوهها ، ومع الأسف فإن هذه الحال تنطبق على المؤلفات التي كتبت عن تاريخ التربية من قبل أبناء المجتمعات الإسلامية ؛ الذين اعتمد أوائلهم على نهج غير المسلمين ممن أشاروا في كتبهم إلى التربية الإسلامية إشارات في الكثير منها الدس ، والغمز ، واللمز للقرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ ــ فعلى سبيل المثال ــ وردت في أحد الكتب التربوية الأجنبية التي تعلم منها واعتمد عليها آلاف الأساتذة والطلاب من أبناء المسلمين منذ عام ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م وحتى الآن ما يزيد على نصف قرن !! وهو كتاب « أصول التربية الحديثة » لمؤلفيه « ايلمر وايلدزو كينيث لوتش » ، اللذين ناقشا الأصول والأبعاد التاريخية للمذاهب التربوية المعاصرة ، وعقدا فصلا بعنوان : « الاتجاه الإسلامي في التربية » أكدا فيه ظلماً وعدواناً ، وبدون دليل أو سند : « أن القرآن كتاب مشتت ، في جزء منه ممل ، وفي جزء آخر رائع وجميل ،

وعموماً فهو خليط من عناصر يهوديـــة ومسيحية وغيرهما من الديانات السابقة »

(Elmer Wilds & Knneth.Lottich : The Foundations of Modren Education, P. 144)

وإذا كان تأكيد هذين المؤلفين على هذه الفكرة الظالمة بهذه الجدية والقطعية فإن نتائج خطيرة جداً ، لا بد أن تبنى عليها منها : الخلط بين القرآن والحديث ، إذيقول المؤلفـان : « فـقرآن المسلمين ورد فيـه أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، كما أنه يطالبهم بطلب العلم ولو في الصين ، ويقول لهم إن العلماء ورثة الأنبياء » (Ibid . P. 155) ، وقد تضمن هذا القول الإشارة لحديثين صحيحين هما : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والعلماء ورثـة الأنبيــاء ، وزادا فـي أحدهمـا ، وجاء الثـالث مـوضـوعـاً وهـو « اطلبوا العلم ولـو في الصين» (**الألباني : صحيح الجامع ، ٢ / ٧٢٧ ، ١٠٧٩**) و (**الألباني : ضعيف الجامع ، ص ١٢٩**) .

يقول (**حسان محمد حسان**) عن هذين المؤلفين « أولهما شغل كرسي التربية بجامعة غرب ميتشجان ، والثاني شغل كرسيها في جامعة مونتاني ، ولم يكلفا نفسيهما قراءة القرآن الكريم ، أو الاستعانة بالمختصين للتمييز بين الآيات والأحاديث » (**من أخطاء التربويين الغربيين في حق المسلمين ، ص ١٥٩**) .

والمؤكد أن مئات الكتب التربوية وغير التربوية التي كتبها المستشرقون وعلماء التربية الغربيون ، حافلة بالتحريفات والتشويهات بحكم أن مؤلفيها لا يعترفون بأن: القرآن وحي من الله عز وجل، ولا بأن رسولنا الكريم ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولذا لا يتوقع منهم الاهتمام بموضوع تاريخ التربية الإسلامية ، ولا الصدق فيه .

(د) أثر الترجمة على كتابات بعض المؤلفين المسلمين المعاصرين عن تاريخ التربية :

إن كتب تاريخ التربية التي كتبت بأيدي مؤلفين مسلمين في غمرة التأثر بالكتابات الغربية عن تاريخ التربية ، هي الأخرى لم تتضمن عن تاريخ التربية الإسلامية إلا الشيء اليسير في شكل فصل أو بعضه ، ومنها على سبيل المثال :

ـ كتاب (**تاريخ التربية**) (**لمصطفى أمين**)، الذي طبع عام ١٣٤٤هـ=١٩٢٥م ، وكانت طبعته الثانية عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م وقد كتب فيه مؤلفه فصلاً واحداً عن

التربية عند العرب في الجاهلية والإسلام ، تناول فيه أغراض التربية ، ومناهجها ووسائلها ، ومعاهد التعليم ، وتربية المرأة ، و تحدث عن بعض رجال التربية في العصر الإسلامي . (**ص ١٥٦ ــ ١٨٨**) .

ــ كتاب (**التربية عبر التاريخ من العصور القديمة إلى أوائل ا لقرن العشرين**) (**لعبد الله عبد الدائم**) طبع عام ١٩٦٠ بعنوان « تاريخ التربية » وقد أغفل مؤلفه موضوع التربية الإسلامية ، ثم في الطبعة الثانية عام ١٩٧٣ م صدر بالعنوان الأول . متضمناً باباً واحداً عن تاريخ التربية العربية في الجاهلية والإسلام كما سماها سلفه مصطفى أمين (**ص ١٤١ ــ ٢٦٤**) .

ــ كتاب (**تاريخ التربية**) (**لمحمود عبدالرزاق شفشق و منير عطا الله سليمان**) ، الصادر عام ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م ، وكانت طبعته الثانية عام ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، وقد تضمن فصلاً واحداً فقط عن التربية الإسلامية (**ص ١٧٧ ــ ٢٢٥**) .

ــ (**كتاب التربية قديمها وحديثها**) (**لفاخر عاقل**) ، الصادر عام ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤ م ، والذي صنف فيه مؤلفه التربية العربية الإسلامية ــ كما سماها ــ ضمن أنواع التربية القديمة ولم يشغل تاريخها من الكتاب سوى ورقات معدودة (**ص ٤٩ ــ ٦٦**) .

ومن الملفت للنظر أن يوجد من التربويين المسلمين من يرفض وجود تربية إسلامية عاشت وماشت عصور الحضارة بعد نهاية القرن الأول الهجري فيقول : « إن مصطلح التربية الإسلامية ينصرف عنده إلى التربية التي تفسر القرآن والسنة نصاً وروحاً ، أهدافاً ومناهج ، أسلوباً وطريقة ، قدوة ومثالاً وكانت هذه تربية عهد النبوة والصحابة والتابعين » (**حسان و آخر : مدارس التربية في الحضارة الإسلامية ، ص ١١**) ، ويظهر أن صاحب هذه الفكرة إنما أراد أن ينأى بمصطلح التربية الإسلامية عن الإشكالية التي يثيرها بعض علماء الفلسفة حول مصطلح فلسفة إسلامية ، وهذا في نظر الباحث قياس مع الفارق ، ولكنه رأي رآه صاحبه ، وهو قابل

للنقاش . وقد كان ؛ فهذا (**محمود قمبر**) يقول معلقا على هذا الرأي :

« هذا كلام نظري يعبر عن مفهوم ذاتي لا يتفق مع المنطق التاريخي ، والواقع الاجتماعي وسنة الحياة في التغير والتطور . إن القرآن والسنة مصدران عامان للتشريع الإسلامي في كافة المجالات الدينية والدنيوية . وقد وقف أمام نصوصهما الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم وقفات المفكرين والمجتهدين واختلفوا في الفهم والتفسير والتطبيق ، وصنعوا في البيئات المختلفة والأزمان المتعاقبة نظماً وحضارات اختلفت وتمايزت » (**دراسات تراثية في التربية الإسلامية ، ص ١٠**) .

وهذه وجهة نظر جيدة في تقدير الباحث ؛ بل إنها مطابقة لحقيقة مسيرة تاريخ التربية الإسلامية ، الذي سيستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

ومن خلال استعراض تلك النماذج التي تحدثت عن تاريخ التربية الإسلامية سواء الكتب المعرّبة عن الانجليزية أو الكتب التي تأثرت بها فإنه يمكن تلخيص بعض جوانب الخلل التي تُلِحُّ بالحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية من أجل إصلاح ذلك الخلل ، ووضع الأمور في نصابها ، ووزنها بميزان الإسلام العادل في النقاط التالية :

١ ـ التحيز الواضح من قبل مؤرخي التربية الغربيين في إغفالهم لتاريخ التربية الإسلامية ، عند حديثهم عن التربية فيما يسمونه العصور الوسطى . مع أنها كانت أعظم ما عرفته الحضارة البشرية من تربية خلال تلك الفترة .. ولعل عذرهم في ذلك يرجع إلى عدم اهتمامهم بالموضوع رغم أهميته ، أو لجهلهم بذلك التاريخ ، أو لتحيزهم وتعصبهم في بعض الأحيان ، وحقدهم على كل ما ينسب إلى الإسلام .. وإنكارهم لتأثير الحضارة الإسلامية على أوروبا المسيحية ومنهم من يحاول اخفاء هذا التأثير أو ينسبه للعرب بطريقة غامضة كما يقول (**بول منرو**) : « .. ومع أن العرب أضافوا الكثير إبان الجزء الأخير من العصور الوسطي ؛ فإن هذه الزيادات ضمها جماعة الرهبان إلى ما يمتلكونه .. » (**المرجع في تاريخ التربية . ١ / ٣٦١**) ، وإذا تناولوا الفكر التربوي عند المسلمين اختاروا فئة الفلاسفة من أمثال إخوان الصفا الذين تجرأوا على شرع الله إلى حد القول :

« بأن الشريعة قد دنست بالجهالات واختطلت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتماعية » (**حسان و آخر : مدارس التربية في الحضارة الإسلامية ، ص ١٢**) ، ولا شك أن اختيار أولئك المؤلفين للفلاسفة ، وإعطاءهم وزناً أكبر من حجمهم إنما كان نتيجة أهداف خاصة وأغراض معينة ، ضد الإسلام وتاريخه .

٢ ـ تشتد دهشة دارس تاريخ التربية عندما يرى أن المؤلفات العربية تعالج موضوع التربية الإسلامية عند الكلام عن التربية فيما ينعت بالعصور الوسطى تقليداً لمنهج الغربيين ، وكأن دراسة الموضوع تقف عند هذه الفترة الزمنية .. والحقيقة أن الفجوة في تتبع تاريخ التربية الإسلامية عبر العصور من أجل فقهه والاستفادة منه ما تزال قائمة حتى الآن .. ولا توجد محاولة جادة في هذا الاتجاه ، حسب اطلاع الباحث ، والأمر الأشد خطراً هو أن كثيراً ممن كتبوا عن تاريخ التربية اعتمدوا على وجهة نظر الغربيين في التربية الإسلامية ، وجعلوها الأساس الذي ينطلقون منه في النظر الى تاريخ التربية الإسلامية والحكم عليه .

٣ ـ من التصورات المغلوطة بحق التربية الإسلامية أن يدرجها كُتّاب تاريخ التربية ضمن التربية ا لقديمة ، ومن الواضح أن هذا التصنيف ينطوي على الإقلال من شأنها ، إذ من سجية البشر رغبتهم في الأشياء التي تفيدهم في زمنهم الحاضر ، وكمثال على هذه المغالطة ، فإن أحد المؤلفين قسّم كتابه في تاريخ التربية الحديثة إلى قسمين ؛ الأول : النظريات ، والثاني: التطبيق ، وقدم لهما بما سماه التربية القديمة وأدرج تحت هذا العنوان مجموعة من أنوا ع التربية ومنها ما سماه بالتربية العربية الإسلامية .

ولم يكتف بهذا . وإنما قال :

« من المألوف أن يترحّم الناس على أيام زمان وأن يذكروا الماضي بالخير .. والعجيب في الأمر أن كل جيل يتلو جيلاً يردد ما كان يردده الجيل السابق حتى

ليخيل للمتأمل أن الإنسانية في تدهور وأن الاقتصاد في تقهقر وأن الأخلاق تتردى .. والأعجب من هذا وذاك أن المراقب حيث يلتفت حوله وينظر بعين مجردة وعقل متفتح وقلب نابض يجد أن الأمر على النقيض وأن الانسانية تتقدم .. وأن الأخلاق في ألف خير إذا قورنت بما كانت عليه » (**عاقل : التربية قديمها وحديثها ، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧**) .

وقد فنّد أحد المربين المسلمين هذه المغالطة بقوله :

« فالحديث ــ حسب زعم المؤلف ــ خير من القديم ، ومع أننا لسنا من أنصار كل قديم إلا أننا نرفض ربط الخير العميم بالعصر الحديث . فالقرآن الكريم الذي جاء شفاء ورحمة للمؤمنين نزل على الرسول الكريم (ﷺ) في القرن السابع الميلادي لا في القرن العشرين ، وأنه لظلم كبير أن تصنف التربية الإسلامية ضمن التربيات [هكذا] القديمة ، ثم يُربط بين القديم وبين المتأخر في سائر المجالات لأن هذا يعني الترويج بتخلف التربية الإسلامية يضاف إلى هذا أن واقع المجتمعات المعاصرة خير دليل على عدم صدق هذه المقولة . فالمجتمعات الغربية الحديثة تشكو من التخمة في الوقت الذي يعاني فيه ملايين البشر في القارة الأفريقية من نقص خطير في المواد الغذائية الضرورية لبقائهم على قيد الحياة . والعصر الحديث الذي زود الناس بوسائل الراحة هو العصر الذي حمل معه القلق والاضطرابات النفسية » (**عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ٢٨**)

بل إن العصر الحديث أصبح عصر العداء السافر ضد الإسلام وأهله حرباً ، وتشويهاً ، وإبادة شعوب بأكملها كما هو الحال في البوسنة والهرسك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(هـ) محاولة التحرر من الترجمة والالتفات لتاريخ التربية الإسلامية :

إن تاريخ التربية الإسلامية تاريخ حافل لا بد من عودة المسلمين إليه لفهم أهداف ، وحقائق ، وأصول ، ومبادىء ، وقيم تلك التربية على الصعيدين النظري والتطبيقي ، من أجل « تكوين نظرات نقدية مقارنة [لغير الثوابت] ، تُرى من خلالها ظواهر التربية المعاصرة وما فيها من خطوط اتصال ظاهرة أو خفية ، قوية أو ضعيفة ، ترجع في مساراتها إلى أصولها الإسلامية الأولى وما فيها كذلك من فجوات انقطاع وخطوط تحول اتجهت إلى أصول ومصادر أجنبية

قديمة أو حديثة ، شكلت ـ أو أسهمت في تشكيل ـ النظم التربوية القائمة »
(قمبر : دراسات تراثية في التربية الإسلامية ، ص ١٤) .

ولكن الرجوع إلى تاريخ التربية الإسلامية كغيره من تواريخ التربية الأخرى يحتاج إلى توجيه إسلامي يحاكم مسيرة ذلك التاريخ عبر العصور على ضوء الأصول الإسلامية الثابتة لمعرفة مدى بعده أو قربه مما ينبغي أن يكون عليه .

ولعل من مظاهر اهتمام المسلمين بالكشف عن تاريخ التربية الإسلامية ورصده وتفسيره للإستفادة منه في علاج أزمتهم التربوية الناجمة عن التبعية للغير . ظهور دراسات عن التربية ـ حتى في غير الكليات التربوية فعلى سبيل المثال أجازت كلية اللغة العربية في القاهرة عام ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧ م موضوعات متنوعة كتخصص للتدريس منها :

تاريخ التربية والتعليم في العصور الإسلامية ، والحياة العلمية في عصر الدولة الإسلامية ، وتاريخ التربية من آراء الغزالي ، والتربية والتعليم في القرآن والسنة ، وتاريخ التربية بعد ظهور الإسلام إلى قيام الدولة الأموية وغيرها (**أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا : دراسة مسحية تقويمية للبحوث التربوية والنفسية منذ الثلاثينيات ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٦) .**

إضافة إلى إجازة بعض الرسائل المتعلقة بتاريخ التربية الإسلامية في كلية الآداب خاصة أقسام التاريخ مثل رسالة خطاب عطية علي عام ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٦ م بعنوان : تاريخ التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول .

وفي فترة التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري الموافقة للسبعينات من القرن العشرين ازدهرت البحوث العلمية في التربية الإسلامية ـ بشكل عام ـ تبعاً لانتشار كليات التربية في المجتمعات الإسلامية ، وانشاء أقسام الدراسات العليا ، فجاءت الدراسات والبحوث في التربية الإسلامية كثيرة ومتنوعة . إذ بلغ عدد الرسائل الجامعية في مجال التربية الإسلامية في الجامعات المصرية (١٧٥) رسالة ، وفي الجامعات السعودية (٨٣) رسالة ما بين ماجستير ودكتوراه حتى عام ١٤١٠ هـ =

١٩٩٠ م (**النقيب : دليل مستخلصات الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية**) .

وعلى صعيد المؤتمرات والندوات عقدت مؤتمرات غير قليلة خلال الفترة من (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧ م) إلى (١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م) . كلها تستهدف تأصيل الفكر التربوي وربطه بالأصول الإسلامية (**أبو العينين : دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية ، ص ٩ ، ١٠**) .

ومن الأعمال التي صدرت في الكتب عن تاريخ التربية الإسلامية ما يلي :

ـ كتاب (**تاريخ التربية الإسلامية**) (**لأحمد شلبي**) ، وقد سد هذا الكتاب فراغاً في المكتبة العربية الإسلامية ، إذ كان المثقفون المسلمون يعرفون الكثير عن التربية الإغريقية والانجليزية ، ولا يعرفون شيئاً ذا بال عن التربية الإسلامية كما يقول المؤلف في (**ص ٣٤**) .

وقد تناول المؤلف بالدراسة أمكنة التعليم قبل وبعد إنتشار المدارس ، والمكتبات والمدرسين والتلاميذ ، وفلسفة النظم بالمعاهد التعليمية ، وموضوعات الدراسة وغير ذلك .

ــ كتاب : (**التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**) (**لحسن إبراهيم عبدالعال**) تناول فيه المؤلف التربية الإسلامية باعتبارها نظاماً تربوياً متكاملاً في فلسفته وأهدافه ، وإدارته وتمويله ، وله مناهجه وطرقه وأساليبه ، وله مدرسوه وطلابه ، وقد حرص المؤلف أن يربط القرن الرابع الهجري تربوياً بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، سواء فيما وافق فيه أو خالف .

ــ كتاب (**بحث في المذهب التربوي عند الغزالي**) ، (**لفتحية حسن سليمان**) ، وقد ذكرت المؤلفة في مقدمة الكتاب أن الدارس لتاريخ التربية ــ [تقصد ما كتب لدى الغرب] ــ يلاحظ خلو الدراسات من دراسة تاريخ التربية في العصور الإسلامية ، وعزت ذلك إلى الجهل بتاريخ الإسلام ، أو قلة عدد قراء العربية ، أو قلة

انتشار تراجم المؤلفات العربية في البلاد الغربية ، أو قد يرجع إلى نوع من التعصب الذي يشعر به معظم الغربيين نحو كل ما هو شرقي ، بل وإسلامي على الوجه الأخص (ص٣) وقصرت المؤلفة بحثها على الإمام الغزالي فعرّفت به ثم تناولت أهداف التربية والمنهج وطريقة التدريس كما يراها الغزالي ، ومن المعلوم بداهة أن الإمام الغزالي لا يمثل تاريخ التربية الإسلامية ، وإن كانت آراؤه الصحيحة تمثل جزءا من أفكار المربين المسلمين .

ـ كتاب (**من أعلام التربية الإسلامية**) (**لمجموعة من المؤلفين**) ترجموا فيه لمجموعة من أعلام التربية الإسلامية باعتبارها ممثلة لشخصيات إسلامية عبر التاريخ الإسلامي ، ابتداء من القرن الهجري الأول وحتى بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، وقد تضمنت تلك الدراسات الاهتمامات التربوية لأولئك الأعلام .

والحقيقة أن جميع الدراسات التي تناولت تاريخ التربية الإسلامية ـ بصفة خاصة ـ وتاريخ التربية عامة تمثل اجتهادات فردية . يعتريها القصور والخلل كأي عمل إنساني ، وليس لها تأثير كبير في تغيير الواقع المعاصر أو بناء الإنسان المسلم الصالح المصلح ، والمجتمع الإسلامي الناهض ، وإن كان ذلك يرجع ـ أيضا ـ إلى أسباب خارجية كذلك .

ومن الملاحظ على كثير من المؤلفات التي كتبت عن التربية الإسلامية أنها تستشهد أحياناً بأحاديث ضعيفة، أو تنسب بعض الأقوال المأثورة إلى الحديث النبوي ، إضافة إلى عدم الاهتمام بكتابة الآيات القرآنية ، وإهمال توثيق الأحاديث ، وبيان درجتها من حيث الصحة أو الحسن ، أو الضعف ، ولعل مرد ذلك هو قلة بضاعة بعض من يتعاملون مع الكتابة عن التربية الإسلامية ـ أصولاً وتاريخاً ومنهجاً وغير ذلك ـ في معرفة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، فيعتمدون على نقل الآيات والأحاديث من غير القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث المعتمدة .

ويمكن رؤية ذلك بوضوح على سبيل المثال في كتاب (**نظرية التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام**) (**لأمينة أحمد حسن**) ففي هذا الكتاب الذي يقع في حوالي أربعمائة صفحة من الحجم المتوسط كثير

من الأخطاء في الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأخطاء النحوية أيضاً ، إضافة إلى بعض الأفكار التي هي في حاجة إلى المناقشة وإعادة النظر فيها .

فقد أوردت المؤلفة في الصحيفة (٣٥) قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ.. ﴾ (الجاثية : ٢٤) ، وأسقطت كلمة « الدنيا » .

وفي الصحيفة (٣٧) أوردت الآية رقم (٣٠) من سورة التوبة ، وزادت في أولها ما ليس منها وهو قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً ﴾ (البقرة : ١١٦) . وفي نفس الصفحة أوردت الآيتين (١٠١ ، ١٠٢) من سورة الأنعام ، وجعلت كلمة « خلق » بدل كلمة « خالق » في الآية (١٠٢) .

وفي صحيفة (١٩٠) أوردت قول الله تعالى : ﴿ وَما خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ٥٦) مبدوءة بكلمة « إنما » بدل « وما » .

وغير هذا كثير من الأخطاء في الآيات القرآنية إما بزيادة أو بنقص أو بلا ترقيم ، تعالى كتاب الله وتقدس ، وكلها أخطاء كان بالامكان تداركها من قبل المؤلفة خاصة وأنها تتعامل مع القرآن الكريم ، فكان الواجب عليها أن ترجع إليه مباشرة عند كتابة كل آية .

أما الأحاديث التي ذكرتها المؤلفة بدون تخريج فكثيرة منها في الصحيفة (١٢٧) قوله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » ولم تعزه لأي مصدر ، ونصه عند (**البخاري**) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه هكذا . « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ : المسجدِ الحرامِ ، ومسجدِ الرَّسولِ ﷺ ، ومسجدِ الأقصى » (**صحيح البخاري ،١ / ٣٩٨**) ، وفي صحيفة (١٦٨) أوردت خمسة آثار نسبتها إلى الرسول ﷺ ولم تسندها لأي مصدر ، بل هذه هي الحالة الغالبة على الآثار التي أوردتها المؤلفة خلال صفحات كتابها .

وكمثال آخر نجد أن أحد كتّاب تاريخ التربية وهو (**محمد منير مرسي**) ، يورد في كتابه (**تاريخ التربية في الشرق والغرب**) الآيات القرآنية بالمعنى ، ولم يعر الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية التي أوردها أي اهتمام من حيث الترقيم للآيات ونسبتها إلى سورها ، أو عزو الأحاديث إلى مصادرها ، إضافة إلى اعتماده على الأحاديث الضعيفة ، بل والموضوعة أيضاً . وكل هذا له مثال في صفحتين من ذلك الكتاب وهما (**ص ص ٢١٢ ، ٢١٣**) (١) .

ولا شك أن مثل هذه التجاوزات المخلة في كتابة تاريخ التربية الإسلامية من قبل أبناء الإسلام ـ خاصة ؛ فضلاً عن أعدائه ـ أمر جد خطير ، وإن ترك بلا تمحيص وإصلاح وتوجيه سيكون فيه تضليل لأبناء الأمة الإسلامية وبلبلة لأفكارهم بإعطائهم صورة مضللة عن التربية الإسلامية ، بالإضافة إلى أنه سيكون مرتعاً خصباً لأغراض المغرضين ، من تشويه ودسّ ومغالطة ومكر ضد الإسلام والمسلمين ، وهذا مما يؤكد الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، من أجل إصلاح ما اعتراه من مفاهيم علمانية ونظريات غربية ، وتفسيرات مادية ، معارضة تماماً للتوجيهات الإسلامية ، إضافة إلى الخلل الواضح في تناول أهم تاريخ للتربية يمكن أن ينقذ البشرية مما هي فيه من أزمة تربوية قاتلة ، ألا وهو تاريخ التربية الإسلامية القائم والموجه بموازين الإسلام الثابتة في الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ثالثاً : تأثير الإتجاه العلماني في تاريخ التربية :

(أ) بيان موجز لمعاني كلمة « علمانية » :

في بداية الحديث عن تأثير الاتجاه العلماني في تاريخ التربية لابد من بيان موجز لمعنى كلمة « علمانية » نظراً لوجود خطأ فاحش في الترجمة ، جاء مقصوداً من

---

(١) انظر : الملحق رقم (١) .

قبل ناقليها من الغرب ـ موطن نشأتها ـ إلى المجتمعات الإسلامية ، ليتضح من خلال هذا البيان أن كلمة « علمانية » لاصلة لها بالعلم الذي نسبت إليه ، ويري الباحث أن تكون بداية البيان من معاني الكلمة عند واضعي المذهب العلماني ؛ وهم الغرب :

فلو كانت كلمة علمانية مشتقة من العلم لجاءت مترجمة من الكلمة الانجليزية « SCIENTIFIC » بمعنى العلمية نسبة إلى العلم « SCIENCE » فتكون الترجمة عندئذ صحيحة ومطابقة للكلمة المترجمة تماماً ، بيد أن العلمانية جاءت ترجمة لكلمة لاصلة لها بالعلم وهي « SECULARISM » وتعني لادينية « غير دينية » أو الدنيوية . بل إن جميع مفردات هذه الكلمة في لسان أهلها تدور حول نفي الدين عن الموصوف بتلك المفردات ، وقد تضمنت القواميس الإنجليزية في ترجمة العلمانية أنها تعني النظرية القائلة بأن الأخلاق والتعليم يجب ألا يكونا مبنيين على أسس دينية .. والعلماني هو المؤيد أو المعتقد في العلمانية .. ومعنى يعلمن أي يجعل الحياة الدنيوية لاعلاقة لها بالدين . (Hornby : The Advanced Learner's Dictionary , P 897) .

كما تضمنت دائرة المعارف البريطانية "The New Encyclopedia Britannica" في مادة « SECULARISM » : إنها حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب ، وذلك لأن الناس قد انكبوا على الدين وحب الإله والتأمل في الآخرة (١) وذلك في القرون الوسطى ، وجاءت اللادينية « SECULARISM » تقاوم هذا الاتجاه ، وشجع على ذلك نمو النزعات الإنسانية في عصر النهضة ، وهي نزعات أكدت صلة الإنسان بالدنيا وباعدت بينه وبين الدين .. وقد أكدت دائرة المعارف البريطانية على أن المذهب العلماني لون من ألوان

---

(١) يحاول دعاة العلمانية اللادينية تبرير إبعاد الناس عن الدين وسوقهم إلى العلمانية بمثل هذا الأسلوب بحجة ركون الناس إلى الرهبنة وبعدهم عن العمل ، ويزعمون أن ذلك بسبب التمسك بالدين ، وإن أمكن أن يصح هذا في رهبان النصارى ، فإنه لا رهبانية في الإسلام ، ولكن جهاد ونية ، وقول وعمل . (**العرمابي : نشأة العلمانية ، ص ١٨**) .

الإلحاد العملي ، وهو إنكار عملي لوجود الله تعالى ، يحمل صاحبه على الدعوة لفكرته (Incyc . Britannica V.10, P. 594)

هذه هي معاني العلمانية في اللسان الغربي كما ترجمها (**العوملبي**) في كتابه (**نشأة العلمانية ، ص ١٨ ــ ٢١**) ، والتي تؤكد عدم صلة العلمانية بالعلم المنسوبة إليه زوراً وبهتاناً ، كما تؤكد أن العلمانية لاتعني فصل الدين عن الدولة فحسب ـ كما هو شائع بين الناس ـ وإنما تعني بناء على ذلك عزل الدين عن الحياة كلها ، أخلاقية ، وتربوية ، وتعليمية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ... ولكن ؛ لماذا لم تترجم كلمة علمانية الترجمة الصحيحة فيقال « اللادينية » أو غير الدينية كما تعنيه في أصلها ؟

مادة « علم » المأخوذة منها كلمة علمانية إما أن تكون بكسر العين وسكون اللام ، وإما أن تكون بفتح العين وسكون اللام .. وعلى الأول يكون معناها العلم الذي هو ضد الجهل ، فتنطق : عِلْمانية بكسر العين نسبة إلى العلم بكسر العين . وعلى الثاني تكون منسوبة إلى : العَالَم ، بفتح اللام ، أو الدنيا ، وعليه يكون معنى « علمانية » الدنيوية في مقابل الآخرة ، وهنا تنطق عَلْمانية بفتح العين وسكون اللام ، وهذا المعنى ألصق بحقيقة العلمانية ، وما يقوم عليه واقعها . أما على الضبط الأول فإنها تعني نظاماً علمياً أو مذهباً علمياً ، وقد جيىء بترجمة العلمانية على هذا النحو من أجل التمويه على المسلمين ، وخداعهم ، وطمس حقيقة هذا المفهوم ؛ عن طريق دس السم في العسل لاستدراجهم إلى العلمانية بواسطة العلم الذي يحبونه امتثالاً لحث الإسلام عليه في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، ولكنهم يريدون أن يتم ذلك بالطريقة الغربية التي تهدف إلى « طرد الدين من ميدان الحياة ، وسد منافذ التأثير والتوجيه أمامه ، وترك المجال حراً أمام المادية لتعمل عملها المدمر في تشويه الإنسان والإنسانية » (**شمس الدين : العلمانية ، ص ١٤**) .

وفي ضوء هذا الهدف عرّف محمد مهدي شمس الدين العلمانية بأنها :

« النهج الحياتي الذي يستبعد أي تأثير أو توجيه ديني على تنظيم المجتمع ، والعلاقات الإنسانية داخل المجتمع ، والقيم التي تحتويها هذه العلاقات ، وتركز عليها ، ومن ثم فهي نهج حياتي مادي تكوّن نتيجة لنمو الفلسفات المادية اللادينية ، وهذا النهج هو الروح المحركة والموجهة في الحضارة الحديثة بجناحيها الرأسمالي والماركسي » (**المرجع السابق ، ص ٧**) .

وقد شاع في الكتب الإسلامية المعاصرة التعبير عن العلمانية بعبارة : فصل الدين عن الدولة ، والحقيقة أن هذه العبارة قاصرة عن إعطاء المدلول الكامل للعلمانية الذي يشمل الأفراد ، والسلوك ، بل قد لا يكون له صلة بالدولة ، ولذا يقرر الحوالي أن المدلول الصحيح للعلمانية هو : إقامة الحياة على غير الدين ؛ سواء بالنسبة للأمة أو للفرد ، ومن ثم تختلف المواقف من الدين بمفهومه الضيق الذي شاع في الغرب والشرق سواء ، فالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية تنعت منهجها بـ (العلمانية المعتدلة) أي أنها مجتمعات لا دينية ، ولكنها غير معادية للدين ، مقابل المجتمعات الشيوعية وما شاكلها المضادة للدين ، والتي يسمى منهجها « العلمانية المتطرفة » ولا فرق بين المسميين في الإسلام إذ كل ما ليس دينياً من المباديء والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين ، وعليه فإن الإسلام والعلمانية نقيضان لا يجتمعان ، وليس بينهما واسطة (**الحوالي : العلمانية نشأتها وتطورها و آثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ص ٢٤**) .

وعلى أية حال فقد تأكد مماسبق أن العلمانية تعني اللادينية ، أو الدنيوية ، وأنها دعوة إلى إقامة الحياة على غير دين ، وأنها مصطلح لا صلة له بكلمة العلم إطلاقاً .

وقد نشأت دعوة العلمانية في أوروبا وعمت أقطار العالم بتأثير الاستعمار والتنصير ، والشيوعية ، وتكمن جذورها الفكرية والعقائدية في الآتي :

- العداء المطلق للكنيسة التي وقفت ضد العلم ، وهيمنت على الفكر ، وشكّلت محاكم التفتيش ، وعذبت العلماء إلى حد القتل ، والحرق ، والعداء للدين أياً كان ، سواء عادى العلم أم وقف بجانبه .

ـ تعميم نظرية العداء بين العلم من جهة والدين من جهة أخرى لتشمل الدين الإسلامي على الرغم من أن الدين الإسلامي كان سباقاً إلى الدعوة الى العلم والحث على طلبه وتعليمه ، وتطبيق المنهج التجريبي وغيره من المناهج في نشر العلوم .

ـ انكار الآخرة وعدم العمل لها ، والزعم بأن الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات .

ـ الدور البارز لليهود في ترسيخ ونشر العلمانية للقضاء على الحاجز الديني من أجل السيطرة على أمم الأرض . (**الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان ، والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٧١**) .

ومن معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي ؛ والتي انتشرت عن طريق الاستعمار والتبشير ما يلي :

* الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

* الزعم بأن الإسلام استنفد أغراضه ، وأن الباقي منه عبارة عن طقوس وشعائر روحية .

* الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني .

* الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف .

* الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .

* تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ، كالقرامطة والخوارج وغيرهم والزعم بأنها حركات إصلاح .

* الدعوة إلى إحياء الجاهليات القديمة كالفرعونية والفينيقية والآشورية وغيرها وإثارة النزعات القومية لتفريق وحدة المسلمين ، والبعد بهم عن الإسلام .

* اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب وتطبيقها في المجتمعات الإسلامية حذو القذة بالقذة

* تربية الأجيال المسلمة تربية لا دينية (**المرجع السابق ، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١**) .

وعلى أية حال فإن الدراسة الحالية ليست معنية بتاريخ العلمانية ، ولا أسباب نشوئها ودعاتها ، والنتائج الوخيمة التي جرتها ــ ولا تزال ــ على العالم كافة ، والعالم الإسلامي خاصة ــ وإن كان ذلك مهماً ــ ولكن يعنيها إيضاح بعض الأمثلة لما لهذه العلمانية من تأثير سيء على الكتابات الحديثة عن تاريخ التربية ، الأمر الذي يلح على ضرورة التوجيه الإسلامي لهذا التاريخ من أجل تمييز الخبيث من الطيب ، والقذف بالحق على الباطل ليدمغه فإذا هو زاهق . وهذه بعض الأمثلة :

(ب) التأثير العلماني على مفهوم العلم ومنهجه :

العلم في المفهوم الإسلامي يشمل جميع المعارف والعلوم ، وليس مقصوراً على علم الشريعة أو الدين كما يتبادر لأذهان بعض الناس ، « وليس العلم في الإسلام مقصوراً على تعلم المعارف واتقانها بل هو أشمل من ذلك ؛ العلم يعني التدبر والتفكر والتأمل والاتعاظ والعمل ، ثم تطبيق العلم في حياة الإنسان شيء مهم جدا ويحث عليه الإسلام » (**خياط : النظرية التربوية في الإسلام ، ص ٦٢**) ، بمعنى أن مفهوم العلم في الإسلام مفهوم شامل لكافة أنواع العلوم الدينية والدنيوية في تكامل وتوازن بحكم توحد المصدر والأهداف في ضوء الإسلام ، الذي يرتبط فيه العلم بالله سبحانه وتعالى القائل في أول آية نزلت على الرسول ﷺ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق : ١) .

أما العلم في المفهوم الغربي العلماني : فإنه محصور في ميدان الوجود المادي من المؤسف حقاً أن كثيراً من الباحثين في المجتمعات الإسلامية اليوم قد تأثروا بالمفهوم المحدد للعلم ، المنطلق من وجهة النظر العلمانية ، وتأثرهم هذا يدل على أن العلم لم يعد له مفهوم واضح لديهم ، ولم يعد كثير منهم يدرك تعريفاً دقيقاً لتمييز العلم ، وهذا يُفقد العلم في هذه المجتمعات كثيراً من قيمته (**سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص ١٤٤**) ؛ إذ الاتجاه العلماني السائد يميل لتحديد العلم « في الدراسات الطبيعية والتجريبية التي يتوصل اليها الإحساس والعقل في الكون عن طريق الملاحظة

والاستنتاج أو عن طريق التجربة في محاولة لاكتشاف خصائص المادة والطاقة والكائنات الحية .. واكتشاف النظريات التي تشرح الظواهر السائدة لاستنتاج القوانين منها » (**الغزاني : معايير البحث العلمي في التربية الإسلامية ، ص ٢٨**) .

والمتتبع لمعظم ما تضمنته الكتابات المعاصرة في المجتمعات الإسلامية عن تعريف العلم يرى بوضوح سيادة الاتجاه العلماني عليها دون أدنى إشارة لمناقضتها للمفهوم الإسلامي ، إذ هناك شبه إجماع في هذه الكتابات على أن العلم في طبيعته يمثل : « طريقة تفكير وطريقة بحث أكثر مما هو طائفة من القوانين الثابتة » (**السيد : معجزة الإسلام التربوية ، ص ٢٢**) ، وبعضهم يعرفه بأنه « منهج لبحث كل العالم الأمبريقي المتأثر بتجربة الإنسان وخبرته » (**عبد المعطي : البحث الاجتماعي محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده ، ص ١٦**) ، وآخر يعرف العلم بأنه « المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والتجريب » (**حسن : أصول البحث الاجتماعي ، ص ١٩**) .

أما غايته فهي كما يرى بعضهم : « تحديد طبيعة وأصول الظواهر التي تخضع للملاحظة والدراسة وليس بحثاً يجدُّ في طلب الحقيقة العظمى النهائية ، وإنما فقط أسلوب في التحليل يسمح للعالم بالوصول إلى قضايا مصاغة صوغاً دقيقاً » (**عبد المعطي : البحث الاجتماعي محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده ، ص ١٦**) ويرى الباحث أن تلك غاية قاصرة ، لا تبلغ الغاية التي حددها الإسلام للعلم ولكن صاحب هذا التحديد الناقص يصرّ على أن من خصائص العلم كطريقة :« أنه امبريقي ، منطقي ، إجرائي به ميل إلى التجرد » (**المرجع السابق ، ص ١٧**) ، وآخر يقرر « أن بالعلم رغبة للوصول إلى تفسيرات هي نتائج للدلائل التي يستطيع الجميع الاطلاع عليها وملاحظتها ، كما أنه مبني على الشك حيث يخضع كل الإدعاءات للإختبار المنهجي مهما بدت صحيحة أو متفقاً عليها » (**الحمدان : النتائج العلمية للبحوث التربوية ، ص ٤٠**) وفي هذا جناية واضحة على المعرفة الغيبية الثابتة بالوحي

الصادق ، والتي تستلزم في بعض جوانبها التسليم والإيمان المطلق ، ومعلوم أن منهج الشك ينافي الإيمان .

إن هذا المفهوم الغربي للعلم كما نقلته المؤلفات العربية في العلوم التربوية ـ ومنها تاريخ التربية ـ أصبح هو السائد في الجامعات الحديثة القائمة في العالم الإسلامي ، مع أنه غير ملائم للتطبيق في الجامعات الإسلامية ، لاعتبارات كثيرة منها :

ـ الخلط في هذا المفهوم بين المنهج العلمي ، ومفهوم العلم ، حيث العلم بمفهومه الإجرائي بوصفه طريقة يعتبر مفهوماً جزئياً من مفهوم شامل حدده الإسلام للعلم ، وهو الذي نزل به القرآن الكريم ، وبينته السنة النبوية المطهرة ، وقامت عليه الحضارة الإسلامية ، وتميزت به ، ويجب أن يسود هذا المفهوم في الأوساط الفكرية ، والكتابات في العالم الإسلامي من جديد .

ـ تحديد العلم بالمفهوم الغربي يؤكد على تفرد المنهج التجريبي ، وأولويته في اكتساب العلم .. بزعم أن المعرفة التجريبية هي المرحلة الأخيرة لتطور المعرفة التي تجاوزت طوري المعرفة الحسية ، والمعرفة الاستنباطية وفي هذا ترويج لما يزعمه الغرب من أن المعرفة التجريبية هي أساس كل تقدم حضاري لأنها ـ في زعمهم ـ أرقى أنواع المعرفة ، لاعتمادها على الملاحظة المنظمة ، والتجربة ، والاستقراء ، نتيجة لتطور العقل الانساني ونضجه ، الذي جعله قادراً على تجاوز المرحلتين السابقتين وعلى تفسير الظواهر تفسيراً علمياً ، وقد ردَدَّ هذا التأكيد مؤمناً به كثير ممن كتبوا في مناهج البحث في سائر العلوم من المسلمين ، ومنهم على سبيل المثال (**أحمد بدر**) في كتابه (**أصول البحث العلمي ومناهجه ، ص ١٣ ـ ١٥**) واقتفى أثره (**محمد السماك ورفيقه**) في كتابهم (**الأصول في البحث العلمي ، ص ٩ ـ ١٦**) وعلى الشاكلة (**محمد زيان عمر**) في كتابه (**البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، ص ٣٦ ـ ٤١**) ، وغيرهم كثير ممن اعجبوا بالمنهج التجريبي لأنه حسب زعمهم يمثل مرحلة النضوج في العقل البشري . مع التأكيد بداية على أن المنهج التجريبي منهج إسلامي ، ولكنه ليس المنهج الوحيد بل هناك مناهج غيره احتواها الإسلام في نظرته الشاملة إلى العلم ، والمعرفة ، والمنهج .

وهذه النظرة العلمانية التي تأثر بها معظم الغربيين في ميادين العلوم الإنسانية ـ كما تسمى ـ فدعوا إلى علمنة تلك العلوم ؛ ومنها العلوم التربوية ، بما فيها تاريخ التربية انتقلت عدواها الى المشتغلين بالتربية في العالم الإسلامي فدعا بعضهم إلي تسويد الاتجاه العلمي عند النظر في المشكلات المرتبطة بالإنسان ، وهذه النظرة تعني ما يلي :

ـ أن البشرية عاشت آلاف السنين قبل عصر العلم ، وأن العلم ظاهرة متأخرة في حياة البشرية (**عبدالله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص١٢**) . بمعنى أن أي علم نتج في الماضي هو علم غير موثوق فيه ، وغير ذي قيمة في تغيير الواقع ما لم يتجرد من الذاتية ، ويخضع لقواعد المنهج التجريبي الذي يؤكد أو يرفض مسلماته المسبقة . وفي هذا جناية على الإسلام ـ وهو دين جميع الرسل عليهم السلام ـ إذ يتضمن هذا الاتجاه الرفض الصريح لمباديء الدين وعلومه ، كما يؤكد ما يزعمه الغرب من أسبقيته في الوصول لأرقى أنواع المعارف ـ من وجهة نظرهم الخاصة ـ

ـ اعتبار المعرفة العلمية التجريبية هي قمة النضوج معناه التسليم بتخلف العقائد الدينية بالمقارنة بالمعرفة التجريبية ، إضافة إلى كونه يقدم الجانب المادي في الإنسان لأنه قابل للدراسة التجريبية . ويغفل الجوانب الأخرى الغير قابلة للتجريب ، كالروحية والنفسية ، وحقيقة الإنسان قد تكفّل الوحي بالدلالة عليها ورعايتها ، إذ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر : ٢٦ ـ ٢٩) ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة : ٦ ـ ٩) ، وبناء على هذا فإن من غير الممكن دراسة الإنسان

بكامله بالطريقة التي تدرس بها المادة والأشياء غير الحية بعيداً عن توجيه الهدي الرباني ، والمنهج العلمي في الإسلام ليس مقصورا على العلوم الطبيعية ـ التي أريد لها في الغرب أن تنمي الاتجاه العلماني القائم على الإيمان بنظام الطبيعة الذي لا دخل فيه للقوى الغيبية كما صوره (**فينكس**) في كتابه (**فلسفة التربية ، ص ٥٠٤ ، ٥١٥**) ولكنه يمثل الطريق الذي يصل بين وسائل الإدراك التي منحها الله عز وجل للإنسان كالحواس والفؤاد ، وبين مصادر المعرفة المتمثلة في الكون والوحي ، ولذا فإن طبيعة المنهج تعتمد على طبيعة المصدر ، ولربما على طبيعة المعرفة التي يراد الوصول إليها في ذلك المصدر ، فكما أن لمعرفة حقائق الكون منهجاً علمياً ، فإن لمعرفة حقائق دين الإسلام منهجًا علمياً أيضاً ولكل طُرُقُهُ التي تلتقي في تحقيق أهداف الإسلام وغاياته (**إدريس : أسلمة العلوم : فلسفتها ومنهجيتها ، ص ٥ ، ٦**) وقد أصبح اليوم لزاماً على علماء المسلمين المهتمين بتوجيه العلوم المتعلقة بالإنسان توجيهاً إسلامياً ، ومنها تاريخ التربية أن يهتموا بإبراز المنهج العلمي لمعرفة حقائق الدين الإسلامي ، وتاريخه ؛ المتمثل في الفهم السليم لنصوص القرآن ، والسنة ، ومعرفة الاجماع ، والقياس الصحيح مع التحقق من صحة الأحاديث والأخبار ، بالطرق المناسبة .

ـ الدعوة للاتجاه إلى نوع من الوحدة المنهجية بين البحث الطبيعي ، والبحث الإنساني ومنه [البحث في تاريخ التربية] بحجة الإلتزام بالموضوعية ، ما هي إلا ضرب من المغالطة ، حيث أن البحث في هذه العلوم بحاجة ماسة إلى التفسير ، و النقد ، والتقويم . ومن المتعذر اخضاع الظواهر الإنسانية خاصة ما يتعلق بالعقيدة ، والقيم ، والأخلاق ، والفضائل ، والمواهب ، والأحداث التاريخية لإجراء التجارب التي تخضع لها بعض الظواهر الطبيعية (**الغزاني : معايير البحث العلمي في التربية الإسلامية ، ص ٣١**) .

وهكذا يتضح تأثير الاتجاه العلماني في المؤلفات المتعلقة بالتربية وتاريخها من ناحية قصور مفهوم العلم ، ونقصان منهج المعرفة لاعتماد هذا الاتجاه على الفلسفة المادية ، وتنكره لجوانب الإنسان الروحية والمعنوية ومعاداته للدين كرد فعل لاضطهاد

الكنيسة ، ولا شك أن تطبيق هذا المفهوم الضيق للعلم ، وهذا المنهج القاصر على تاريخ التربية الإسلامية التي تقوم على المفهوم الشامل للعلم ، وللمنهج ، وللمعرفة أمر في غاية السوء ، وفي منتهى المغالطة العلمية . ولا بد من التنبيه إليه ، ومنع ترويجه في الكتابات والدراسات المتعلقة بتاريخ التربية ؛ إن أريد له القيام على توجيه إسلامي يسهم في تحقيق العودة إلى صراط الله المستقيم الذي يصلح به أمر الدنيا والآخرة .

(جـ) تأثير الاتجاه العلماني في مقررات التاريخ الدراسية :

لم يكتف أعداء الإسلام ببث التوجيه العلماني عن طريق المدارس والجامعات الأجنبية التي انتشرت في كثير من مجتمعات العالم الإسلامي ، بل إنهم تدخلوا في مقررات التعليم في المدارس والجامعات الإسلامية فوضعوا لها منهجاً يحقق لهم ما يصبون إليه من أهداف كان من بينها : « وضع تاريخ مشوه للإسلام يدرسه الطلاب مع تحريم تدريس التاريخ الحقيقي للإسلام وفي الوقت ذاته عني المنهج بالتوسع والاسهاب في دراسة تاريخ الغرب النصراني »(**صالح : احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، ص ١٨١**) .

هذا هو الهدف العام الذي أراده أعداء الإسلام لمنهج مقررات التاريخ في العالم الإسلامي ، وسوف يقتصر الباحث على ذكر شيء من تفاصيل هذا المنهج في بلد واحد من بلاد المسلمين وهو مصر وعليه تقاس معظم البلدان الإسلامية ، فلقد وضع مستشار وزارة المعارف بمصر ـ زمن الاحتلال ـ « دنلوب » منهجاً غريباً لدراسة التاريخ يقوم على ؛ العناية بالتاريخ الغربي والتوسع في دراسته مع إهمال التاريخ الإسلامي ودراسته باقتضاب وإيجاز مخل في جميع مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي والجامعة لمن يتخصص في التاريخ وعليه ألا يدرس التاريخ الإسلامي تحت عنوانه الصحيح بل يدرسه تحت عنوان (تاريخ العصور الوسطى) ، كما قام هذا المنهج على أساس الدس والخداع حيث وضع ـ مُعدّوه ـ في التاريخ الإسلامي الكثير من الأخطاء كالتوسع في الأمور الصغيرة ذات الصبغة الشخصية ، واختصار الأمور الكبرى

العامة ، والتوسع فـي المسائل الخلافية وتضخيمها ، والاهتمام بالحركات الانفصالية عن الاسلام ؛ مع سيطرة الروح القومية على مفهوم التاريخ الإسلامي الجامع ، والذي تأثر به تاريخ التربية تأثرا عظيماً ، إلى الحد الذي جعل الكثير من المؤلفين في تاريخ التربية يضعون كلمة العرب ، والعروبة بدلاً من كلمة الإسلام ، والمسلمين ، إضافة إلى إهمالهم لإبراز تأثير جانب العقيدة على التاريخ الإسلامي ، وتاريخ التربية .

كل ذلك من أجل القضاء على عظمة الذاتية الإسلامية وما قدمته للبشرية من خير خـلال تاريخها المضيء ، وللقضاء على إمكانية قيام الأمة الإسلامية بدورها التاريخي ، بل القيادي في هداية البشرية من جديد على نور من الله ، حيث جرى التركيز على تنشئة أجيال مبتوتة روحياً وذهنياً وتاريخياً عن تاريخ الإسلام ، وفاقدة للثقة بنفسها ورسالتها ليُؤْمَنَ تفكيرها في إعادة الماضي المشرق للإسلام . (**المرجع السابق ، ص ١٨٤ ــ ١٨٦**) .

ولقد أشار المفكر المسلم (**محمد أسد**) إلى تلك الحقائق الناتجة عن تأثير تدريس مادة التاريخ بهذه الصورة المشوهة قائلا :

« أما التأثير الوحيد الذي يمكن أن يتركه مثل هذا التثقيف التاريخي في عقول الأحداث من غير الشعوب الأوروبية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة وبماضيهم الخاص وبالفرص السانحة لهـم فـي المستقبـل ، وهكـذا يتربـون تربيـة منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم ، اللهـم إلا إذا كـان مستقبـلاً مستسلماً للمُثُـل الغربيـة » (**الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٧٢ وما بعدها**) .

ومن هنـا تتضـح خطـورة سيادة الاتجاه العلماني على مناهج تدريس مادة التاريخ ، كغيرها من المناهج الأخرى السائرة في هذا الاتجاه الذي هو في الحقيقة مؤامرة على الدين ، والتاريخ ، والقيم ، وهنا تبرز الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لاعادة كتابة مادة التاريخ الإسلامي بما يبرز أمجاد الأمة الإسلامية بشكل صحيح في ضوء الكتاب والسنة ، من أجل أن يشعر أبناء المسلمين بقيمة تاريخهم وعظمته ، ومن ثم توجيه مزيد من العناية بكتابة تاريخ التربية على هذا الأساس .

(د) تأثير الاتجاه العلماني على الجامعات الحديثة في العالم الإسلامي :

معظم الجامعات الحديثة في العالم العربي والإسلامي نشأت على أسس علمانيةلك بحكم تسلط القوى الاستعمارية على العالم الإسلامي وقت تكوينها فتطبعت بطابع الحضارة الغربية ، وتشبعت بالعلمانية ، والأفكار الغربية لذلك لم يكن للإسلام دور مهم في صياغة أهداف ومناهج التعليم الجامعي .. لا .. بل قد لا يرد اسم الإسلام على لوائح تلك الجامعات فضلاً عن أن يكون الإسلام محوراً للأهداف ، وأساساً للمناهج ، والتعليم العلماني في العالم الإسلامي هدفه النهائي أن ينشأ أجيال المسلمين في أحضان جامعات منسلخة عن الإسلام جاهلة به ، بل تسخر به وتعاديه دون أن تعرف عنه أو عن علمائه شيئا . (**العمري : واقع التعليم ومسئولية الجامعات في العالم الإسلامي ، مجلة الأمة ، ص ١٢**) .

ولن يقف الباحث طويلاً عند هذه النقطة مكتفياً بشهادة أحدث دراسة أُعدَّت عن أوضاع الجامعات في العالم الإسلامي من خلال تناولها جانبين مهمين :

الجانب الأول : جانب وصفي عرض للحقائق والوقائع القائمة في تلك الجامعات متضمناً لمحة تاريخية عن نشأتها ، وتطورها ، ونظمها ، وهياكلها الإدارية ، وكفاءة القائمين عليها ، وأهم الجوانب الأكاديمية ، والعلمية والإجتماعية للجامعة وغير ذلك .

والجانب الثاني : جانب تحليلي تقييمي : يهدف إلى إظهار ما لتلك الجامعات من إيجابيات ، وسلبيات من أجل تقديم المقترحات للإصلاح والتحسين والتطوير (**خياط : الجامعات الإسلامية دراسة مسحية تحليلية تقيمية ، ص ٣٠ ، ٣١**) .

وقد صنفت تلك الدراسة ا لجامعات ـ في ضوء مناهجها ـ فكان من أنماطها :

« جامعات يمكن وصفها بأنها علمانية غير إسلامية ، وهي لا تقف عند الفصل بين الدين والعلم فحسب ، أو أن مقرراتها لا تُشَمُّ فيها رائحة الإسلام ، بل إن الإسلام يُحَارَبُ فيها محاربة علنية ، كما يجاهر فيها بالمعاصي ، وهذا النوع من الجامعات موجود في العالم الإسلامي وهو

مفروض على الشعوب الإسلامية فرضاً بقوة الحديد ، والمسئولون في هذه الجامعات يحاربون الصحوة الإسلامية بين صفوف الشباب ، والشابات حتى وصل بهم الأمر إلى منع الشباب من اطلاق اللحى ، ومنع الشابات من لبس الحجاب الإسلامي » (**المرجع السابق ، ص ٧٨**) .

ولا شك أن هذا يكفي لإيضاح الأثر البالغ للاتجاه العلماني على تاريخ وأوضاع الجامعات في العالم الإسلامي ، ويحث كل مسلم غيور على أمته أن يهتم بالتوجيه الإسلامي لمناهج تلك الجامعات ، ومنها تاريخ التربية .

(هـ) تأثر الكتب التربوية بالاتجاه العلماني :

يعتبر الكتاب سلاحاً ذا حدين ـ إن لم يكن أكثر ـ فهو إما أداة بناء وإصلاح بما يحويه من فكر مستقيم ، وما يقوم عليه من منطلق ومنهج سليم ، وإما معول هدم وفساد ، وأي هدم وفساد أعظم من هدم العقيدة الإسلامية ، أو النيل من مقوماتها ، وآثارها بما يحمله الكتاب من اتجاهات ، وأفكار ، ومفاهيم مضللة ، ولقد كان الكتاب الإسلامي في عصور أزدهار الحضارة الإسلامية يمتاز بالموسوعية ويدور في إطار توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، دون تحرج من اقتباس ما يفيد من المعارف التي لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية . وبعد عصور التخلف ، وسيادة التربية الغربية الحديثة في الكثير من المجتمعات الإسلامية ، ظهرت كتابات تربوية ـ في تاريخ التربية وغيره ـ يمكن اعتبارها أداة لما يطلق عليه اسم الغزو الفكري لأبناء العالم الإسلامي ، سواء علم المؤلفون لها أم لم يعلموا لبعد بعضها عن روح الإسلام ، ومنطلقاته ، ولما يحمله بعضها من أفكار وتصورات مناوئة للإسلام ، جاءت اقتباساً لما كتبه العلمانيون في الغرب أو في الشرق فهي بالتالي تعكس ثقافتهم ومعتقداتهم وأفكارهم التي تزعزع الإيمان بالله تعالى في نفوس أجيال المسلمين ، وتجعلهم ينبهرون بالعقلية الغربية ويفتنون بالفكر الغربي ، إضافة إلى جهلهم بحقائق دينهم وتوجيهاته ، وتعاليمه الروحية والفكرية ، وتطبيقاتها التربوية عبر العصور الإسلامية ، وبالتالي

يفقدون التمسك بدينهم ، والاعتزاز بحضارة أسلافهم التي قامت على قوة العقيدة ووحدة الكلمة ، فضلا عن الدفاع عنه ضد أعدائه .

ويمكن إيعاز تأثر الكتب التربوية ـ ومنها كتب تاريخ التربية ـ بالاتجاه العلماني إلى عوامل متعددة لعل من أهمها ما يلي :

١ ـ أن معظم النظم التربوية السائدة في العالم الإسلامي قد تأثرت بالاتجاهات العلمانية المقتبسة من الغرب ، وبالتالي أصبح خريجو تلك النظم يشعرون بالدونية إزاء الحضارة الغربية ، فيملؤون مؤلفاتهم بالأفكار الوافدة .

٢ ـ كثير من علماء التربية في العالم الإسلامي هم ممن تلقوا تعليمهم في الغرب العلماني ، ولا زال بعض أولئك يعيش في غياب عن التصورات الإسلامية الصحيحة ، ومع تمكنهم من علومهم المتخصصة سواء في أصول التربية ، أو علم الاجتماع التربوي ، أو علم النفس التربوي ، أو تاريخ التربية ، فإنهم يخفقون في تكوين الرؤية الإسلامية الشاملة ، التي تمثل القاعدة الأساسية لتوجيه الأفكار التي يصوغونها في مؤلفاتهم المتخصصة .

٣ ـ من أكثر آثار الاتجاه العلماني سلبية على معظم المتخصصين في التربية ، التركيز على فكرة التخصص ، ومع أهميتها فإنها قد تؤدي عند بعض التربويين إلى رؤية العلوم التربوية من منظور جزئي لا يتفق مع طبيعة الإسلام المتمثلة في النظرة الكلية الشاملة المتوازنة . (**خياط : الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، ص ٢٢ ـ ٢٤**) .

وتكثر الأخطاء في الكتب التي أُلِّفت في تاريخ التربية من قبل مؤلفين مسلمين نظراً لتأثرهم بالثقافة الغربية واعتمادهم على المراجع الأجنبية ـ غالباً ـ في هذا الشأن ، والواجب على المؤلف المسلم أن ينطلق في مؤلفاته ودراساته من العقيدة الإسلامية ، وفي ضوئها يحاكم كل ما يورده من معلومات أو أفكار ، وأن يكون ذا تنبه وفطنة لما قد ينافي عقيدته ، كما يكون ذا استقلالية فكرية في مقابل مخالفيه في العقيدة ؛ ذلك أن دراسات غير المسلمين وأفكارهم تكون مبنية على معتقداتهم المنحرفة

في علاقة الإنسان بربه ، وعلاقة الانسان بالكون كله وفي حقيقة خلق الانسان وبداية تاريخ تربيته إلى غير ذلك من الأمور المهمة ، وقد شاعت تلك الإنحرافات في كتابات التربويين الغربيين أصحاب الاتجاه العلماني وتأثر بها بعض مؤرخي التربية من المسلمين المعاصرين .

فعلى سبيل المثال أورد الدكتور (**عرفات عبد العزيز سليمان**) في كتابه (**اتجاهات التربية عبر العصور**) بعض الأمور المناقضة للعقيدة الإسلامية ، دون التنبيه عليها ، أو تفنيدها ، وسوف يكتفي الباحث بايراد مثال واحد فقط وهو قول المؤلف في صحيفة (١٠) : « .. والإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض ، وهو دائم البحث عن معبود ، يشعر نحوه بالولاء والتقديس مهما كان هذا المعبود فهو يشعر تجاهه بالقهر أو الحب ، أو الرهبة ، أو القربى ، والاستجابة .. » إلى أن قال : « .. حتى إذا ظهرت الديانات السماوية الداعية إلى وحدانية خالق الكون اتجه الانسان إلى عبادة الله وحده متقرباً إليه بالعمل الصالح مؤتمراً بأوامره ، ومنتهياً عن نواهيه ، واتخذ الدين نبراساً يهديه في حياته الدنيا ويرسم له سلوكه فيها وينظم تعامله مع غيره » .

وهذا النص يحمل مخالفات صريحة للعقيدة الإسلامية الصحيحة لم ينبه عليها المؤلف ، ولعله لم يفطن لها أصلاً ، فالنص يقرر أن الإنسان حين وجد على الأرض لا يعرف معبوده وخالقه ، وأنه بحث عنه ، فلم يفلح فكانت أول عبادته الشرك ، حيث أنه ـ كما يزعم النص ـ لم تأت الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة إلا متأخرة عن وجود الإنسان[(١)] .

وهذه المخالفات العقدية تنم عن عدم تمكن المؤلف في معرفة العقيدة الإسلامية الحقة ، ولعل اقتصاره على التخصص ، وتأثره بالمؤلفات العلمانية التي تروج لهذه المخالفات هي التي جعلته يوردها في كتابه ، وكأنه يعدّها مسلمات ؛ بينما هي دعاوى مكذوبة مردودة ، فقد خلق الله تعالى الخلق لعبادته كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) ، والتوحيد هو الأصل في بني آدم تاريخاً كما هو الأصل فيهم فطرةً ، إذ خلق الله تعالى بني آدم موحدين ، وذلك أن أباهم آدم هو أول الموحدين ، وأول المخاطبين بوحي الله تعالى ، فقد قال أبو ذر

---

(١) لقد نبه الدكتور (**أحمد بن ناصر الحمد**) في كتابه (**العقيدة نبع التربية**) على مجموعة من المخالفات العقدية التي تضمنتها نصوص مبثوثة في هذا الكتاب ، وقام بالرد عليها (ص ٥١ ـ ٨٩) .

رضي الله عنه : أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست .. إلى أن قال : قلت : يا رسول الله : أي الأنبياء كان أول ؟ قال : « آدم » قلت : يا رسول الله ونَبِيٌّ كان ؟ قال : « نعم نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ ..» . (**ابن حنبل : المسند ، ٥ / ١٧٨**) ، وما زال الناس في تاريخهم الطويل ، من آدم إلى نوح عليهما السلام على التوحيد حتى حدث ما حدث من قوم نوح من عبادة الأصنام بسبب الغلو في صالحيهم ، وعنهم انتشر الشرك في الناس ، وما زالت الرسالات تترى وتتوالى ، لتعيد الناس إلى العهد الأول وهو التوحيد، حتى رُفع عيسى عليه السلام ، وحرفت شريعته ، فانتشر الشرك في الأرض ، بسبب تحريف الوحي وتبديله ، فوقع اليهود والنصارى في الشرك بالله ، بعبادة اليهود لعزير ، وعبادة النصارى للمسيح عليه السلام وأمه ، كما انتشر الشرك في جزيرة العرب .. ولم يزل حال الناس على ذلك حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ ، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلي التوحيد الخالص لله عز وجل .

تلك إشارة عاجلة إلى ما يمكن أن تصحح في ضوئه المفاهيم الخاطئة التي انتشرت في كتب تاريخ التربية ـ خاصة ـ عن مسألة التدين .

وخلاصة القول أن الكتب المؤلفة تحت تأثير الاتجاه العلماني تهمل مناقشة الدين ، وتعتبره موضوعاً بعيداً عن التربية ـ كما يريدونها ـ ، والغربيون ـ خاصة ـ يميلون في الغالب إلى اعتبار الدين عقيدة من صنع البشر ، ويريدون ابعاده عن أمور الحياة ، وإذا كان الغربيون محقين في موقفهم من الدين المحرّف الذي كان يعتنقه الرهبان في العصور الوسطى ـ كما يسمونها ـ فإن هذا الموقف لا ينطبق على الدين الإسلامي بأي حال من الأحوال فهو الدِّين الذي أكمله الله تعالى ورضيه ديناً ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ (المائدة:٣) .

والمدهش ـ حقاً ـ أن بعض الكتب المتداولة بأيدي شباب المسلمين تروج لفكرة اعتبار الدين من صنع البشر(١) ومعظم الكتب التربوية التي لا تستند إلى أسس إسلامية تذكر أن التربية هي الحياة(٢) أو الإعداد للحياة الدنيا فقط ، وهذا الموقف يمثل

---

(١) من ذلك : أن عبد اللطيف فؤاد (**إبراهيم**) قد حدد المصادر التي تشتق منها الخبرة في نوعين .

ـ مصادر مادية : أنشأها الإنسان مثل المصانع وأماكن العبادة والمستشفيات .

ـ مصادر بشرية : مثل الأسرة والعادات والعرف والتقاليد والدين !! (**المناهج ، ص ٣٩٠**) .

(٢) انظر على سبيل المثال : (**سلام**) ، عبدالحميد عبد الله في كتابه (**المدخل في العلوم التربوية**) ، ص ١٨ .

وجهة النظر العَلمانية التي تنكر الحياة الأخرى ، أما التربية في المفهوم الإسلامي فهي الإعداد للدارين ، وليس للدنيا فقط ، ولكن الطلبة المسلمين يرددون هذا التعريف للتربية بلا وعي ، نتيجة لانتشاره في الكتب التي اقتبست من الكتب الغربية دونما تمحيص ، مع أن واجب الكاتب المسلم بل وطالب العلم المسلم أن لا يأخذ بالمباديء الا بعد تقليبها على وجوهها المتعددة وتمحيصها امتثالاً للتوجيه القرآني السديد ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر : ١٧، ١٨) ، وهم أصحاب العقول والحجا الذين يستمعون القول من القائلين ، فيتبعون أرشده وأهداه ، وأدلّه على توحيد الله ، والعلم بطاعته ، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدلّ على رشاد ، ولا يهدي إلى سداد . (**الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٣ / ٢٠٩**) .

ولقد آن الأوان لأن ينفض المربون في المجتمعات الإسلامية غبار التبعية الفكرية لأعداء الإسلام ، ويتطهروا من عارها ، وأن يدركوا إدراكاً كاملاً العقيدة الإسلامية وحاجة الأمة الى معرفة مبادئها التربوية المستنبطة من الكتاب والسنة ، وتطبيقاتها التي تجلت في العصور الإسلامية الأولى ، والرجوع الى المصادر الأساسية للتربية الإسلامية وتقويم المؤلفات في ضوء الإسلام ، وهو الميزان العدل الذي توزن به كل القضايا والأفكار وتسلم المعتقدات ، ويتطهر سلوك الناس في خضوع تام لمشيئة الله رب العالمين .

رابعا : طغيان التفسير المادي للتاريخ على تاريخ التربية

(أ) أهمية التفسير الإسلامي لتوجيه تاريخ التربية :

تقدمت الإشارة في الفصول السابقة من هذه الدراسة إلى حقيقة التفسير الإسلامي لتاريخ التربية ، وما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من منهج متكامل لتفسير التاريخ ـ ومنه تاريخ التربية ـ على أساس من الحقائق اليقينية التي جاء بها الوحي الصادق وهنا سوف تؤكد الدراسة على ضرورة التفسير الإسلامي لتوجيه هذا التاريخ توجيهاً إسلامياً ، حيث لا يزال هذا التفسير غائباً عن الكتابات في تاريخ التربية ، في مقابل ما تعرضت له من تأثير كثير من الفروض والظنون والأوهام التي استخدمت بعض المعلومات المبتورة أحياناً ، والمحرّفة أحياناً أخرى عن الظواهر الكونية ، والانسانية في محاولة من أصحابها لإقامة صرح لتفسير التاريخ بعيداً عن الهداية الربانية وأنى له أن يقوم على رمال الأوهام المتحركة ؟!

وإن القارئ الفاحص ليجد كثيراً من كتب تاريخ التربية تُرْجعُ أسباب الإزدهار والركود أو الانحطاط في فترات التاريخ ـ خاصة التاريخ الإسلامي ـ إلى العوامل المادية الظاهرة ، وتتجاهل تعدد العوامل ، التي على قمتها إرادة الخالق عز وجل الذي بيده ملكوت كل شيء ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .

وإن في القرآن الكريم المنزل على خاتم النبيين محمد ﷺ وفي السنة النبوية المطهرة المبينة لهذا القرآن كافة الحقائق الأساسية المتعلقة بخلق الكون والإنسان ، والتي تعتبر حقائق أساسية جداً في حفظ التفكير الانساني من السقوط في حبائل الفكر الالحادي أيا كان اسمه ؛ فلسفياً أو علمانياً أو مادياً ، وهذه الحقائق تمثل قاعدة أساسية لمنهج التفكير العلمي ، تقوم على علم صحيح لا ينطق عن الهوى ، فبدلاً من المقولة الوثنية الإلحادية التي بُني عليها العلم الحديث ، وهي القول بِقِدَمِ المادة واستقلالها عن التدبير الخارجي بقوانينها الذاتية ، والتي انطلق منها الفكرالتطوري الإلحادي ، فأدت إلى تخبطه وفساده ، يقدم الإسلام حقيقة يقينية تتمثل في القول بأن

الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا العالم وهو الذي يدبره ، وهو الذي وضع في الأشياء نظامها ، وهو الذي يرعاها أبداً بعنايته وتدبيره (**خليل : المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، ص ٨٦ ــ ٨٧**) .

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها ، وكلٌّ تحت تدبيره وقهره وكلاءته فقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر : ٦٢) ، وهذا جانب أساسي من جوانب العقيدة الإسلامية التي هي الأساس الذي تنطلق منه كافة العلوم في الإسلام سواء في مجال النظر العقلي أو التجريبي ، وقد لخص بعض العلماء أصول النظر الإسلامية عند المسلمين في المبادىء القرآنية التالية :

١ ــ هذا العالم مخلوق ، خلقه الله تعالى من العدم المحض ، أي من غير مادة سابقة ، فالله سبحانه وتعالى هو الأول فلا شيء قبله ، ولا شيء كان معه حتى خلق الخلق ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ.. ﴾ (الحديد : ٣) .

٢ ــ هذا العالم المخلوق يسير وفق سنن وضعها الله تعالى على أساس من التقدير المحسوب بحساب دقيق ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩) .

٣ ــ هذه السنن لا تستقل وحدها بالعمل في الأشياء ، وإنما تعمل بتدبير مباشر ومستمر من الله تعالى ، لا ينقطع لحظة واحدة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ .. ﴾ (فاطر : ٤١) .

٤ ــ هذا النظام الدقيق القائم بالتدبير المباشر والمستمر من الله تبارك وتعالى ثابت مستقر مطرد ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (فاطر : ٤٣) .

٥ ـ هذا النظام المدبر بأمر الله تعالى ، والثابت وفق سنن الله سبحانه ؛ قائم إلا أن يشاء الله غير ذلك ؛ بمعنى : أن ثباته لا يأتي من حتمية تفرضها طبائع الأشياء ، وإنما يأتي من مشيئة الله تعالى التي اقتضت ذلك والتي تملك تغييره واستبداله متى شاءت وكيف شاءت ، فالله عز وجل يقول : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (فاطر : ١٦ ، ١٧) ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ (الرحمن : ٢٤) ، ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ (الشورى : ٣٣) .

٦ ـ هـذا النظام الثابت يمضي لتحقيق غايـة قدرهـا الله تعالـى ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٦)

٧ ـ هذا العالم المخلوق بنظامه كله سوف ينتهي عند نهاية قدّر أمَدَها الله تعالى ، قال سبحانه : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) (الرحمن : ٢٦ ، ٢٧) .

٨ ـ هذا العالم المحكوم عليه بالفناء سوف يخلق الله تعالى بعده عالماً آخر له نظام آخر قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ.. ﴾ (إبراهيم : ٤٨) .

هـذه المبادىء العامة تقرر وجود النظام ، وشمـول سلطان القـدرة الإلهية على العـالم ، التي تقـرر الحكمـة والغـاية في خلق الأشـياء والأحيـاء ، وفي إطارها بَيَّنَ القرآن الكريم والسنة النبوية حركة التاريخ الإنسـاني والعوامل الفاعلة فيها (**المرجع السابق ، ص ٨٧ ـ ٨٨**) .

والحركة التاريخية كما يصورها الإسلام حركة اجتماع وتشتت أساسها الأمة المسلمـة التي تشعبت عنهـا الوثنيات والمعتقدات الباطلة بأشكالها المختلفة قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ .. ﴾ (يونس : ١٩) ، أي أن الناس كلهم كانـوا على دين واحـد ، وهو الإسلام ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهمـا : « كـان بين آدم ونوح عشرة قـرون كلهم على الإسـلام ثم وقع الاختـلاف بين الناس ، وعُبِدت الأصنام والأنداد والأوثان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحجته البالغة

وبراهينه الدامغة » (**ابن كثير : تفسيرالقرآن العظيم ، ٦٣٨/٢**) ، أي أن الأمة المسلمة الواحدة هي أصل الإجتماع الإنساني القائم على التوحيد والعلم كما قال الله تعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة :٢١٣) ، وهذا عكس ما يذهب إليه علم الإجتماع الحديث الذي نشأ في الغرب عند تفسيره للتاريخ والذي يقوم على الأساس المادي الإلحادي زاعماً أن أصل الاجتماع البدائية والهمجية ، والشرك والوثنية .

كما تصور الآية الكريمة حركة التاريخ ـ أيضاً ـ على أساس أنها « حركة هداية ، وضلال ؛ تتمثل في الاستعمال الصحيح أو السيء للامكانيات المتاحة للإنسان في نفسه ، والأشياء من حوله ، وهي حركة يرشدها الله تعالى بالنبوات وبالوحي كلما انحرفت عن مسيرتها الصحيحة بالبعد عن مصادر العلم والهداية الصحيحة والوقوع في أسر الضرورات ... » (**خليل : المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، ص ٩٤**) .

أما العوامل التي تحرك التاريخ وتؤثر فيه ، فقد تضمن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، صورة كاملة ودقيقة لها ، ولتشابكها وتداخلها ، سواء العوامل الغيبية والعوامل المشهودة ، فالعَالَمُ المُغيّب هو الأساس الذي يقوم عليه العَالَمُ المشهود ، الذي وإن كان له وجود حقيقي إلا أنه لا يستقل بنفسه ولا يستغني بوجوده .. كما يذهب إلى ذلك الماديون في تعليل الظواهر ، وتفسير التاريخ بسبب انكارهم للغيب ، وعلى المؤرخ المسلم أن يعتبر أثر المغيبات في حركة التاريخ ، ولا يكتفي بالعوامل التي تخضع للملاحظة ، أو للتجربة ، ذلك أن هذا الغيب قد ثبت لدى المسلم أثره ، وقد جاءه العلم به في الخبر الصادق (**المرجع السابق ، ص ٩٩**) .

وعليه يمكن القول بأن محور التفسير الإسلامي للتاريخ هو أن ما يقع من الحوادث إنما يخضع لسنن إلهية ، كونية أو دينية ، وأن الحاجة إلى الدين أصيلة قوية

في الإنسان بالفطرة التي خلقه الله عليها ، فهو يتجه إلى الدين ، ولكن شياطين الإنس والجن يجتالونه عن هذه الفطرة فيغيّر ويبدِّل ، وتأتي مشيئة الله تعالى على رأس السنن والعوامل المحركة للتاريخ ، وهي المعملة للسنن نفسها في الناس ، والأشياء ، والتاريخ .

ويمكن الإشارة بإيجاز لبعض تلك السنن التي يعتبر الإلمام بها أمر ضروري ومهم لتوجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً بمعاونة التفسير الإسلامي للتاريخ ، ومنها :

(أ) أن الدول الكبرى أو الحضارات لا تقوم إلا بدين أو ببقايا دين ، ومن الملاحظ أن محل الدراسة التاريخية في القرآن الكريم ليس المقصود بها شعباً معيناً ، أو دولة معينة بقدر ما هو مقصود : ما دين هذه الأمة ؟ وما هي عقيدتها ؟ وما موقفها من الرسل والأنبياء ؟ ، يقول الباري عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢) ، فالآية هنا تحدثت عن الملل(١) ، ولم تتحدث عن الدول .

وفي الحديث الشريف عن خبّاب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو مُتوسّدٌ بردةً له في ظلِ الكعبة ، قُلنا لَهُ : أَلاْ تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض ، فَيُجعل فيه فيجاء بالمنشارِ فيوضع على رأسهِ فَيُشَقّ باثنتينِ ، وما يصدُّه ذلك عن دينه . ويُمشط بأمشاطِ الحَديد ما دونَ لحمِهِ من عظم أو عصب ، وما يصدُّه ذلك عن دينه ، والله ليتمَّنّ الله هذا الأمر(٢)، حتى يسيرالراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا اللّهَ ، أو الذئبَ على غنمِه، ولكنكم تستعجلون » (٣). (**البخاري : صحيح البخاري ، ٣ / ١٣٢٢**) .

وهكذا جاءت إشارات الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى الأمم السابقة بقوله (من كان قبلكم)(٤) دون تحديد لشعب أو دولة أو أمة معينة ، ولو شاء الله لأعلمه بذلك فحدّده .

---

(١) المِلّةُ : هي أصل التوحيد ، وتعني إفراد الله بالعبادة .

(٢) الإمر : هو الإسلام .   (٣) أي تستعجلون النتائج والثمرات .

(٤) انظر : (**البخاري : صحيح البخاري**) ، الأحاديث رقم ١٩٧١ ، ٢١٥٢ ، ٢٢٧٩ ، ٢٩٨٨ ، ٣٢٦٦ ، ٣٢٦٩ ، ٣٢٧٦ ، ٣٢٨٦ ، ٣٢٨٨ ، ٥٩١٧ ، ٦٨٥٨ ، و (**مسلم : صحيح مسلم**) : الأحاديث رقم ١٥٦٠ ، ٢٧٦٦ ، ٢٢١٨ ، ٣٠٠٥ .

يقول (**ابن تيمية**) ـ رحمه الله ـ : « إنه ليس في الأرض مملكة قائمة إلا بنبوة أو آثـار نبوة ، وإن كل خير في الأرض من آثار النبوات ،ولا يَسْتَرِيبَنَّ العاقل في الأقـوام الذين درست النبـوة فيهـم كالبراهمـة والمجـوس » (**الصارم المسلول، ص ٢٥٠**) .

ويقرر ابن خلدون نفس المعنى حين قال في أحد فصول مقدمته « الدول العامة الاستيلاء ، العظيمة الملك أصلها الدِّين إما من نبوة أو دعوة حق » (**المقدمة : ص ١٥٧**) .

ويمكن أن يضاف على عبارة ابن خلدون : أو « فكرة » تبلغ ـ من الناحية النفسية لا من الناحية التاريخية ـ مبلغ التقديس للدين ، فيتفانون في تطبيقها ، والحضارات والدول و إن قامت ابتداء على الدين ، إلا أنه مع مرور الزمن والاخلال في الأمانة يبدأ الفساد ينخر فيها ويفشو (**العبدة: معالم حول إعادة كتابة التاريخ ، ص ١١٨**). وعند فشو الفساد تظهر الحاجة إلى السُّنة الإلهية الآتية: وهي سنة الدفع .

(ب) إن مبدأ الصراع بين الأمم يؤدي إلى ظهور الخير ، ويخفف من الشر ، وهذه سنة كونية أشار إليها كتاب الله العظيم في قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً ﴾ (الحج : ٤٠) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥١) .

نعم .. الأرض تفسد إذا طال مكث الطواغيت المفسدين فيها ، ولم يقم أولياء الله المتقون بجهادهم في سبيل الله لدفع فسادهم وإراحة العباد والبـلاد من شرهم ، يقول (**ابن تيمية**) ـ رحمه الله ـ : قد بُعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد ؛ إذا هدمها المجوس والمشركون ، وأما إذا هدمها المسلمون وجعلوا أماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله فهذا خير وصلاح ؛ فالله سبحانه يدفع شر الطائفتين بخيرهما كما دفع المجوس بالروم والنصاري ثم دفع النصارى بالمؤمنين » . (**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ١ / ٢٧١**) .

(جـ) من سنن الله تعالى في البشر أن زوال الأمم وهلاكها يكون بسبب الترف والفساد وعدم اقامة العدل ، فيحق عليها عقاب الله تعالى إن عاجلاً أو آجلاً ، إما عذاباً معنوياً ، أو عذاباً حسياً ، والآيات والأحاديث الدالة على هذه السنة كثيرة منها قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء : ١٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيراً ﴾ (فاطر : ٤٥) . وقد ثبت في الصحيح عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : (أعوذ بوجهك) قال « أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ » . قال : (أعوذ بوجهك) ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ .. ﴾ (الأنعام : ٦٥) قال رسول الله ﷺ : (هذا أهونُ ، أو هَذا أيسر) (**البخاري : صحيح البخاري : ٤ / ١٦٩٤**) ، أي فتنة الخلق ، وتسليط بعضهم على بعض أهون وأيسر من عذاب الله تعالى .

(د) من سنن الله عز وجل في خلقه أن الناس هم المسؤولون عن رقيهم وانحطاطهم ، بنص الكتاب الكريم الذي تكرر في أكثر من موضع من هذه الدراسة وهو قول الحق تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ﴾ (الرعد : ١١) فالتغيير يجب أن يبدأ من الإنسان والله عز وجل ييسر له السبل التي يريدها ـ وكما تقدم ـ فإن أداة التغيير الفاعلة هي التربية .

وتاريخ التربية في عهد النبي ﷺ والصحابة يبين بجلاء كيف أن التربية الإسلامية نقلت العرب نقلة بعيدة غيرت ما بأنفسهم تغييراً شاملاً بواسطة عقيدة التوحيد الواضحة والشاملة لكل مناحي النفس الإنسانية ، وعندئذ استطاعوا تغيير ما بأنفس الأمم الأخرى ، وقد بدأ هذا التغيير بأول كلمة نزلت على النبي ﷺ وهي كلمة « إقرأ » .

والتربية الإسلامية المتضمنة مبادؤها في القرآن الكريم والسنة النبوية كفيلة بتغييرما بأنفس المسلمين اليوم ليعودوا إلى قيادة العالم وهداية البشرية على هدى من الله ، وليحققوا الغاية التي من أجلها خلقوا ، وعندما يغير المسلمون ما بأنفسهم ، فإن الله سبحانه وتعالى سيأخذ بأيديهم ، تحقيقا لوعده الصادق ، ومن أصدق من الله قيلاً ؟

(هـ) يقول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم : ٤٧) .

في هذه الآية وغيرها من آيات القرآن الكريم الدالة على هذا المعنى تأكيد لسنة استحقاق النصر للمؤمنين ، فالباطل وإن انتفش وعربد في البداية فإنه زاهق لا محالة ، وسينتصر الحق في النهاية ، وهذه السّنة ظاهرة في الأحداث الكبار ، فالحق تعالى يقول ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد : ١٧) ، فهذه الآية اشتملت على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه ، والباطل في اضمحلاله وفنائه .

يقول (**ابن قتيبة**) في شرح هذه الآية : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ، يقول : الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعَلاَهُ ، فإن الله سيمحقه ويبطله ، ويجعل العاقبة للحق وأهله ، ومثل ذلك مطر جُوْدٌ أسال الأودية بقدرها [1]. ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ أي عالياً على الماء كما يعلو الباطل تارة على الحق ، وكذلك المعادن إذا دخلت الكير يوقد عليها فيعلوها مثل زبد الماء ، ثم قال : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ أي يلقيه الماء عنه ، فيتعلق بأصول الشجر وجنبات الوادي ، وكذلك خبث الفلز يقذفه الكير ، فهذا مثل الباطل ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فهو مثل الحق(**تأويل مشكل القرآن ، ص ٣٥١**) .

---

(١) أي أخذ كل واد بحسبه ، فهذا كبير وَسِعَ كثيراً من الماء ، وهذا صغير وسع بقدره .

ولا شك أن المسلمين هم أحق الناس بهذه السنة ، وإذا تأخر عنهم النصر فلأمر ما في نفوسهم ، أو لأنه لم تتوحد صفوفهم ، وهذا من باب وعد الله الصادق بنصر أوليائه المؤمنين ؛ اعتقاداً ، وقولاً ، وعملاً .

وفي ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ يستطيع المنصف أن يلاحظ تركيز المؤرخين الأوائل من المسلمين على أخذ العبرة من التجارب التي مرت بها الأمم ، وعنايتهمبالسنن الإلهية ـ وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة في كتابات بعضهم ـ فقد برزت عند بعضهم الرؤية الشاملة التي تُعنى برصد مختلف الظروف والعوامل المؤثرة في الظواهر التاريخية ، والنشاط البشري بصفة عامة ، بل منهم من اهتم اهتماماً واضحاً باستخلاص تلك السنن التي تخضع لها الظواهر التاريخية ، أمثال ابن خلدون ومن سار على طريقته ، كالمقريزي الذي أدرك الأبعاد المختلفة للتاريخ .

أما مؤرخو الغرب فقد تنقلوا بين نظريات واتجاهات كثيرة لتعليل أحداث التاريخ وتفسيرها ، فمنهم من أكد على الجانب الغيبي ، ومنهم من أكد على التفسير المادي للتاريخ ، ومنهم من اتسم تفسيره للتاريخ بالتشاؤم أو بالتحدي ، وكل هذه النظريات والاتجاهات وان كان يُرى في بعضها شيء من الحق ، إلا أن التفسير الإسلامي للتاريخ يختلف عنها ابتداء في منطلقاته الأصلية المتمثلة في تكريم الله للإنسان ، وأنه تعالى خلق الإنسان لعبادته ، ويعلم ما يصلحه وما يصلح له ، وسخرله كل ما يحتاجه لعمارة الأرض ، وأرسل إليه الرسل والأنبياء عليهم السلام وأنزل معهم الكتب ، لئلا يكون للناس على الله حجة ، وهذه الحياة الدنيا إن هي الا مزرعة للآخرة مؤقتة ، والحياة الأخرى هي الباقية ، والحضارة تبلغ أوجها عند المسلم حينما يحقق ما يريده الله تعالى منه ، ويفي بما خلق من أجله ، (**يقول العمري**) :

« تقويم الحضارة يرتبط بمدى ملاءمتها لعبادة الله ؛ والمؤرخ المسلم لا يحكم على المستوى الذي تبلغه أية حضارة من خلال منجزاتها المادية فقط ، وإنما ينظر الى مدى تحقيقها للهدف الأساسي الذي وضعه « الخالق » عز وجل « لخلقه » قال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات : ٥٦) ؛ فالحضارة السامية في نظر المسلم هي التي تهيء الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية

والثقافية والمادية الملائمة لتوجيه الانسان نحو توحيد الله وإفراده بالعبودية ، والتزام تعاليمه في كل ألوان النشاط الذي يمارسه ، دون أن تعيقه المؤسسات والأجهزة القائمة في المجتمع ، أو توقعه في التناقض بين « عقيدته » و« سلوكه » ، ودون أن تضغط عليه لتحرفه عن التزامه أمام رب العالمين » (**المجتمع المدني ، ص ٢١**) .

وبعد .. فتلك إشارات سريعة توضح أهمية ؛ بل ضرورة التفسير الإسلامي للتاريخ لضبط التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، والعمل على تصحيحه في ضوء نصوص الكتاب والسنة ، التي يقول عنها (**فتحي عثمان**) :

« إن من أعظم المفارقات في ديننا أن نكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التي نستطيع أن نصحح بها تاريخنا ، فنبنيه على أساس قويم من الحقائق العلمية التي لا يتطرق الشك إليها وأن نكون مع ذلك أشد أمم الأرض إهمالاً للإفادة من ذلك .. » (**أضواء على التاريخ الإسلامي ، ص ٦**) .

ويتصور الباحث أنه أصبح من الضروري تبني المنهج الإسلامي لدراسة تاريخ التربية ، وتفسيره تفسيراً علمياً صحيحاً ، عن طريق استخدام منهج مستمد من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ لتحليل الأحداث التربوية وتفسيرها في إطار واقعها التاريخي ، وعلى أساس من فهم واع وعميق لكافة العوامل والسنن الفاعلة في التاريخ الإنساني بوجه عام ، والتاريخ الإسلامي بوجه خاص من أجل إبراز تاريخ التربية على الوجه الصحيح ، وتوجيه الكتابات التربوية الحديثة ذات الصلة بتاريخ التربية ، وتنقيتها من آثار التفسير المادي للتاريخ وما تفرع عنه من اتجاهات ونظريات وأوهام ، متناقضة ومتصارعة في أغلب الأحيان ، والتي يمكن التعرف على أكثرها شيوعاً وتأثيراً على التاريخ ـ عامة ـ وتاريخ التربية ـ خاصة ـ في الفقرة التالية .

(ب) نماذج من مذاهب تفسير التاريخ :

تعددت مذاهب التفسيرالتاريخي الوضعية والدينية ، إلا أن معظمها قدمت معطياتها متجاهلة الإجابة عن الأسئلة التالية :« ماهي العلاقة بين الله سبحانه وبين الطبيعة [الكون] بما فيه القوى المادية، والإنسان ، بما أنه روح ومادة ، في صنع التاريخ وإقامة الحضارات ؟ وهل من المحتم أن تتكي أحداث

التاريخ على عامل واحد من بين هذه العوامل الثلاثة ويلغ العاملان الآخران ، أو على الأقل يغدوان ظلالاً باهتة لفاعلية العامل الرئيسي ؟ ولماذا هذه الجدران التي أقيمت بين الله والطبيعة [الكون] والإنسان » (**خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص ١٥**) .

وتلك الأسئلة وأكثر منها لم تجد إجابتها الشاملة والمتوازنة ولن تجدها إلا في التفسير الإسلامي للتاريخ ـ الذي تقدم الكلام عليه ـ أما مذاهب التفسير الأخرى بتخطيها الاجابة عن تلك الأسئلة ، تركت في طريقها الكثير من الثغرات العميقة والمنغلقة في بحثها على الفرضية التي تمنح لعامل واحد صفة الفاعلية ، وتلغي بقية العوامل (**المرجع السابق ، نفس الصفحة**) .

ومن التفسيرات التاريخية ما عرف بالتفسير السحري أو الميتافيزيقي للتاريخ ، الذي تحوّل مع مر العصور إلى ما سمي بالتفسير اللاهوتي لدى مفكري العصور الوسطى الأوروبية ، ومنها التفسير البطولي للتاريخ ، ثم توالت المذاهب والاتجاهات الوضعية المادية في تفسير التاريخ ، وبلغت أوج كثرتها وتشعباتها في القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للقرن الرابع عشر الهجري ، حتى أصبحت تنعت بـ « مدارس تفسير التاريخ » (**حسانين : الوجيز في تاريخ التربية ، ص ١٠**) .

وليس من أهداف الدراسة الحالية العرض المفصل لتطور المذاهب المتنوعة التي حاولت تفسير التاريخ ، وتاريخ كل مذهب ورواده ؛ ولذا فسيكتفي الباحث بتناول أشهر الاتجاهات التي كان لها تأثير واضح في الكتابات التربوية الخاصة بتاريخ التربية ، في خطوط عريضة مع بيان إيجابيات كل اتجاه ـ إن وجدت ـ وسلبياته ، وذلك في ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ. وباختصار ـ أيضا ـ وذلك على النحو التالي :

١ ـ مذهب الحتمية في تفسير التاريخ :

وُجد من يعتبر القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للقرن الرابع عشر الهجري حداً فاصلاً بين عهدين في محاولة تفسير التاريخ أو الكشف عما سموه بالقوانين التي تحكم تطور المجتمع الإنساني ، فقد كان بين مختلف نظريات الحتمية

التاريخية شبه اتفاق على التسليم بوجود خطة حتمية يسير التاريخ وفقاً لها ، وعلى وجود هدف يسعى التاريخ لتحقيقه ، ولا بد له من بلوغه ، مع وجود خلاف عميق بين الفلاسفة أصحاب تلك النظريات في الخطة التي يسير التاريخ وفقاً لها ، والقوى التي تلعب الدور الأول في حركة التاريخ ، ويأتي في مقدمة القائلين بالحتمية التاريخية هيجل (**خياط : النظرية التربوية في الإسلام ، ص ٩٤**) .

وبناء على ذلك تعددت محاولات تفسير التاريخ في ضوء الاعتقاد المطلق في وجود قوانين حتمية تحكم التغيّر الاجتماعي ، وواجب اكتشافها وتجلية غموضها يقع على عاتق الفلاسفة وعلماء الاجتماع ، كما يرى أصحاب هذه الفكرة .

والحجة التي يُبرر بها هذا الاعتقاد المزعوم يلخصها (**سيد إبراهيم الجيار**) في كتابه (**دراسات في تاريخ الفكر التربوي**) بأنه : « لا فارق من حيث المبدأ بين المجتمع الإنساني ، والوجود الطبيعي وأن كليهما يخضع لقوانين حتمية . وإذا كان اكتشاف القوانين التي تحكم تطور المجتمع الإنساني أكثر صعوبة بسبب تعقد الظواهر الاجتماعية وتشابكها فإن هذا مجرد اختلاف في الدرجة وليس اختلافاً في طبيعة الأشياء » (**ص ١٠**) .

وهذه الحجة التي تساوي بين طبيعة السنن التي تعبر عنها بالقوانين في الوجود الكوني الذي تعبر عنه بالطبيعي والوجود الإنساني تنطوي على مغالطة أساسية ، إذ الأشياء هي موضوع الوجود الأول ، والإنسان هو موضوع الوجود الثاني ولا يمكن أن تكتشف السنن الخاصة بالإنسان والمجتمع بنفس الطريقة التي تكتشف بها السنن الكونية الخاصة بالأشياء .

ويترتب على الأخذ بمذهب الحتمية في تفسير التاريخ التسليم بالأمور التالية :

(أ) أن ما يحدث اليوم هونتيجة مقدمات حدثت في الماضي ، وعليه يكون الحاضر محكوماً بالماضي ، والاثنان يحددان شكل المستقبل .

(ب) في حالة معرفة السنن التي تتحكم في تغير المجتمع البشري ، يمكن تحديد الصورة المستقبلية للمجتمع .

(جـ) ما دام التاريخ يسير وفق خطة محتومة ، فلا محل للإلتزام الخلقي من جانب البشر (**المرجع السابق ، نفس الصفحة**) بمعنى إنعدام الإرادة الإنسانية ، وإلغاء الذكاء الإنساني ، ودور الإنسان في صناعة التاريخ .

وعلى أية حال فإن مذهب الحتمية في تفسير التاريخ لا يمكن قبوله ، لأنه معارض للتفسير الإسلامي للتاريخ ، بإلغائه وجود الإرادة الإنسانية التي أكرم الله تعالى بها الإنسان ، ليحاسبه عليها . كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ .. ﴾ (الرعد : ١١) ،، إذا التغيير الأول يحدث في نفس الإنسان ، وبإرادته واختياره ، كما نسب الله تعالى للإنسان كسبه فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾ (النساء :١١١) . وقال تعالى : ﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ ﴾ (فاطر : ٣٩) .

وهكذا فإن الانسان يملك الحرية والإرادة ، وبالتالي فهو مكلف يستحق الثواب والعقاب ، ولذا فإن الأحداث التاريخية المتصلة به لا تكون خاضعة لمنطق الحتمية .

٢ـ مذهب تعاقب الدورات التاريخية :

يقوم هذا المذهب على أساس أن التاريخ الانساني يتألف من مجموعة من الدورات التاريخية ، وأن المجتمعات البشرية تشبه الكائنات الحية تولد ، وتنمو ، حتى تكبر ، ويبلغها الهرم فتموت ، وقد احتج أصحاب هذه الفكرة بتعاقب الحضارات المختلفة ومرور كل منها بنفس الدورات (التكوين ، والازدهار ، ثم أخيراً الاضمحلال والذبول) .

ويُنسب هذا الاتجاه إلى مجموعة من المؤرخين كابن خلدون ، وفيكو ، واشبنجلر ، وتوينبي (**صبحي : في فلسفة التاريخ ، ص ١٣٣ ، ١٥٣**) .

والحقيقة أن تصور ابن خلدون لتعاقب الحضارات ، يختلف عن تصور فلاسفة التاريخ الغربيين ، على الرغم من تأثر بعضهم به تأثراً واضحاً ، حيث أن ابن خلدون يرى أن الحضارة تتعاقب على الأمم في أربعة أطوار هي : طور البداوة ، ثم

طور التحضر ، ثم طور الترف ، وأخيراً دور التدهور الذي يؤدي إلى السقوط (**وافي : عبقريات ابن خلدون ، ص ٢١٧**) .

بمعنى أن الحضارات لها أعمار كالأفراد ، فهي في ا لمرحلة الأولى تتسم بالبداوة وما يتصف به أصحابها من بسالة وشجاعة ، إضافة إلى ما بينهم من ترابط واتحاد يساعدهم على التغلب وتأسيس الدولة ، وبذلك ينتقلون إلى طور التحضر ويستمر تحضرهم في البناء إلى أن ينغمس الناس في الترف ، وتقل غيرتهم فيكون التدهور ، ويستولى على دولتهم الهرم ، وتلك في نظر ابن خلدون نهاية الدولة الحضارية .

أما فيكو فقد حاول في كتابه (**العلم الجديد**) أن يميز في تاريخ الإنسانية ثلاث مراحل متتابعة هي : اللاهوتية التي تبدأ بخروج الأمة تدريجياً من حالتها البدائية إلى مرحلة تسودها الخرافات ويحكمها الخوف من مظاهر الطبيعة . وبالتدريج يدخل المجتمع في المرحلة الثانية وهي المرحلة البطولية وفيها يغلب على الطبيعة البشرية حب البطولة وتمجيد القوة ويتخذ الدين والأدب والفلسفة طابعاً أسطورياً خاصاً ، وتنتقل السلطة من الكهان ورجال الدين ـ كما يقول ـ إلى رجال الحرب والفروسية ، وتصبح القوة هي القانون النافذ ، ثم يدخل المجتمع المرحلة الثالثة وهي المرحلة الإنسانية عندما يحصل المواطنون على حقوقهم المتساوية وتسقط النظم الإستبدادية وتسود الديمقراطية ، وهذه المرحلة كما يراها فيكو تحمل بذور انهيار المجتمع . إذ تغري الديمقراطية الجماهير بالتطرف في المطالبة بحقوقها وتضعف الروابط ، ويسود الانحلال والفساد وتنتهي الدورة الحضارية (**ويدجري : التاريخ وكيف يفسرونه ، ص ١٤٠**) .

وهذه النظرة التي رآها فيكو استقاها من تاريخ المجتمعات الغربية ، وهي نظرة قاصرة ، وتعميمها تحكم لا برهان عليه .

أما اشبنجلر فإنه يرى في كتابه (**أفول الغرب**) أن الحضارة كائن عضوي طبيعي ينشأ ويزدهر ويشيخ ويلحقه الفناء ، وينبغي أن تدرس كل حضارة على حدة ؛ من خلال التراكيب الخاصة لهذه الحضارة وايقاعها التاريخي ، وإن كان يرى أن هناك

تشابهاً بين قيام الحضارات ونموها ووصولها إلى القوة ثم انحدارها ، وتصور أنها عملية بيولوجية ، شبيهة بما يجري على الكائنات الحية كسابقيه . وقد هوجمت آراؤه في الغرب بسبب مساسها بالحضارة الغربية (**مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، ص ١٧٦**) .

وتوينبي يعتقد أن العامل الإيجابي الذي يسهم في قيام الحضارات ويؤدي غيابه إلى انهيارها هو عنصر التحدي ، فالاستجابة للتحدي تؤدي إلى قيام الحضارة ، وقصوره يؤدي إلى التحلل في المجتمع فتنهار الحضارة (**توينبي : مختصر دراسة التاريخ ، ١ / ٩٩**) .

والخلاصة أن فكرة تعاقب الدورات التاريخية ليست إلا مجرد تحكم متعسف في تفسير التاريخ ، ومن الصعب التسليم بأن التشابه بين الحوادث التاريخية ليس تكراراً ولا عفواً ، ولكنه تحقيق لسنن الأطوار الحيوية البيولوجية ، وتلك النظرة التحكمية تخالف التفسير الإسلامي الشامل للتاريخ .

٣ ـ فكرة التقدم الإنساني :

قال بهذا الاتجاه فلاسفة التاريخ الذين يرون تقدم المجتمع الانساني وارتقاءه نحو حياة أفضل ، ويؤكدون على أهمية العقل الإنساني وانجازاته .

وقد ذهب بعض أنصار هذا الاتجاه إلى أن تقدم الإنسانية تقدم مطلق ، ويمثل هذا الرأي الفيلسوف الألماني « كانت » الذي يقول : إن الطبيعة قد وضعت في الجنس البشري طاقات معينة تمكنه من أن يرتقي ويتقدم إلى ما لا نهاية . وهذا القول مبني على مبدأ التقدم الحتمي الإلحادي ، وهو كذب مردود والصواب أن الذي أعطى تلك الطاقات للجنس البشري هو الخالق سبحانه وتعالى ، وليس الطبيعة ، والارتقاء والتقدم الحقيقي محكوم بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وهو الذي يقدره ويرضاه لعباده فهو تعالى القاهر فوق عباده .

وما يُلاحظ من أن أولئك الذين يخالفون أوامر الله تعالى من الكافرين وغيرهم أكثر تقدماً في الحياة الدنيا ، ومن ذلك التقدم الحالي في الاختراعات الفنية ، فإنه تقدم لا شك فيه ، ولكنه لا يدل أبداً على أي تقدم في سعادة البشر ، إذ أن تلك المخترعات تسهل على مخترعيها اشباع الأنانية الخبيثة في نفوسهم ، وما يبررون به

أفعالهم الظالمة والجائرة على بني الإنسان من قوانين يسمونها أخلاقية ، وهي مبنية على القوانين المادية .

وهكذا فإن التقدم العلمي المادي لا يضمن التقدم للبشر إلا إذا حكمته أوامر الله تبارك وتعالى ، والقيم التي ارتضاها لعباده المؤمنين وكلفهم باتباعها .

وصفوة القول أن التقدم الإنساني الحقيقي لا يكون إلا بسيطرة المبادئ الأخلاقية والقيم الإسلامية المبنية على الوحي الإلهي ، وهي ليست مقيدة بالوقت والظروف ، وإنما هي شيء ثابت لا يتغير .

أما هيجل فيرى أن تاريخ العالم ما هو إلا انعكاس أو سجل لتطور الفكر الإنساني الذي يرجع إلى الصراع بين الأفكار فكل فكرة لا بد أن تجد فكرة مناقضة لها ، وينتج عنهما فكرة ثالثة أرقى منهما ، وقد حوّل ماركس هذه الفلسفة المثالية [كما تسمى] في تفسير تاريخ العالم إلى فلسفة مادية .. (**الجيار : دراسات في تاريخ الفكرالتربوي ، ص ١٣**)

ومن هنا نشأ التفسير الآتي :

٤ ـ التفسير المادي للتاريخ :

ومن زعماء هذا الاتجاه : ماركس وانجلز ، ومعنى هذا التفسير أنه في أية فترة زمنية فإن العلاقات الاقتصادية في المجتمع ـ باعتبارها الأسلوب الذي يحقق للأفراد معاشهم ـ لها تأثيرها الكبير في تشكيل التقدم الاجتماعي ، بمعنى أن الانتاج هو أساس التاريخ من ألفه إلى يائه .. [كما يقولون] !! ، وأحداث التاريخ لا ترجع إلى بواعث فكرية إذ « الفكر عند الماركسيين لا يحرك أحداث التاريخ إلا بعد أن تعتنقه الجماهير ، ويُرى فيه عون مادي للخلاص من قوة مادية أخرى » (**شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ١ / ٣٥**) .

وعندئذ يتعايش الفكر والمادة في وحدة واحدة ، ويؤثر كل منهما في الآخر ويتطور معه ـ حسب زعمهم ـ والمهم كما قال (**الدكتور محمد جميل خياط**) في كتابه (**النظرية التربوية في الإسلام**) : « هوأن النظرية المادية الجدلية ـ التي قام عليها التفسير المادي للتاريخ ـ تقوم على مجموعة من الأخطاء النظرية أخطرها هو

ربط مسيرة التاريخ بالواقع الاقتصادي الذي يلغي العقائد والثقافات بحيث يبدو الإنسان في إطار الماركسية وكأنه كائن منبتّ لا تاريخ له » (ص ٩٦) .

ولا شك أن ما حدث من انهيار النظام الماركسي فيما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي أواخر عام ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م يؤكد مناقضة هذه النظرية لفطرة الإنسان وللطبيعة البشرية .

بالإضافة إلى أن التفسير المادي للتاريخ يغفل القوى والعوامل غير الاقتصادية ؛ التي تعمل وتؤثر في طبيعة الأنظمة الاجتماعية السائدة ، وقبل ذلك وبعده يغفل مكانة العقيدة التي ترتبط بها كافة العوامل ، الأمر الذي لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال ، خاصة في تفسير التاريخ الإسلامي ، وتاريخ التربية الإسلامية ، الذي يحتاج إلى فقه في الدين ، وبصر بالسنن الإلهية .

تلك نماذج للمذاهب والاتجاهات المادية التي حاولت تفسير التاريخ بمعزل عن منهج الله تعالى ، ووحيه الصادق ، وجميعها تؤكد أن فلاسفة التاريخ الغربيين يتفقون ـ رغم الاختلافات الصارخة بينهم في الآراء ـ على النقاط التالية :

(أ) نفي حرية الإرادة لدى الإنسان ، وأن ذاته محدودة بالزمان والمكان .

(ب) أن الوجود المستقل للفرد وهم من الأوهام ، والوجود الجماعي غير الشخصي هو وحده الحقيقي .

(جـ) عدم الاعتراف بالكيان الداخلي للإنسان ، والجهل بمصيره ، كما يرون أن القوى الاجتماعية هي التي تشكل مصير الإنسان من أوله إلى آخره .

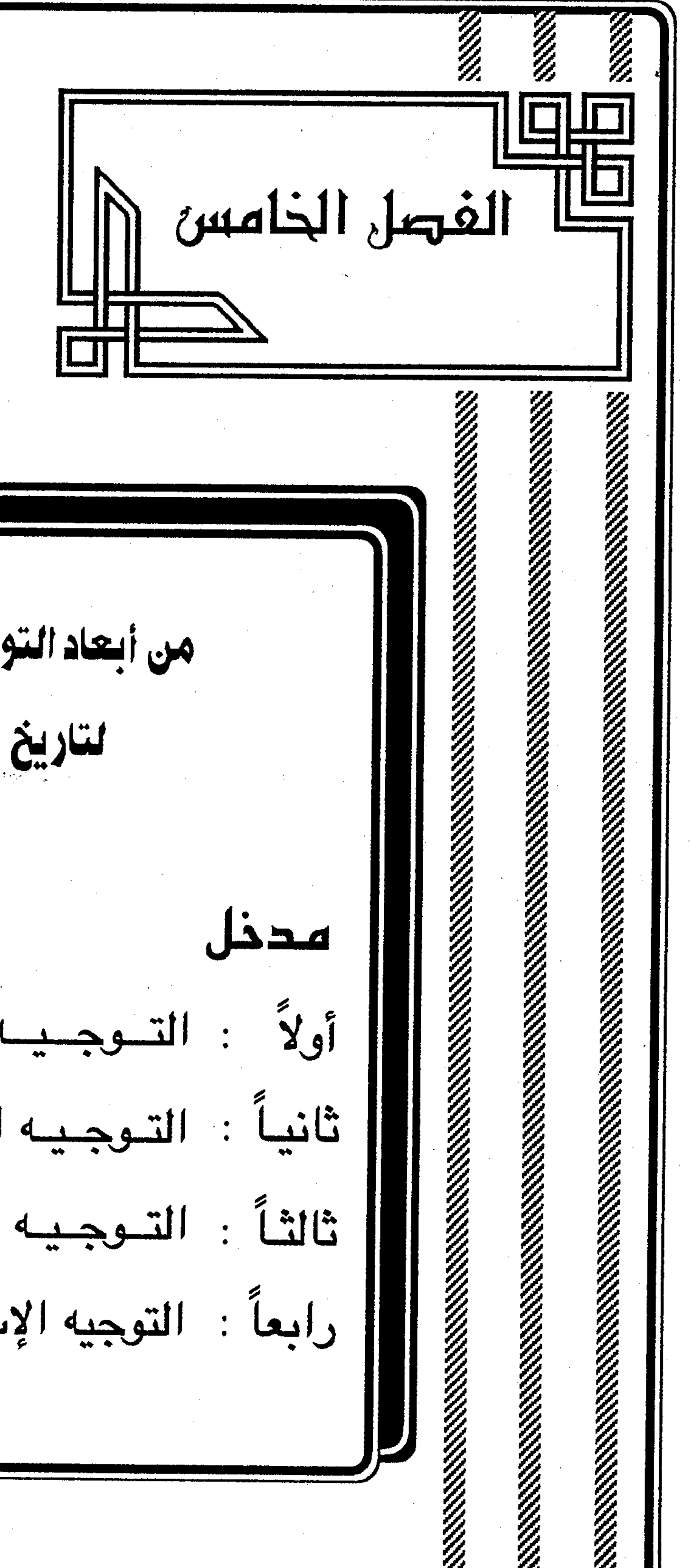
(د) يرون أن ليس هناك حقيقة خالدة ، ولا مستوى موضوعي للأخلاق والعدل ، وأن كل هذه المفاهيم نسبية الى الزمان والمكان ، وعلى ذلك فليس هناك قانون ، ولا أمر يمكن أن يعتقد كليا في صحته (**صديقي : مفهوم إسلامي للتاريخ ،ص ٦٩ـ ٧٠**).

وجميع هذه النقاط مردودة على أصحابها بنصوص الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة ، التي سبقت الإشارة إلى بعضها عند الحديث عن التفسير الإسلامي للتاريخ بنظرته الشاملة التي تجعله مهيمناً على كافة التفسيرات المادية التي تناولت من حياة الإنسان الجوانب الأقرب الى عالم المادة ، وعالم الحس ، وأهملت كيان الإنسان

المتمثل في الروح والعقل والجسد ، والتي كانت جميعها محل اهتمام التفسير الاسلامي للتاريخ ، اضافة إلى عالم الضرورة ، وعالم القيم الطليقة من قيد الضرورة .

والشيء الذي يلفت الانتباه أن معظم المؤلفات العربية الخاصة بتاريخ التربية ، والتي كتبت بأيدي مربين مسلمين لم تحفل بتاتاً بالتفسير الإسلامي للتاريخ ، وإنما كان اعتمادها على الاتجاهات المادية في تفسير التاريخ ، ولن يطيل الباحث بذكر نماذج لهذه الظاهرة الخطيرة ولكنه سيورد مثالاً واحداً من تلك المؤلفات ، وهو كتاب (**تاريخ التربية في الشرق والغرب**) لمؤلفه (**محمد منير مرسي**) ، فقد أشار المؤلف إلى حاجة التاريخ التربوي إلى مراجعةالتفسيرات التاريخية ، وكان تركيزه منصباً على التفسير النفعي لتاريخ التربية ، واستخدامه من قبل رجال مشهورين ـ حسب تعبيره ـ في الغرب منهم كلود فلوري ، وهربرت سبنسر (ص ٢٦) ، أما التفسير الإسلامي للتاريخ وأهميته لتفسير الظواهر التربوية فلم يرد له أي ذكر لدى المؤلف ، ولم يحاول استخدامه في الجزء الذي خصصه للحديث عن التربية الإسلامية ، التي قرنها بالتربية المسيحية فيما سماه بالتربية في العصور الوسطى تقليداً للتقسيم الشائع لدى المربين الغربيين ، ومن سار في ركابهم .

وهذا الغياب الواضح للتفسير الإسلامي عن تاريخ التربية مع الإهمال المتعمد لتاريخ التربية الإسلامية من قبل بعض المؤلفات المكتوبة ، أو تشويه هذا التاريخ والنيل منه ، والتساهل في تدوينه في مؤلفات أخرى ، بالإضافة إلى ما لحق تاريخ التربية المدوّن من تزييف ، وتأثر فاضح بالاتجاه العلماني ، والتفسيرات المادية للتاريخ ؛ عن طريق الترجمة ؛ جميع هذه الأمور الأساسية وغيرها تدعو إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية من كافة الجوانب ، والتي يأتي في مقدمتها الأهداف ، والمحتوى ، وطريقة تنظيمه وعرضه ، والصفات التي يشترط توفرها فيمن يقوم باستنباط معايير وتنفيذ هذا التوجيه ، وذلك ما سوف تتم دراسته في الفصل اللاحق إن شاء الله .



الفصل الخامس

من أبعاد التوجيه الإسلامي لتاريخ التربيــة

الفصل الخامس

من أبعاد التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية

مدخل :

تحدثت الدراسة في الفصل السابق عن الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، مبينة أهم الدواعي التي تلح على ضرورة هذا التوجيه ؛ والمتمثلة في التزييف الذي تعرض له تاريخ التربية ، من حيث البدء والحقيقة ، والآثار الضارة لكل من الترجمة الحرفية ، والاتجاه العلماني في الكتابات المعاصرة التي تناولت دراسة تاريخ التربية ، وما نال تاريخ التربية الإسلامية ـ خاصة ـ من تجاهل وتغافل ، أو تشويه وتحريف ، وعدم تحرٍ للدقة من بعض التربويين المسلمين المعاصرين ممن ساروا على منهج مؤرخي التربية في الغرب ، ولم يوظفوا التفسير الإسلامي للتاريخ في تناولهم لتاريخ التربية ، بل اكتفوا بالسرد التاريخي غير الممحص ، إن لم يقعوا في حبائل التفسيرات المادية .

وهذه الأمور وغيرها تحتم على القادرين من أبناء الإسلام ـ خاصة أصحاب التخصص من العلماء التربويين وطلاب الدراسات العليا ـ أن يبادروا للمساهمة في توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً ، بداية من الأهداف التي ينبغي التركيز عليها ليتحقق التوجيه ، والتي في ضوئها يتم إختيار المحتوى الذي يجب أن يقوم ـ هو الآخر ـ على معايير معينة تضبطه ، وتنظم طريقة عرضه ، مع الاهتمام بنقد وفحص ما كتب حول تاريخ التربية من مؤلفات ودراسات ، على أن يتم كل ذلك على أيدي باحثين مؤهلين يقومون به في ضوء نظرة الإسلام الشاملة إلى طبيعة الإنسان الحقيقية ، وعلاقته بالخالق عز وجل ، وبالكون كله ، وإلى الهدف من وجود الإنسان ، ومصيره ، إضافة إلى ما جاء به الإسلام من قيم ، وأخلاق تستقيم بها الحياة ، ونظام الوجود .

وهذا ما سوف تتناوله الدراسة في الفصل الحالي على أمل أن تساهم بما تعرضه في تحقيق أهداف التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية والتي منها :

١ ــ تحسين المقاصد والنيات الموصلة إلى تحقيق الغاية من دراسة تاريخ التربية ، والاستفادة منه ، والإفادة به ؛ خدمة للإسلام ، والمسلمين ، بنية العبادة الخالصة لله تعالى . وما من شك في أن البدء من منطلق الإيمان الواثق بالله عز وجل يحقق ــ بإذن الله تعالى ــ النتائج المثمرة ، والعاقبة الحسنة في كثير من الأحيان . ولقد أكدت هذا الهدف أول آية كريمة افتتحت تاريخ التربية الإسلامية ، وهي قول الحق تبارك وتعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق : ١) .

٢ ــ الانطلاق من المبادىء والأصول الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، والفهم الصحيح لنصوصهما في التراث الفكري الإسلامي من أجل تنقية تاريخ التربية مما علق به من تصورات ، ومفاهيم ، واتجاهات ، وتفسيرات منحرفة ، وفدت عليه من أصول وثنية ، أو يهودية ، أو نصرانية ، أو مذاهب هدامة كالشيوعية ، والرأسمالية ، والوجدانية ، والإباحية وغيرها .

٣ ــ دراسة تاريخ التربية وكتابة محتواه وعرضه بالطريقة الإسلامية التي تساعد على بناء الشخصية المسلمة ، ذات الهمّة العالية التي تبذل طاقتها في التعلّم والتعليم ، باعتبار ذلك عبادة تنال بها رضى الله تعالى وثوابه ، وترتفع بها درجتها عنده تصديقاً بوعده النافذ ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة : ١١) .

٤ ــ المساهمة في إعداد المعلم والباحث والعالم المسلم ، وبناء شخصية كل منهم ، وتكوين فكره وفقاً للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، بحيث تتحقق قدرتهم على القيام بواجبهم في تربية صحيحة توجّه المجتمعات الإسلامية التوجيه السليم في ضوء مبادىء الإسلام وقيمه السامية ومُثُله العليا .

٥ ـ المساهمة في التخلص من العبودية الفكرية التي لا يزال كثير من المجتمعات الإسلامية يرسف في قيودها ، إذ أن التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية يحفز الأمة على الحرص على شخصيتها ، والمحافظة على هويتها الإسلامية .

وفي هذا الفصل يقوم الباحث بدراسة الأبعاد التي حددتها الدراسة للتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، والمتمثلة في الآتي :

التوجيه الإسلامي للأهداف .

التوجيه الإسلامي للمحتوى .

التوجيه الإسلامي للطريقة

التوجيه الإسلامي لصفات الباحث .

أولاً : التوجيه الإسلامي للأهداف :

تنبثق الأهداف من المبادىء والقيم التي هي بمثابة البوصلة التي في ضوئها تسير العملية التربوية بأكملها ، ووضوح الأهداف يعتبر نقطة الانطلاق في تحديد المحتوى ، والطريقة التي يتم عرضه بها .

وعلى الرغم من أهمية الأهداف التربوية في توجيه نشاط المربين إلا أن هذا المصطلح له مرادفات كثيرة تثير لدى بعضهم ظلاً من الغموض والحيرة في التعامل معها ، وبعضهم يرى أن الأهداف والغايات والمرامي والأغراض معناها واحد ، والوظيفة التي تؤديها واحدة ، فيقول « الأهداف هي غايات وأغراض ومقاصد نهائية يجب الوصول إليها ، وتستخدم كموجهات لطريق التقدم في النمو والتنمية ، وترتبط ارتباطاً مباشراً بالقيم ... ذلك لأن التربية تتضمن اختياراً لاتجاه معين ... يتعلق ولا شك تعلقاً جذرياً بالقيم » . (**النجيحي : مقدمة في فلسفة التربية ، ص ١٣٦**) .

وفي القواميس العربية يظهر التشابه في المعنى اللغوي لتلك المصطلحات ؛ ففي (اللسان) (**لابن منظور**) « الهدف : الغرض ، والغرض الهدف ... والمرمى ... » (٧٨٣/٣) . وفي (**القاموس المحيط**) (**للفيروز آبادي**):« الغرض هـو الهدف » (ص ٤٩١) أما (**الجوهري**) فقد أورد في (**الصحاح**) : « أن الهدف : كل شيء مرتفع ، من بناء أو كثيب رمل أو جبل .. ومنه سمِّي الغرض هدفاً » (**١٤٤٣/٤**) .

ومن المربين من يميز بين الهدف والغاية فيرى « أن الهدف هو المقصد القريب أو الغرض القريب من الفعل ، والغاية هـي المقصد البعيد أو الغرض البعيد » (**يالجن : أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ص ٣٢**) ، ويلزم هنا التنبيه على أن الأهداف التربوية ليست عبارات مجردة ومنفصلة عن حياة الأفراد ، بل إنها تشكل تفاعلاتهم وتفسر مواقفهم .

ويرى آخر : أن الهدف هو « الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه وينظم سلوكه من أجل تحقيقها » (**النحلاوي : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ص ٩٦**) .

وحيث أن التربية ـ بكامل مكوناتها الأصولية والتاريخية ، النظرية والتطبيقية ـ عملية مقصودة فإنه لا بد من تحديد الأهداف، وإلا سارت التربية بغير وعي ولا إرشاد، ومن هنا قسّم أحد المربين الأهداف التربوية إلى قسمين رئيسين :

« الأهداف الأغراض : أي التي تشتمل على الأغراض والمقاصد النهائية التي يراد من التربية انجازها وتحقيقها على المستويات الفردية والاجتماعية والعالمية .

الأهداف الوسائل : أي التي تشتمل على الوسائل والأدوات الفعّالة لتحقيق الأهداف الأغراض » (**الكيلاني : أهداف التربية الإسلامية ، ص ١٥**) .

وكلا النوعين مفتقر للآخر ، إذ الأهداف الأغراض بلا وسائل ما هي إلا أمنيات بعيدة المنال ، والأهداف الوسائل لا بد لها من أغراض توجهها ، فعلى سبيل

المثال تعليم درس من التاريخ يعتبر نوعاً من أنواع أهداف الوسائل ، وعن طريقه يمكن التوصل إلى هدف نهائي من الأهداف الأغراض ، وهو الكشف عن سنن الله في الاجتماع البشري ، وعليه فإن الأهداف في التربية الإسلامية هي حلقات في سلسلة متدرجة باتساق من هذين النوعين ، وكل هدف يفضي إلى ا لذي يليه ويرتبط به روحاً ومنطلقاً من أجل تحقيق الغاية النهائية التي خلق الإنسان من أجلها. (**المرجع السابق ، ص١٥ ـ١٦**) .

وعلى أية حال فإن الأهداف والغايات جميعها محركة للسلوك ، ومحفزة للنشاط ، وموجهة لبذل الجهد ، وتحديدها يعتبر دافعاً قوياً للإيمان بها ، والتفاني في تحقيقها .

والأمر المهم في هذه الفقرة من الدراسة هو بيان معايير أهداف دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام لتكون علامات مضيئة في طريق توجيه أهداف هذا المجال توجيهاً إسلامياً .

(أ)معايير أهداف دراسة تاريخ التربية :

هناك العديد من الأسس التي تقوم عليها دراسة التاريخ الإسلامي والتي ترمي إلى أهداف وغايات عامة يمكن أن تساعد على تحديد معايير أهداف دراسة تاريخ التربية ، من أهم تلك الأسس كما يرى (**الجندي**) في كتابه : (**تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ، ص ٣٤٨ ــ ٣٤٩**) : ما يلي :

١ ـ التاريخ صورة تحقيق خلافة الإنسان في الأرض ، وتعمير الكون . إذ الحياة في هذه الأرض بالنسبة للإنسان فترة اختبار يُمتحن فيها بشتى الوقائع المضادّة ، وذلك من أجل أن يحتل مكانه الجدير بتكريم الله تعالى له ، في تطبيق منهج الله عز وجل ، ومقاومة القوى التي تريد إفساد الأرض ، وتدمير المجتمعات ، وعلى الإنسان أن يثبت أنه على مستوى الامتحان وأنه أهل للأمانة الملقاة على عاتقه ،

والآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة المؤكدة لهذه المعاني كثيرة فعلى سبيل المثال . يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف : ١٦٨) ، ويقول تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الكهف : ٧) ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ..﴾ (محمد : ٤) ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرَّفَ لها تستشرفُه ، فمن وجد ملجأً أو مَعَاذاً ، فليعذْ بِهِ» . (**البخاري: صحيح البخاري ، ٢٥٩٤/٦**) .

والفتن أصلها الإبتلاء ، وفي هذا الحديث التحذير من الفتن والحث على اجتناب الدخول فيها ، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها .

٢ ـ غاية التاريخ الإسلامي الوصول إلى قيام المجتمع الرباني في الأرض والتمكين له ، على أساس الإطار الإنساني والعدل والرحمة ، والتاريخ الإسلامي هو المثال الصحيح للتاريخ الإنساني عن طريق بناء المجتمع الرباني المنشود ، والذي يمثله النموذج الذي بناه الإسلام في عهد النبي ﷺ وأصحابه ، وما جاء على منواله من نماذج خلال العصور الإسلامية الراشدة .

والتاريخ بالنسبة للحاضر يعني التعرف على الظروف التي كونت هذا الواقع ، وعليه فإن علاج مشكلات الواقع يتطلب التعرف على العقبات لمواجهتها والتماس المسار الأصيل عن طريق فهم الماضي الذي يعتبر ضرورة لإدراك الحاضر ، بمعنى أن تكوين الوعي التاريخي أمر مهم لفهم مشكلات الحاضر والمساهمة في حلها ، وتبرز أهمية التاريخ الإسلامي في تربية الناشئة والشباب ، في هذا العصر الذي تكتنفه المشكلات ذات الخطر الواضح على كرامة الإنسان التي أنعم الله بها عليه ، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .. ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

٣ ـ ليس هناك حتمية تاريخية تقود الإنسان إلى مصيرها ، لأن أعمال الإنسان المختارة في إطار إرادة الله سبحانه ومشيئته هي السبب في صنع التاريخ ، وعليه فإن التاريخ هوحركة الإنسان في الحياة ، وقد تبين فساد رأي الماديين الذين أرادوا أن يدخلوا التاريخ في نطاق العلاقة الطبيعية وزعموا أنهم يستطيعون التحكم في مجراه على هذا الأساس ، بوضع قواعد عامة تتحكم في مجرى التاريخ وتحدد اتجاهه ، والواقع أن كل جماعة من البشر تواجه على نحو مختلف الظروف والمشاكل الجغرافية والتاريخية والبشرية .

والصحيح أن سير التاريخ لا يمكن التحكم فيه ، حيث أن مادته هي الإنسان ذو الذكاء والشخصية ، ومن غير الممكن قياس ذكائه ، والتحكم فيه ، كما أن الشخصية تختلف من إنسان لآخر وهذا ما يدحض فكرة اخضاع التاريخ للمناهج المادية والتجريبية .

٤ ـ الصراع يجري في التاريخ بين قوتين : قوة الخير الربانية التي تمثل الجماعة التي صنعتها النبوات ، وقوة الشر التي تمثل الجماعة التي قامت تربيتها على الفكر البشري المنبثق من الإباحية والمادية والوثنية .

والصراع ليس هو السمة العامة المسيطرة على حركة التاريخ ولكنه سمة لإحدى مراحل الانهيار ، والتي يفقد الإنسان فيها القدرة على الحركة نحو الأصالة والتقدم ، وحركة الكون كله تسير على طريق التعاون والتكامل بين العناصر المتعارضة ، وليس عن طريق الصراع .

وإن أصدق تفسير للتاريخ هو التفسير الإسلامي ؛ الذي يهتم بكافة الجوانب الإنسانية ؛ فينظر إلى حياة الإنسان من مختلف جوانبها ، وأي تفسير للتاريخ يكتفي بالتهويل على جانب واحد من النفس الإنسانية فإنه تفسير ناقص ، ولا ينبغي الإلتفات إليه بحال من الأحوال .

والتاريخ الإسلامي بالذات يشتمل على مفاهيم وقيم وفضائل أساسية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الصحابة رضي الله عنهم وترسيخ

هذه المفاهيم وغرس القيم والفضائل وسيلة فعّالة لإعداد أجيال المسلمين أفراداً صالحين وينبغي أن يتم ذلك في إطار السنن الإلهية التي جاءت جلية في كتاب الله العزيز ، وعلى لسان رسوله ﷺ .

وفي التاريخ الإسلامي ـ أيضا ـ أحداث معينة يتخذ منها الدارس عبرة وعظة ، فتنمي لديه الفهم لمشكلات العالم المعاصر ، والتفاعل مع تلك المشكلات تفاعلاً متزناً ، إضافة إلى ما تنميه دراسة التاريخ من مقدرة على المحاكمة العقلية التي تتمثل في التحليل والتركيب والتقويم ، وذلك يتطلب من الدارس القدرة على التفكير الناقد خاصة فيما يتعلق باستخدام المصادر والمراجع ، لا سيما ما كتبه المستشرقون عن التاريخ الإسلامي ، أو من تأثروا بهم من المؤرخين في العالم الإسلامي ، وغيرهم من المتأثرين بالمذاهب الوضعية في كتابة التاريخ .

كما يشتمل التاريخ الإسلامي على قدر كبير من المعارف المتعلقة بمختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والإلمام بها أمر أساسي لبناء ثقافة الفرد المسلم في هذا العصر الذي يتعرض فيه أبناء المسلمين ـ في كثير من البلاد الإسلامية ـ لثقافات غير إسلامية ، إضافة إلى ما تبعثه دراسة الانجازات التاريخية المبدعة في الجوانب المادية في التاريخ الإسلامي من شعور بالاعتزاز لدى الفرد المسلم ، وتدفعه إلى الانجاز الصالح الذي يُعين الأمة المسلمة على أن تتبوأ مكانتها الحقيقية التي اختارها لهارب العالمين سبحانه (**عثمان : أسس وأهداف تدريس التاريخ الإسلامي ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤**) .

وفي ضوء ما تقدم من أسس فإن أهداف دراسة التاريخ الإسلامي يمكن إجمالها في الآتي (**المرجع السابق : ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥**) :

(١) فهم الماضي والحاضر واستشراف المستقبل في ضوء السنن الإلهية .

(٢) المساهمة في بناء شخصية الفرد المسلم الذي يتربى بدراسة هذا التاريخ الإســــــلامي عن طريق :

أ ـ أخذ العبرة من خلال دراسته للأحداث والتطورات المختلفة التي مرت بها الأمة الإسلامية عبر العصور الإسلامية المتعاقبة .

ب ـ الاستفادة من العظات التي أوردها الصالحون ممن تولوا أمور المسلمين في العصور المختلفة .

جـ ـ الاقتداء بالصالحين ممن قادوا المسلمين ، وتولوا أمورهم في الأحقاب المختلفة .

د ـ الاعتزاز بالحضارة الإسلامية في جوانبها المعنوية وانجازاتها المادية .

(٣) تنمية مقدرة الدارس على المحاكمة العقلية .

وبما أن التربية الإسلامية تنطلق من عقيدة التوحيد التي تشكل أساس حياة المسلمين كلها ، والهدف الأساس للتربية القائمة على هذه العقيدة يتمثل في تربية الإنسان الصالح والمجتمع الرائد ، ومن وسائل تحقيق هذا الهدف دراسة التاريخ بصفته تحقيقاً للحوادث ، ونظراً فيها ، وتفسيراً وتعليلاً لها ، وأخذاً للعبرة والعظة منها في مجال التربية والتعليم ، إزدهاراً وركوداً وانحطاطاً ، بواسطة التعرف على الأسباب والعوامل التي أدت إلى ذلك الازدهار ، والأخرى التي سببت الركود ، أو أدت إلى الانحطاط ، والتي يأتي على رأسها العوامل الروحية والإيمانية التي تمثل في ميزان الإسلام القوة المؤثرة في حياة المسلمين في كل زمان ومكان ، والتي يغذيها اتباع هدى الله عز وجل القائل : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ (البقرة : ١٢٠) ، أي قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الدِّين المستقيم الصحيح الكامل الشامل (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٣٤٣**) ، وهو الهدى الحقيقي (**القرطبي : تفسير القرطبي ، ٢ / ٩٤**) ، فهذا الهدى هو الإسلام الذي فيه الهدى كله وليس وراءه هدى ، وفي ضوئه ينبغي تقويم وتمحيص الحوادث التاريخية والأفكار والممارسات التربوية ، وتوظيف النتائج في معالجة الواقع المعاصر للمجتمعات الإسلامية .

وقد تضمن القرآن الكريم في الكثير من آياته وكذا السنة النبوية الإشارة إلى أسباب انهيار الأمم السالفة ، من أجل أن تنمي لدى المسلم القدرة على النقد لتقويم ما يدرسه وفق المعايير الثابتة ، « وهذا الأمر ينطبق على تاريخ التربية في المجتمعات المسلمة ، وغير المسلمة على حد سواء ، وسمو التربية الإسلامية لا يعني بالضرورة أن كل ما ساد في المجتمعات الإسلامية كان إسلامياً ، ولو كان كل التراث التربوي في البلاد الإسلامية إسلامياً لا ندرج في دائرة التربية الإسلامية ما كتبه إخوان الصفا وسائر الفلاسفة الذين نهلوا من مصادر اغريقية لكن الأمر خلاف ذلك » (**عبدالله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ٣٢**) .

بمعنى أن التمحيص ، والتقويم في ضوء معايير التوجيه الإسلامي يجب أن يشمل تاريخ التربية في سائر المجتمعات قبل الإسلام وبعده .

ويمكن القول بأن أهم معيار يجب أن توجه في ضوئه أهداف دراسة تاريخ التربية هو :

التعرف على مدى قرب أو بعد تلك التربية في أي عصر من العصور من الهدف العام للتربية التي جاء بها الإسلام حيث الاهتمام بتنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ويعمر الأرض وفق الشريعة الإسلامية (**المركز العالمي للتعليم الإسلامي : توصيات المؤتمرات الإسلامية العالمية الأربع ، ص ١٢**) ، وهو الهدف الثابت الذي لا يتغير بتغير الزمان ولا يتلوّن باختلاف الأمصار والمجتمعات ؛ فعلى دارس تاريخ التربية أن يتعرف على مدى قرب أو بعد التربية التي يؤرخ لها عما ينبغي أن تكون عليه .. وذلك عن طريق تجاوز سرد ووصف الحوادث والوقائع التاريخية ذات الصلة بالنواحي التربوية إلى إبراز الأسباب والدوافع الكامنة وراء حالات السمو والإرتقاء ، أو حالات الانحطاط والتدهور ، وإعطاء تقييم شامل لذلك في ضوء توجيهات كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومن ثم العمل على استخلاص العبرة من تلك التجارب التربوية ، تحقيقاً لإرادة الحق عز وجل القائل : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦) ، فهو سبحانه يريد للمؤمنين « أن يتبعوا طرائق السابقين الحميدة ، في اتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها » . (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٧٢٢**) .

ولا بـد من البيان هنـا أنه لا يوجد فصل بين المنهج التاريخي كأسلوب بحث ، وبين تاريخ التربية كمجال للمعرفة التاريخية عن التربيـة ، حيث أن المنهج التاريخي يعتبر أداة للوصول إلى مادة علم التاريخ ، كما هو أداة الوصول إلى مادة تاريخ التربية في المجال التربوي (**جابر و آخر: مناهج البحث في التربيـة وعلم النفس ، ص١٠٩**) .

ولذا فإن المعيار آنف الذكر يمكن تحقيقه بواسطة التوجيه الإسلامي لأهداف البحث التاريخي في التربية ، والمتمثلة في التحليل ، والتجميع والتكثيف ، والتوضيح وإزالة التغميض والتعتيم الفكريين اللذين لحقا بالتاريخ الإسلامي ـ خاصة ـ ومنه تاريخ التربية الإسلامية ، ومن ثم التأصيل بواسطة إعادة الظاهرة التربوية إلى أصولها التاريخية ، مع التفسير والتعليل اللازمين لمعرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى حدوث الوقائع التاريخية التربوية . وفقهها بتعمق ، ثم استكشاف المآلية التي تكوّن لدى دارس تاريخ التربية اتجاهات سليمة نحو أنواع التربية في المجتمعات المختلفة ، ومواجهة الواقع التربوي بحلول ناجزة ومفيدة في ضوء الإسلام .

(ب) توجيه أهداف البحث التاريخي في التربية :

فيما يلي سوف يستعرض الباحث بشيء من التفصيل توجيه الأهداف التي ينبغي تحققها من خلال البحث التاريخي في التربية مع التأكيد على ترابط وتداخل هذه الأهداف وعدم جواز فصل بعضها عن بعض إلا من أجل الدراسة فحسب :

١ ـ هدف التحليل :

فالتحليل كهدف للبحث التاريخي في التربية يعني تحليلاً جيداً ، وسديداً للقوى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي لعبت دوراً بارزاً في تشكيل الرؤى والوقائع التربوية في المجتمع موضع الدراسة ، وذلك في ضوء معايير النصوص الإسلامية ، ثم هو بالتالي يعني بتحليل العلاقات السببية التي تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية ، ص ٢٢**) .

وعلى سبيل المثال إذا كان من أهداف دراسة تاريخ التربية الإسلامية تقديم صورة متكاملة شاملة عن تطورها ، وإعادة صياغة وتصوير الحقيقة التاريخية الكاملة فإنه لا يمكن استرداد الحقيقة كاملة بدون التحليل الدقيق للحقائق ثم تصنيفها وترتيبها في ضوء الأصول الإسلامية للتربية، فبالتربية الاسلامية ربى الله عز وجل رسوله ﷺ ، وربى الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم وربى أصحابُهُ التابعين ، وهؤلاء ربوا من بعدهم بهذا السند القويم العظيم المتصل عن الله عز وجل ، وهذا المنهج التعليمي التربوي ما زال صالحاً لأن يربي المسلمين جيلاً بعد جيل إذا عرفوه معرفة صحيحة مجردة عن التأويل والتحريف . والتبديل والبدع والفلسفات ، وأمكن تطبيقه تطبيقاً صحيحاً على نفس الأصول التي طبق عليها في القرون الأولى (**خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص ٣**) ، بل لا يحل لمسلم استبان له هذا المنهج بدليله أن يحيد عنه ، ولا يحل لمسلم عرف حكم الله تعالى ، وتوجيه رسوله ﷺ في أمر من الأمور أن يتركه إلى قول غيره كائن من كان ، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور : ٦٣) وقول الله تعالى : ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ (الفرقان : ٧٤) قال الإمام (**البخاري**) : « أئمة نقتدي بمن قبلنا ، ويقتدي بنا من بعدنا » (**صحيح البخاري ٦/ ٢٦٥٤**) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا : يارسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » (**المصدر السابق ، ٦ / ٢٦٥٥**) .

كل هذه الأدلة ، وغيرها ، تحض على امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى ، والاقتداء برسوله ﷺ ، ومن سار على منهجه إلى يوم الدين ؛ ومن ذلك ما يتعلق بالتربية التي تُعدُّ الإنسان المسلم للقيام بهذه المهمات ، والتي حفل تاريخها في الإسلام بنماذج صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

٢ ـــ هدف التجميع والتكثيف :

هذا الهدف يعتبر مكمّلاً لهدف التحليل ، وللتجميع شكلان :

« الأول : تجميع لمعلومات ومواد تاريخية .

ـ والثاني : تجميع لحقائق تاريخية قد حللت وفهمت ، وفي كل الحالات فإن تجميع الخبرة التربوية وتكثيفها يُعدّ من أهم أهداف البحث التاريخي في التربية .. فإن المادة التاريخية فيها لا تزال متناثرة ، والحقائق مبعثرة ، تحتاج إلى التجميع فعلاً، بحيث تنتظم في جسم معرفي » (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ٢٤**) .

بمعنى أن الباحث في تاريخ التربية لا بد أن يقوم بجمع الحقائق التاريخية التربوية بطريقة متكاملة ، بحيث تحقق له تغطية الفترة الزمنية التي يرغب دراستها . وهذا الهدف ألزم ما يكون في دراسات تاريخ التربية الإسلامية ؛ إذ الخبرة التربوية للأفراد والمجتمع الإسلامي في الماضي لا يمكن أن تتضح أبعادها إلا بواسطة إطار تجميعي يكثّف تلك الخبرة بعد أن تم عرضها مفكّكة .

ونظراً لاتساع تاريخ التربية الإسلامية باتساع التاريخ الإسلامي نفسه ؛ فإنه لا بد أن تكون موضوعات الدراسة ملائمة ومناسبة في سعتها حتى لا يضيع جهد الباحث ، وقد لا يحقق أهدافه ، وفي سبيل توجيه هذا الهدف توجيهاً إسلامياً على الباحث في تاريخ التربية الإسلامية أن يحرص على فحص مادته التاريخية ، ويقومها في ضوء توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، وما تضمناه من أصول ومباديء وقيم تتعلق بالتربية ، والتفسير الإسلامي للتاريخ ، ومن ثم تنظيمها في جسم معرفي مكتمل .

٣ ـــ هدف التوضيح وإزالة التغميض والتعتيم الفكري :

لقد كان تاريخ الإسلام هدفاً للاستشراق ، والتغريب ، والتنصير ، والغزو الثقافي في العصر الحديث ، منذ أن بدأت الحملة الاستعمارية على العالم الإسلامي ، وكان من بين أهداف تلك الحملة أن تدوم سيطرة الاستعمار على الأمة الإسلامية من خلال تشويه تاريخها وتعطيل مقومات فكرها ، بل والحرص على هدم الدين الإسلامي كنظام صالح لكل زمان ومكان .

ومن خلال تلك الهجمة الشرسة على التاريخ الإسلامي باعتباره الواقع التطبيقي للإسلام ومعه تاريخ التربية الإسلامية من قبل أعداء الإسلام ، فقد لحقهما الكثير من التشويه والتغميض ، وتعتيم الأجواء حولهما ، إما عن قصد وإرادة مبيتة للتحريف والتشويه ، وإما عن عدم إلتزام وتقيد بالأصول المنهجية في الفكر والتصور والنقد والتمحيص (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ١٤**) ، وإما عن عدم فهم لمجال الدراسة في التربية الإسلامية وتاريخها مما أدى إلى خطأ في فهمها وتصور تاريخها ، بل والتشكيك فيها وفي حقيقتها وحقائقها ، وهو تشكيك في الإسلام ذاته من قبل الأعداء ، ومن المؤسف أن يسير في درب أولئك الأعداء فئة من أبناء المسلمين من العلماء والكتاب ، فينخدعون بمظهر التحقيق العلمي الكاذب الذي يلبسه هؤلاء الأعداء من المستشرقين والمؤرخين الغربيين عن حقيقة أهدافهم ومقاصدهم فإذا هم ــ وهم مسلمون ــ ينتهون إلى الغاية التي سعى إليها أولئك ــ وهم يهود أو مسيحيون أو استعماريون ــ من إشاعة الشك والريبة في الإسلام وتربيته وحَمَلَتِه ودعاته من حيث يدرون أو لا يدرون ، فالتقى أعداء الإسلام وبعض أبنائه المعاصرين على صعيد واحد غير مشرِّف ، لا في ميدان العلم ، ولا في سجل التاريخ (**السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ٣**) .

وبناء عليه فإن من أهم أهداف البحث التاريخي في التربية الإسلامية إزالة الغموض المحيط بها ، وتوضيح حقائقها النقية الناصعة بواسطة « استنطاق واقعها التاريخي ــ عبر العصور ــ واستجوابه عن طريق من جسدوه آنذاك لا عن طريق انطباعات مكتبية من مبيتات أو من صنع القرن العشرين » (**فكار : لمحات عن منهجية الحوار ، ص ٨٨**) .

وأما التعتيم الفكري وإثارة الضبابية حول تاريخ التربية الإسلامية فهو ناتج عن قصد معين يتمثل في صرف الدارسين عن دراسة ذلك التاريخ أو اعطائهم صورة غير واضحة عنه ، في أشكال متعددة ، أورد (**جمال عبد الهادي**) ورفيقته نماذج لها في كتابهما (**منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا * وكيف** «؟) (ص ٧٠ ــ ١٤١) ،

وذلك من خلال استعراضهما لكتابات بعض أبناء المسلمين وغيرهم ممن تأثروا بالفكر الاستشراقي في كتابة تاريخ الإسلام ، والمسلمين .

وتأتي أهمية بل ضرورة التوضيح وإزالة الغموض نتيجة لانتشار الدراسات والكتابات التي تناولت تاريخ التربية في الإسلام على أيدي بعض الباحثين الذين وقعوا في أسر المركزية الغربية ، فاعتمدوا في تناولهم لذلك التاريخ على الصورة التي رسمها الباحثون الغربيون له ، وما تحمله تلك الصورة من أخطاء تزيد في درجة عتمتها وتحريفها وتشويهها ، ولذا كان من أهم أهداف البحث التاريخي في التربية الإسلامية توضيح صورة هذه التربية وإزالة التعتيم والضبابية من حولها ، والاجتهاد في تصحيح المفاهيم والحقائق والأفكار (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ٣٥**) ، وذلك من أهم أهداف التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية . الذي تسعى هذه الدراسة لإبرازه ، والدعوة إليه .

٤ ــ هدف التأصيل :

ويعني هذا الهدف رد الظواهر التربوية إلى أصولها التاريخية ، من أجل التعرف على منابع وجوانب الأصالة فيها على مستوى النظر والتطبيق .

والأصالة تعني : « الاعتماد على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية وماجاء فيهما من توجيهات في بناء وإعداد المناهج في شتى فروع المعرفة » (**خياط : الجامعات الإسلامية ، ص ٩٤**) .

ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق دراسة الظاهرة التربوية التي برزت في أماكن وأزمان معينة ، انطلاقاً من نصوص الوحي ، أو ابتكاراً متسقاً مع دلالات تلك النصوص ، أو اجتهاداً في ضوء النصوص لمواجهة احتياجات المجتمع الإسلامي ، ومن ثم توضيح ما تحتاجه الظروف المستجدة من تعمق في الفهم ووسائل للتطبيق وإضافة جديدة ، بمعنى أن الأصالة لا تقف عند حد معين في الماضي أو الحاضر ، ولكنها استمرار في الابتكار والاضافة الفكرية النافعة في إطار الأصول الثابتة . (**أبوالعينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ٢٥ ــ ٢٦**) ، والإسلام هو

الإطار المرجعي الذي يبدأ منه الباحث ويعود إليه ، لكي يحقق التوجيه الإسلامي المنشود لتاريخ التربية .

ويحتاج هدف التأصيل إلى عمليات فكرية قوامها الاخلاص ، والصدق ، وأخذ الواقع المعاش والممارسات العملية لحياة الناس في الاعتبار ، إضافة إلى الظروف التي مرت بها المجتمعات الإسلامية ، مع النظرة النقدية التحليلية لما هو قابل للنقد **(أبو العينين : الفكر التربوي الإسلامي ، رسالة الخليج ، ع ١٧ ، ص ٧٤) .**

أي أن عملية التأصيل ـ كغيرها من الأهداف الموجهة ـ تتطلب أن يتمتع الباحث في دراسة تاريخ التربية بمؤهلات خاصة يأتي على رأسها الإخلاص في البحث طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى ، والصدق في التعامل مع المادة التاريخية وتمحيصها ، ودراسته للواقع التربوي الذي يؤثر في الناس ويوجه سلوكهم ، وأخذ الظروف المتباينة التي مرت ، وتمر بها المجتمعات الإسلامية بعين الإعتبار على أن يتم كل ذلك في ضوء نظرة نقدية تحليلية للمتغيرات القابلة للتجديد والتبديل بحسب اختلاف البيئات والأوساط ، مع احترام الثوابت الإسلامية التي تعلو على البيئات والأزمان ، والتي في مقدمتها العقيدة الإسلامية ، والقيم العليا .

وبما أن التأصيل عملية تمييز بين الثابت والمتغير في ضوء الإسلام ، فإنه يعني في هذه الدراسة التأسيس الجيد لتاريخ التربية داخل إطار من المبادىء العامة التي تكوِّن نسقاً من الأفكار المتماسكة المشتقة من الكتاب والسنة ، والمدعمة بالخبرات والاجتهادات لعلماء المسلمين ، بعيداً عن التناول الخطابي الإنشائي المدحي أو القدحي ، كما هو بعيداً عن طابع التجريد النظري الذي يتجاهل خصوصيات التربية ، ووقائع الممارسة ، وتبايناتها في القوة والضعف تبعاً لما مرت به المجتمعات الإسلامية من ظروف تاريخية وأحوال ثقافية **(قمبر : دراسات تراثية في التربية الإسلامية ، ص ٩) .**

وعليه فإن دراسة التربية الإسلامية في تاريخها يجب أن تكون من داخل الحضارة الإسلامية ، بصفة التربية مرآة عاكسة لتلك الحضارة ، وهدف التأصيل لتاريخ التربية يحقق وصل حاضر المسلمين بماضيهم الذي صلح به أولهم ، وهو ما سيصلح به آخرهم .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن عملية التأصيل في الميدان التربوي ـ بل الثقافي كله ـ تلازمها عملية التجديد ، والتي تعني الأخذ بالجديد في الميدان العلمي شريطة ألا يتعارض مع العقيدة ، والقيم والأخلاق الإسلامية ، والعلم في المنظور الإسلامي ، وما شُرع الاجتهاد في الإسلام إلا ليُعْمِلَ المسلم عقله ويسخر تفكيره فيما يعود عليه بالنفع المتجدد في أمور دينه ودنياه ، كما أن التجديد يحتاج إلى التفاعل بين خبرات الأمم فيما لا يؤثر على الثقافة والمباديء والقيم الإسلامية (**خياط : الجامعات الإسلامية ، ص ٩٤ ـ ٩٥**).

وهذا ما يجب أن يأخذه الباحث المسلم بعين الاعتبار في دراسته لتاريخ التربية عند الآخرين من منظور الإسلام ، وفي ضوء تفسيره للتاريخ ، ليتحقق إثراء التربية بكل صالح مفيد .

٥ ـ هدف التفسير والتعليل :

من الأهداف المهمة لدراسة تاريخ التربية ـ كما هو التاريخ عموماً ـ « السعي للوصول ـ بقدر المستطاع ـ إلى معرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى حدوث الوقائع التاريخية » (**عثمان : منهج البحث التاريخي ، ص ١٨٥**) ، بمعنى الاهتمام بتفسير وتعليل القوى والعوامل المؤثرة في الظواهر التاريخية .

وإن كان هذا القول عاماً فإن من يطمح إلى توجيه دراسة وكتابة تاريخ التربية في ضوء الإسلام ، لا بد أن تكون طريقته لتحقيق هذا الهدف منطلقة من الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الظواهر التاريخية التربوية وغيرها ، إضافة إلى

العوامل والسنن الأخرى المؤثرة في حركة التاريخ ، إذ أن المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ منهج يشمل كافة الدوافع والقيم ، ولا يقف أمام حدود الواقع المادي المحدود الظاهر للعيان بل يتيح للباحث والكاتب المسلم الفرصة لرؤية بعيدة يستطيع في ضوئها أن يقدم تقييماً حقيقياً وشاملاً ، يأخذ في الحسبان مدى أثر العوامل الروحية والمادية والنفسية المحيطة بالإنسان وتربيته ، مع مراعاتها والاعتراف بها كافة بلا تضخيم لبعضها أكثر من حجمه ، وقبل تلك العوامل ومعها وبعدها قَدَرُ الله جل جلاله ، وأمره النافذ الذي لا رادّ له .

وهذا سر المفارقة بين المنهج الإسلامي والمناهج الوضعية التي اعتمدت في تفسيرها وتعليلها للتاريخ على التفسير العرقي أو الجغرافي أو الاقتصادي أو النفسي ، دون أي حساب لكافة السنن المؤثرة في حركة الأحداث التاريخية ، بل يكتفي كل منهج بعامل واحد ويضخمه ثم يفسر به تاريخ الإنسان كله (**آمحزون : منهج التفسير التاريخي ، مجلة البيان ، ع ٧٤ ، ص ٢٦**) .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف لا بد من ملاحظة جميع العناصر الفاعلة في الحدث التاريخي روحية ومعنوية ومادية ، خاصة أن الإنسان ـ وهو موضوع التربية ـ ذو أبعاد فسيحة وأغوار عميقة من غير الممكن سبرها أو التعرف عليها دون الرجوع إلى الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة ، وما تضمناه من سنن ربانية تتعلق بالإنسان والمجتمع ، وبناء على هذا فإن تفسير أية ظاهرة تربوية وتعليلها بعلة فردية أمر مجانب للصواب ، وبعيد عن نور الهداية الإسلامية ، ويمكن أن يؤخذ الدرس التربوي من موقعة بدر الكبرى مثالاً على ذلك ، فهل كان هناك سبب واحد أدى إلى انتصار المسلمين في تلك المعركة ؟ أم أن هناك أسباباً متعددة تظافرت ليتوج بها المسلمون انتصاراتهم على أعدائهم الذين يفوقونهم عدداً وعدة .

إن على المؤرخ التربوي المسلم أن يتأمل ذلك ، وأن يستقرىء تلك الظاهرة ويدرسها من كافة الجوانب وسوف يهتدي لا محالة إلى أن عدة أسباب ساهمت بأمر

الله تعالى ، وحسن تدبيره في ذلك النصر المؤزر الذي مثّل الحدث الفاصل في تاريخ الإسلام ، والتي من بينها :

* رسوخ العقيدة في نفوس المجاهدين المسلمين التي وحدت هدفهم وحددته ؛ وهو نشر الإسلام حتى يكون الدين كله لله امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال : ٣٩) ، ولتكون كلمة الله هي العليا تحقيقا لقوله عز وجل : ﴿ .. وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا .. ﴾ (التوبة : ٤٠) .

* معنوية المسلمين كانت على درجة عالية جداً في بدر ، تدعمها ثقتهم الأكيدة بنصر الله وتحقيق وعده الصادق المبلغ لهم على لسان رسوله ﷺ : « سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني انظر إلى مصارع القوم » (من رواية ابن اسحاق باسناد صحيح) (**العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ٢ / ٣٥٩**) .

* مشاورة النبي ﷺ لأصحابه منذ خروجه إلى بدر في العديد من الأمور ذات العلاقة بالمعركة ، امتثالاً للتوجيه الرباني القائل ﴿ .. وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ .. ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

* القيادة الحكيمة لرسول الله ﷺ ، وهي ما يعبر عنها في العصر الحديث « بالتعبئة الجيدة » فقد نظم ﷺ جيش المسلمين ، واستفاد مما يمكن تسميته بدوريات الاستطلاع لمعرفة عدد العدو ، وجمع المعلومات عنهم ، مع لجوئه الصادق إلى ربه سبحانه بطلب النصر (**المرجع السابق : ٣٩٧/٢ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤١١**) .

* تعرف القائد ﷺ على أرض المعركة واختيار المواقع المناسبة وسيطرته على موارد المياه ، وتغوير القُلُب[1] التي جهة العدو (**ابن كثير : السيرة النبوية ، ٤٠٢/٢ ، ٤٠٣**) .

هذه بعض الأسباب الظاهرة التي ساهمت بإذن الله في انتصار المسلمين يوم بدر ، والتي لا يمكن تصورها التصور الصحيح ، إلا عن طريق الوحي المعصوم من الكتاب والسنة ، وتفسير الوقائع التاريخية في ضوئه .

---

(١) جمع قَلِيب ، والقليب : البئر (**الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ، ٣ / ٦٧٢**).

« فبواسطة التلقي من الوحي يعرف المسلم هذه (الأسباب) ، ويعرف قدر كل [سبب] وقيمته وتأثيره في النفس ، والنِّسب الصحيحة للعلاقات بين تلك [الأسباب] ، جميعاً ؛ لأن مصادر تلقيه من لدن الله جل وعلا ، الحكيم الخبير الذي يعلم خبايا النفس الإنسانية ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض أو في السماء » (**آمحزون : منهج التفسير التاريخي ، البيان ، ع ٧٤ ، ص ٢٨**) .

وهكذا فإن دراسة أحداث التاريخ الإسلامي التربوية تكتسب أهمية واضحة في ضوء هذا الهدف الذي بدونه تصبح تلك الدراسة مجرد سرد للأحداث فقط ، كما قد يكشف هذا الهدف عن تفسير للواقع المعاش ـ تربوياً ـ وعن الممارسات التربوية المعاصرة التي قد لا تعرف أسبابها إلا عن طريق التفسير الإسلامي الذي يعني الوعي الواسع للواقع ، والكشف عن فعاليات التاريخ .

٦ ـ هدف استكشاف المآلية وتكوين صورة مستقبلية :

تساعد دراسة الظاهرة التاريخية على الخروج بتعميمات محدودة وخاصة ، ذات قيمة في فقه الواقع وظواهره وأحداثه ، وتحديد علاقة تلك الأحداث والظواهر ببعضها ، وبناء على ذلك يمكن التوصل إلى استكشاف غير ملزم ، بما سيحدث مستقبلاً لأنه يعبر عن وجهة نظر المؤرخ بناء على مقدمات درسها في مآلية تلك الظاهرة بعد التحليل والتعليل والتفسير ، حيث تعطيه تلك السلسلة من الإجراءات الحق في التعبير عن « العناصر الدائمة التي تختفي وراء الأحداث المعاصرة التي تسترعي النظر » (**عبد القادر : فلسفة التاريخ ، ص ٤٢ ـ ٤٣**) .

ويؤكد بعض التربويين على أن في التاريخ « قوانين تحكم الأحداث والظواهر وتوجهها الوجهة التي يقتضيها منطق القانون[١] ، والخروج على هذه القوانين [السنن] أو الانسجام معها هو كالخروج على قوانين التنفس والغذاء وقوانين ضغط الغازات أو الانسجام معها ، والذين يتقنون هذه

---

(١) هكذا ، ولعل المقصود : الوجهة التي تقتضيها السنن الإلهية ـ تمشياً مع التعبير القرآني ـ وهذا حق . أما الإستمرار في الحياة والتفوق في ميادينها فهو متعلق باتباع السنن وينالون من النتائج بقدر ما يبذلون من الجهد ولكن إلى أجل .. والله أعلم .

القوانين وتطبيقها هم الذين يستمرون في الحياة ويتفوقون في ميادينها »
(الكيلاني : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا تحرروت القدس ، ص ٢٦٧) .

والحقيقة أن دراسة وفهم سنن الله تعالى التي بينها القرآن أو بينها الرسول ﷺ يعتبر من الأمور الواجبة في الإسلام ، لأنها تبصر الإنسان بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا يقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة ، وبذلك ينجو مما حذر الله سبحانه وتعالى منه ، ويظفر بما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين المتقين ، وقد قال الله عز وجل ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل : ٨٩) ، وقال تعالى مؤكداً لسننه الإلهية وعدم تبديلها وتحويلها ﴿ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ) (الأنفال : ٣٨) ، (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٧) ﴿ .. سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾ (الأحزاب : ٣٨) ، ﴿ ..فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (فاطر : ٤٣) .

وسنن الله تعالى التي تحكم العالم منها ما يتعلق بسلوك البشر وأفعالهم في الدنيا وما يترتب عليها من نتائج في الدنيا والآخرة ، ومنها ما يتعلق بالأشياء والظواهر والأحداث المادية ، والتعرف عليها ضروري لتفسير التاريخ تفسيراً إسلامياً شاملاً .

ولذا فإن هذا الهدف له ارتباط وثيق بهدف التفسير والتعليل حيث لا بد أن تكون وجهات نظر الباحث المسلم في استكشاف مآلية الظاهرة التربوية التي يدرسها قائمة على التفسير الإسلامي للتاريخ حيث ينظر الى الأحداث التاريخية المختلفة التي مرت بها المجتمعات الإسلامية في مختلف العصور في ضوء مفهوم السنن الإلهية .

وهنا تبرز ميزة المنهج الذي يفسر به الباحث المسلم التاريخ عن أصحاب المذاهب والنظريات الوضعية الذين يقوم تفسيرهم لحركة التاريخ ومآلياتها على تخمينات وافتراضات بمعزل عن القوة الإلهية التي تتحكم في سير هذه الحركة .

وبعد .. فإن البحث في تاريخ التربية الإسلامية ـ خاصة ـ قد يحقق أهدافاً أخرى كثيرة كتصحيح مفهوم العلم كما يراه الإسلام ، والتحرر من العبودية الفكرية ، وتحقيق التناسق بين المادة والروح أو عالم الغيب والشهادة في وحدة تربط الكون بخالقه ، وبالتالي إعادة ثقة العالم الإسلامي بنفسه إذا اتبع المنهج العلمي الذي تميز به الإسلام ، والذي قامت عليه حضارته التي لا نظير لها في تاريخ الأمم ، فإنه جدير بأن يجدد هذا الكيان الحضاري ويرد البشرية الى جادة الصواب . وهذا ما نؤمن به في التوجيه العلمي الذي نصبو إليه في توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً ، والذي لا بد من بذل الجهد في سبيل تحقيقه بثقة تامة من الشخصية الإسلامية وأهليتها لتحقيق ذلك الهدف الكبير ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (يوسف :٢١) .

وخلاصة القول أن التوجيه الإسلامي لأهداف دراسة تاريخ التربية يمكن تحقيقه في ضوء المعايير التالية :

١ ـ التركيز على معرفة مدى قرب أو بعد تلك التربية في أي عصر من العصور من الهدف العام للتربية التي جاء بها الإسلام من أجل تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ، ويعمر الأرض وفق شريعته . وهذا هو المعيار الأساسي ، ومنه تنطلق بقية المعايير .

٢ ـ عدم الاكتفاء بسرد الوقائع التاريخية التربوية أو تفسيرها في ضوء عامل واحد ، بل لا بد من إبراز الأسباب والعوامل الكامنة وراء حالات السمو والارتقاء في تاريخ التربية ، أو حالات الانحطاط والجمود أو التدهور ، مع إعطاء تقييم شامل

لذلك في ضوء توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، للوصول إلى إستخلاص العبرة من ذلك التأريخ .

٣ ـ الاهتمام بالتوجيه الإسلامي لأهداف البحث التاريخي في التربية التي سبق تفصيلها والمتمثلة في التحليل ، والتجميع والتركيب ، والتوضيح وإزالة التغميض والتعتيم الفكريين ، والتأصيل ، والتفسير والتعليل ، واستكشاف المآلية وتكوين الصورة المستقبلية للمسيرة التربوية .

وحيث أن التوجيه المطلوب لأهداف تاريخ التربية يفتقر إلى محتوى موجه هو الآخر توجيهاً إسلامياً يقوم على تحقيق تلك الأهداف ، فإن الباحث سيتجه ـ بإذن الله تعالى ـ في الفقرة التالية إلى دراسة التوجيه الإسلامي لمحتوى تاريخ التربية والمعايير التي ينبغي اتباعها في اختياره .

ثانيا : التوجيه الإسلامي للمحتوى :

(أ) أهمية التوجيه الإسلامي لمحتوى التاريخ :

إذا ما رام المسلمون أن يوجهوا تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً بحيث يحقق الأهداف المنشودة ، فإن عليهم أن يعتمدوا على تاريخ عام للأمة موجهاً هو الآخر توجيهاً إسلامياً ، فهو الأصل الذي يتفرع منه تاريخ التربية .

ولقد كان تاريخ الإسلام شاملاً جامعاً نقياً حتى جاء النفوذ الاستعماري فحاول تمزيقه وتشويهه تحت أسماء التاريخ الوطني ، والتاريخ القومي ؛ هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية حاول أعداء الإسلام انتقاص عناصر قوة التاريخ الإسلامي ، وجوهر حيويته بالتفسير المادي للتاريخ الذي يعتمد على العناصر المادية وحدها ،

ويتجاهل القوى الروحية والمعنوية ذات الأثر البالغ في تحقيق النصر ، وتأكيد الذات ، وحماية الزمان ، وانطلت تلك الأمور على بعض أبناء المسلمين ، وغاب عنهم أن

« للمسلمين منهجهم الأصيل والمتميز في دراسة التاريخ وفهمه ؛ ذلك أن التفسير الإسلامي للتاريخ يجعل الإنسان ومن ورائه قدرُ الله تبارك وتعالي هو المؤشر الأول في خط سير التاريخ ، وفي الأطوار التي تتقلب فيها الحياة ، كما يجعل كل تغير وكل تطور إنما يبدأ أولاً من إنماء ا لمسلم وعقله ، ثم يتخذ طريقه للتحقق في عالم الواقع باعتبار أن الإنسان هو الكائن المستخلف في الأرض الذي ينفذ قدر الله [فيها] من خلال سعيه وحركته » (**الجندي: نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ،ص٨٦**) .

بمعنى أن فهم المسلمين لمحتوى التاريخ يجب أن يرتبط بقدرة الله سبحانه وتعالى في بناء الأفراد والأمم وقيام الحضارات وزوالها ، وأن يقوم هذا الفهم على إطار ثابت ثبات الفطرة الإنسانية ، وثبات سنن الحياة ؛ أي يجب أن يكون منطلقهم في هذا الفهم من المنهج القرآني الذي أنزله الحق تبارك وتعالى ودعا فيه عباده الى النظر في آثار الأمم السابقة ، والتعرف على أسباب زوال تلك الأمم التي خرجت عن المنهج الرباني . وكثيرة هي الآيات القرآنية التي رسمت موقف الإسلام من التاريخ والحضارة والمجتمع ، وموقف الإنسان من بناء الحضارة وصناعة التاريخ ، ولا بأس أن يشير الباحث إلى أمثلة لها كقوله تعالى :

* ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِم .. ﴾ (الرعد : ١١) .
* ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٥٣) .
* ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٧) .
* ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ (القصص : ٥٨) .

* ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الروم :٩) .

* ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ (الروم : ٤٢) .

* ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق : ٣٦ ، ٣٧) .

وقد سبقت الإشارة إلى أن تاريخ التربية قد تأثر بما تعرض له تاريخ الإسلام على أيدي المستشرقين ومن سار في ركابهم وعلى منطلقاتهم الخاطئة ، وفي سبيل التوجيه الإسلامي للتاريخ لا بد من التصدي لتلك المنطلقات ودحضها في ضوء التصور الإسلامي ، ومن فضل الله تعالى ومنته أن قيض لهذا الأمر من يؤدي بعض واجبه من أبناء المسلمين ، وإن كانت الجهود لا تزال فردية ولكن فيها خير ، فعلى سبيل المثال تضمن كتاب (**أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ**) لمؤلفيه (**جمال عبد الهادي محمد مسعود ورفيقته**) تفنيداً لبعض تلك المغالطات وقد أبرزا في مقدمته النقاط التالية :

« ١ ـ أن الإنسان مخلوق مكرم بنفخة من روح الله ، والبشر جميعاً ينسبون لآدم عليه السلام .

٢ ـ الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم (ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ١ / ١٨٦) .

٣ ـ البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة لا تبدأ فقط ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ترجع إلى زمن خلق آدم مسلماً موحداً .

٤ ـ فساد منهج ومصادر ومراجع ما يسمى « بالتاريخ القديم » التي تتجاهل بضعة آلاف من السنين من تاريخ الأمة المسلمة وقد حولته إلى تاريخ وثني جاهلي محض لا أثر فيه لدعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام ، وهي التي تقسّم أيضاً تاريخ البشرية إلى قديم ووسيط وحديث .

٥ ـ مناهج ومصادر ومراجع ومادة ما يسمى بالتاريخ القديم (للجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام « سورية وفلسطين » ومصر وإيران وتركيا وأوربا) يقوم في أغلبه على منهج معاد للدين الإسلامي ولرسله وأنبيائه .

٦ ـ فساد منهج مقارنة الأديان .

٧ ـ ضرورة الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية عند التأريخ للأمة المسلمة منذ أقدم الدهور .

٨ ـ استبعاد التوراة والإنجيل والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية عند التأريخ للأمة المسلمة ...

٩ ـ عدم جواز تلقي المسلم عن غير المسلم فيما يتصل بتفسير بواعث النشاط الإنساني وبحركة التاريخ الإنساني والإسلام .إلى غير ذلك من الظواهر الاجتماعية » (ص : أ ، ب) .

والحقيقة أن هذه النتائج جديرة بالاهتمام وأن يأخذها بعين الاعتبار كل من يريد الكتابة في تاريخ التربية من أجل أن يأتي محتوى كتابته سليماً ، ومتمشياً مع التصور الإسلامي .

ومن علماء المسلمين المعاصرين الذين دعوا لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي من منظور إسلامي الشيخ (**محمد قطب**) حيث يقول موضحاً عظم تلك المهمة والحاجة إليها ، وضخامة الجهد اللازم لانجازها :

« إنها أضخم من أن تكون جهد أفراد متفرقين في جيل من أجيال المسلمين ، إنما هي في حاجة إلى جهد جماعي منظم تقوم به مؤسسات متخصصة على مدى قد يمتد بضعة أجيال .. فَسُجِلٌ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان ، حافلة بالأحداث والوقائع والشخصيات ، حافلة بالأمجاد الشامخة والبطولات

الفذة كما هي حافلة بالانتكاسات المؤسفة والنكبات المريرة . والشخصيات المنحرفة ، متداخلة كلها في نسيج واحد .. هذا السجل يضني من يقوم بتمحيصه وإعادة كتابته ، ولو احتشدت له الأجيال .

ومع ذلك فلا بد من القيام بهذا العمل الضخم ، رغم المشقة البالغة فيه ، فإنه ما من أمة تستطيع أن تعيش بلا تاريخ ... تاريخ ممحص محقق ، ميسر التناول على جميع المستويات ، من الطفل الدارج في أول الطريق إلى الباحث المتخصص في آخر الطريق » (**قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟ ص ٧ ـ ٨**) .

وقد بذل المؤلف جهداً طيباً في إبراز المنهج الذي رأى أن تعاد على أساسه كتابة التاريخ الإسلامي ، كما أبدى مجموعة من الأمور المهمة التي ينبغي لفت الانتباه إليها عند إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ومنها :

١ ـ أن المصادر الإسلامية القديمة التي صنفها كبار المؤرخين المسلمين فيها ذخيرة ضخمة من الأخبار والوقائع والروايات ، فهي تصلح زاداً للباحث المتعمق ، ولكنها ـ بصورتها الراهنة ـ لا تصلح للقارىء المتعجل الذي يريد أن يجد الخلاصة جاهزة ممحصة ، سهلة الاستيعاب ، سهلة الهضم .

٢ ـ معظم المراجع الحديثة التي تأثرت بمنهج المستشرقين في صورة جذابة مغرية بالقراءة ... ولكن عيبها ـ من الناحية المنهجية ـ أن أغلبها بعيدة عن الأمانة العلمية الواجبة ، فهي ملونة تلويناً خاصاً لتحقيق هدف معين ، تُكنّه صدورٌ لا تحب الخير لهذا الدين حملها على الكذب ، ولَيِّ أعناق النصوص ، والتركيز على التاريخ السياسي للمسلمين ، على حساب بقية مجالات الحياة الإسلامية : العقدية والفكرية ، والحضارية ، والعلمية ، والاجتماعية .. والحقيقة أن التاريخ السياسي للمسلمين هو أسوأ ما في تاريخهم كله ، والتاريخ الإيماني هو مرجع الأمر كله .

٣ ـ أن الأمة الإسلامية ذات وضع معين في التاريخ ، فهي أمة الرسالة الخاتمة ، التي حملت رسالة الرسول الخاتم ﷺ ، الذي أُرسل إلى البشرية كافة وإلى قيام الساعة ، وهي بهذه الصفة خير أمة أخرجت للناس ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾ (آل عمران : ١١٠) ، وخيريتها مستمدة من الرسالة التي أخرجت من أجلها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..﴾ (آل عمران : ١١٠) ، ومن ثم تتحقق لها صفة الخيرية طالما كانت قائمة برسالتها ، وتزول الصفة عنها كلما فرطت في أداء الرسالة .. وتاريخها دائماً هو « تاريخ الأمة الإسلامية » ، ومعياره الدائم في أي حقبة من حقبه هو هذا المعيار : هل كانت الأمة قائمة برسالتها ، وعلى أي نحو كان ذلك ، وعلى أي مستوى ؟ أم كانت مجافية لرسالتها ، متقاعسة عنها ، ناكلة عن مقتضياتها ، وعلى أي نحو كان ذلك ، وعلى أي مستوى ؟

٤ ـ أن التاريخ ليس مجرد أقاصيص تحكى ، ولا هو مجرد تسجيل للوقائع والأحداث .. إنما يُدْرَسُ التاريخ للعبرة .. ويدرس للتربية .. تربية الأجيال إذ كل أمة من الأمم تعتبر درس التاريخ من دروس التربية للأمة ، فتصوغه بحيث يؤدي مهمة تربوية في حياتها ... ومن بديهيات التوجيه التربوي لدراسة التاريخ الإسلامي أن يخرج أجيالاً مسلمة ، تعرف حقيقة دينها ، وتتمسك به ، وتعمل على إحيائه في نفوسها وفي واقع حياتها .

٥ ـ أن التوجيه التربوي المطلوب من دراسة التاريخ ليس هو الزهو الفارغ بالأمجاد .. فهذا شأن التوجيهات الوطنية والقومية وهي توجيهات جاهلية منحرفة ، لا تربي « الإنسان الصالح » الذي يهدف الإسلام إلى تربيته ، إنما « الانسان الصالح » هو الذي يزن الأمور بميزان الله ، ويرجع في حكمه على الأمور إلى حكم الله ..

(المرجع السابق ، ص ٣٥) .

(ب) أهمية التوجيه الإسلامي لمحتوى تاريخ التربية :

هذا عن محتوى التاريخ الإسلامي ـ بصفة عامة ـ ولا بد من الاستفادة من تلك الحقائق المهمة لمن يريد توجيه محتوى تاريخ التربية ؛ الذي نجد أن الفكر التربوي الإسلامي المعاصر يعكس شعوراً قوياً بضرورة توجيهه توجيهاً إسلامياً ، وإن كان هذا الشعور شيء والقدرة على صياغة محتوى تربوي إسلامي مناسب ، وتصميم بنية أو بنى تربوية جديدة قادرة على تحقيق هذا التوجيه الإسلامي شيء آخر ولكنها خطوة في الاتجاه الصحيح ، وسوف تورد الدراسة بعض الأمثلة على هذا الشعور :

ـ يحذر أحد المربين من خطورة الاعتماد على الكتاب الغربي ـ كما هو قائم الآن في بعض الجامعات في العالم الإسلامي ـ خاصة في العلوم الإجتماعية والتي منها التربية الإسلامية وتاريخها موضحاً أن معظم تلك الكتب سلبي الاتجاه شديد الخصومة فيما يخص الإسلام والمجتمعات الإسلامية .. حيث اتخذت الكتب أسلوباً في الغزو الفكري بما تحمله من تشويه للإسلام وحياة المسلمين في مختلف جوانبها .. بل إن تلك الكتب تحاول بطرق خبيثة الطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والتاريخ الإسلامي ، ومن خلالها تُبَثُّ الأفكار الإلحادية والنظريات والمبادىء المخالفة للإسلام وأحكامه وتعاليمه . وقد اتبعت تلك الكتب سياسة التفريغ والملء بسعيها إلى تشكيك المسلمين في عقيدتهم وتاريخهم وعلمائهم وتراثهم الفكري من أجل أن ينبذوه ، وبالتالي يفسح المجال للأفكار والمبادىء الغربية الألحادية المضللة ، وقد دعا هذا المربي إلى العناية بمحتوى الكتاب الجامعي ، الذي يجب أن ينبع من العقيدة الإسلامية ، والفكر الإسلامي (**خياط : الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، ص ٤٩**) .

ـ ويقول مرب آخر « إن العالم التربوي المسلم .. عندما يتناول علماً من العلوم التربوية ، المطلوب منه أن يظهر ذاتيته وثقافته الإسلامية ، فيما يعرض له من موضوعات وقضايا هذا العلم ، فتاريخ التربية أو تطور الفكر التربوي مثلاً لا

بد أن يبرز رأي الإسلام في القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شكلت هذا الفكر عبر العصور . ومدى اتساق هذا الفكر أو عدم اتساقه مع المنظور الإسلامي . كذلك فإن المساحة المخصصة لدراسة العصر الإسلامي لا بد أن تتناسب مع هذا العصر من الناحية الحضارية والإنسانية العامة ، على ألا يعني ذلك على الإطلاق عدم تقييم النتاج الفكري والتربوي لهذا العصر على ضوء الأصول الإسلامية الثابتة من القرآن والحديث الشريف » (**النقيب : التربية الإسلامية رسالة و مسيرة ، ص ١١٥**) .

ويشكو الندوي من قلة الكتب التي تجمع بين جدة الإطلاع ، وغزارة المادة ومتانة البحث وبين إثبات العقيدة الإسلامية ، وبيان مكانة العلم في الإسلام ، فيقول : « لقد فات (المجتمعات) الإسلامية هذا الإنتاج العلمي ا لذي كان المجتمع الإسلامي .. في أشد الحاجة إليه » (**الندوي : نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية ، ص ٩٦**) ، كما رأى أخذ النظريات التربوية التي ظهرت في الغرب والشرق على أنها تجارب بشر يصيب ويخطىء ، ويبصر ويعمى ، لا على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشري ، ولا بد من تجريدها مما اقترن بها ـ في غير لزوم ولا مبرر ـ من عوامل الإلحاد والإفساد ، والاستخفاف بالقيم الأخلاقية ، وتؤخذ نقية صافية مهذبة منقحة ، وتطعيمها بالإيمان بالله تعالى والنظر العميق إلى الكون ، لتكون العلوم والدراسات وسيلة للعلم والحكمة وسبيلاً إلى الإيمان والمعرفة تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً .. ﴾ (آل عمران : ١٩١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ .. ﴾ (فاطر : ٢٨) (**المرجع السابق ، ص ٧٢ ، ٧٣**) .

ويقترح أبو الأعلى المودودي منهجاً جديداً في التربية والتعليم ، وينتقد المنهج التربوي الذي يقدم العلوم والمعارف من وجهة النظر (اللاربانية) ـ كما يسميها ـ مؤكداً « أن الفلسفة وعلوم الطبيعة والتاريخ والعلوم السياسية والإقتصاد ، وكل العلوم التي تبدو للناس في عصرنا هذا كاملة ، إنما هي من ثمرات البحوث والتجارب والدراسات التي قام بها علماء الغرب (اللادينيون) وأن نظرتهم إلى

الكون والحياة ـ هذه النظرة التي تتعارض بطبيعة الحال مع نظرة الشرائع الإلهية ـ تتغلغل في هذه العلوم وتطبعها بطابعها إلى درجة يستحيل معها على معلم أو متعلم أن يفصل الحقائق عن الأوهام ثم يعيد ترتيب هذه العلوم على أساس جديد يتفق مع وجهة نظر الأديان السماوية » ، ثم ينهي حديثه في هذه النقطة قائلاً : « كيما يحدث التغيير المطلوب في قيادة البشرية فإن الوسيلةالوحيدة هي إقامة منهج جديد للتربية والتعليم يختلف كل الاختلاف عن الأنظمة القائمة من حيث الغايات والوسائل بل يختلف معها من بداية الطريق حتى نهايته »(**المودودي : منهج جديد في التربية والتعليم ، ص ٣٦ ـ ٣٧**) .

وفي ضوء هذه الحقائق الآنفة الذكر يتضح مدى الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لمحتوى التاريخ بصفة عامة ، ولمحتوى تاريخ التربية بصفة خاصة في المجتمعات الإسلامية . الأمر الذي يحتاج إلى اقتراح معايير إسلامية يمكن الاستناد إليها في بناء المحتوى ، وقد برزت على الساحة آراء جديرة بالاحترام والتوظيف فهي تمثل توجهات إسلامية قيمة تهدف إلى توجيه المحتوى الذي ينبغي أن يكتب ، ويُدَرَّس لأبناء المسلمين في تاريخ التربية وسوف يستعرض الباحث نماذج من تلك الآراء في الصفحات التالية :

(جـ) معايير اختيار المحتوى :

في مجال توجيه المحتوى في التاريخ بصفة عامة يقترح اسحاق فرحان وزملاؤه المعالم التالية :

١ ـ يجب أن تبنى كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه على أساس معايير محددة في حياة البشر والمعيار الأساسي لكل الفعاليات البشرية هو مدى الاهتداء أو الانحراف عن سبيل الله تعالى . وهذا يستلزم التأكيد على بيان الأثر لكل من هذين الاتجاهين في واقع التاريخ الإسلامي .

٢ ـ تتطلب صياغة التاريخ إبراز مسيرة الأمة الإسلامية الواحدة ، بما يوضح خط سيرها في جميع الأقطار ، والأعصار ، لكي يتضح أن فترات التشرذم إلى

قوميات وإقليميات ، ما هي إلا حالات ضعف ، كان سببها الابتعاد عن مفهوم الإسلام ، وأمة الإسلام الواحدة ، صاحبة الرسالة العالمية .

٣ ـ الحذر من الوقوع في الخطأ الفادح المتمثل في بناء مناهج التاريخ الإسلامي على أساس الأسماء والأشخاص والأرقام والتواريخ ، دون ربط ذلك بالمسيرة التاريخية لتطور الفكر الإسلامي ، وبالإنجازات الحضارية الإسلامية ، وما قدمته هذه الحضارة للبشرية على مر العصور ، وعلى هذا الأساس يجب أن تصاغ مناهج التاريخ الإسلامي .

٤ ـ يجب أن تتم صياغة التاريخ الإسلامي على أساس تبويب متميز يبين فيها عصر النبوة ، وعصور الفتح ، والإزدهار العلمي ، ثم عصر مقاومة التحديات الحضارية وهكذا للبعد بالمتعلم عن التيه والإرباك حول المسيرة التاريخية الإسلامية . بعيدا عن اتخاذ الإطار الزمني للتاريخ الغربي مقياساً لأحداث التاريخ الإسلامي ، الأمر الذي أوقع الكثيرين في تشويه الحقائق ، والبعد عن الموضوعية (**فرحان و آخرون : نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية ، ص ٨١ ـ ٨٢**) .

ويرى أحد المربين أن محتوى مقرر التاريخ يجب أن يكون صادقاً ، بحيث يتضمن الحقائق التاريخية ، والقوانين التي تفسر تلك الحقائق ، كما يعني صدق المحتوى في مقرر التاريخ تعريف المتعلمين بخصائص الطريقة التاريخية ، من أجل اعانتهم على تحليل الأحداث واستنباط النتائج (**عبد الله : المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، ص ٩٤ ، ٩٥**) .

هذا فيما يخص معايير محتوى كتابة التاريخ الإسلامي العام ، ويدخل فيه ما يخص تاريخ التربية ، أما على صعيد التوجيه الإسلامي لمحتوى الكتاب التربوي فيمكن إيراد النماذج التالية :

* يرى محمد جميل بن علي خياط أن الكتاب الجامعي الذي يقرر في الجامعات العربية والإسلامية « يجب أن يساهم في إثراء الفكر الإسلامي وتعميقه في نفوس الدارسين ، وأن تكون مادته كما أسلفنا مبنية على أساس توضيح العلاقة بين محاور ثلاثة : الله (سبحانه وتعالى) ، الكون ، الإنسان ، وبموجب ما ورد في الشريعة الإسلامية » (**خياط : الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، ص ٣٨**) . وقد حدد المعايير المطلوبة في الكتاب الجامعي فيما يلي :

١ ـ أن يخدم أهداف التربية الإسلامية وفي مقدمتها تعزيز الإيمان بالله سبحانه وتعالى في نفوس الدارسين ، وبناء الشخصية الإسلامية المتزنة .

٢ ـ أن تكون المادة المكتوبة (المحتوى) نابعة من الفكر الإسلامي ومتمشية من حيث المبدأ مع التعاليم الواردة في الكتاب والسنة .

٣ ـ أن لا يحتوي الكتاب على أفكار هدامة أو مناوئة للإسلام والمسلمين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

٤ ـ أن لا تؤدي المادة المكتوبة به (المحتوى) إلى إثارة الشكوك في العقيدة أو بلبلة الفكر أو إلى الجدل الذي لا طائل من ورائه ، في نفوس الدارسين .

٥ ـ أن تكون أفكار (الكتاب) واضحة جلية لا تحتمل تفاسير متعددة ، ولا تؤدي إلى تأويلات مختلفة .

٦ ـ أن تكون كتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية صحيحة ، ومستخدمة في أماكنها .

٧ ـ أن تكون المادة العلمية ممتازة وتثري الدارسين في موضوع المادة .

٨ ـ أن تخدم المادة العلمية الأهداف الرئيسية من تدريس المادة .

٩ ـ أن تخدم المادةالعلمية التي يحويها (الكتاب) الأغراض العامة للمجتمع ، أي أنها تطابق الثقافة العامة للمجتمع وتتمشى مع عاداته وتقاليده [التي لا تخالف مبادىء الإسلام وقيمه] ، وأن لا تدعو لأي انحلال أو تفسخ .

١٠ ـ أن تكون المادةالعلمية في مستوى سن الطلاب الجامعيين .

١١ ـ يفضل أن يكون المؤلف شخصية إسلامية معروفة ويشهد لها بالصلاح . **(المرجع السابق ، ص ٢٩ ، ٣٠)** .

* ويقترح بشير التوم المعايير التالية لتوجيه المحتوى في العلوم التربوية :

١ ـ أن تكون الموضوعات التي تناقش ذات صلة بالتربية ، وبما يفيد المعلم عند أداء واجبه في المدرسة والمجتمع .

٢ ـ إعادة النظر فيما كتب في العلوم التربوية الغربية على أن يستفاد مما يتمشى مع المبادىء الإسلامية ويحذف ما يتعارض معها .

٣ ـ أن يقوم علماء التربية في العالم الإسلامي بإضافات جديدة كل في ميدان تخصصه .. ومن ذلك أن يتيح تاريخ التربية للدارسين المقابلة بين الماضي الإسلامي الزاهر والحاضر المتخلف ، وهذا يستوجب تقصي أسباب الضعف الداخلية والخارجية على حد سواء .

٤ ـ يجب أن يكون المحتوى صادقاً بل يجب أن يعكس حقيقة العلم الذي ينتمي إليه ، إذ لا شيء أخطر على الإسلام من السطحية . ومن ذلك أن الاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث دون إدراك صحيح لمقاصدها يضر أكثر مما ينفع **(التوم : تأصيل تربية المعلم ، ص ٤٤ ـ ٤٥)** .

وقد تبنى هذه المعايير عبد الرحمن صالح عبد الله وأضاف إليها قوله :

« أن المحتوى يجب أن يكون خالياً من المصطلحات والكلمات الأجنبية ، فلغة القرآن الكريم قادرة على ا ستيعاب سائر العلوم ، وقد أثبت التاريخ صدق

هذه الحقيقة ، ذلك أنه إذا لم تعتبر استعارة الكلمات الأجنبية مرضاً ، فهي أضعف الإيمان عَرض لمرض خطير اسمه الانبهار بالغرب وتقليده حتى في الكلمات المستخدمة دون مبرر » . (**عبدالله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ٣٥**) .

وبعد هذا الاستعراض لتلك الآراء حول معايير توجيه المحتوى في التاريخ ، وتاريخ التربية ، والكتابات التربوية عامة ، فإن الباحث يقرر تبنيه لها لقناعته بقيمتها ولما تؤديه من غرض مهم في التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية موضحاً أن على العالِم التربوي المسلم أن يُقبل على دراسة تاريخ التربية العالمي وما يتضمنه من منجزات علمية وتفسيرات وآراء تربوية محللاً وناقداً ، يستخلص منه أفضل ثماره ، ويوضح ما ينطوي عليه من انحرافات وأخطاء ، منطلقاً في ذلك كله من فكر إسلامي رصين يجعل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما كان عليه السلف الصالح مرتكزاً له في عملية الأخذ والرفض ، والنقد والبناء إلى أن يتحقق الهدف المنشود من تجديد كتابة تاريخ التربية في ضوء التصور الإسلامي للكون والإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع .

ويمكن إبراز معايير التوجيه الإسلامي لمحتوى كتابة تاريخ التربية في النقاط التالية :

١ ــ التركيز على المعيار الأساسي لكل الفعاليات البشرية وهو مدى الاهتداء ، أو الانحراف عن سبيل الله تعالى ، وإبراز الأثر لكل من هذين الاتجاهين في واقع تاريخ التربية .

٢ ــ الاهتمام بصدق المحتوى الذي يمكن تحقيقه في ضوء المعايير الآتية :

(أ) خدمة أهداف التربية الإسلامية ، وعلى رأسها ترسيخ الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وبناء الشخصية المسلمة المتزنة ، وأخذ العبرة من تجارب الآخرين .

(ب) وضوح الأفكار ، وجلاؤها ، مع اهتدائها بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومحاولة الإبداع والإضافة الجيدة في ضوء النصوص والاستعانة بفهم السلف الصالح .

(جـ) الإدراك الصحيح لمقاصد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والاهتمام بتوثيق الآيات ، وتخريج الأحاديث ، وبيان درجتها .

(د) البعد عن كثرة المصطلحات والكلمات الأجنبية ما أمكن ، ما لم يكن لذلك حاجة داعية .

ومن أجل تطبيق تلك المعايير في اختيار وتوجيه محتوى تاريخ التربية ، لا بد من الاهتمام بطريقة عرض هذا المحتوى ، وهي البعد الثالث المهم في عملية التوجيه الإسلامي ، وستكون موضوع الفقرة التالية إن شاء الله .

ثالثاً : التوجيه الإسلامي للطريقة :

الطريقة هي البعد الثالث المهم في التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية بعد الأهداف ، والمحتوى .

(أ) معنى الطريقة :

يميز بعض التربويين بين معنيين للطريقة :

* المعنى الأول : يدل على الكيفية التي يعرض بها المحتوى .

* والمعنى الثاني : يشير إلى الكيفية التي يتعامل بها المعلمون والمتعلمون مع المحتوى **(عبدالله : المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، ص ٩٨) .**

والذي يُهم الدراسة الحالية هو المعنى الأول حيث أن اختيار المحتوى وتحديد معاييره في ضوء الإسلام بحاجة إلى طريقة منظمة ، تقدم ذلك المحتوى وفق تتابع معين ، وأسلوب محدد ، وفي الوقت ذاته تعتبر طريقة عرض المحتوى من أهم أدوات تحقيق الأهداف .

ويسهم في تحديد الطريقة التي يعرض بها المحتوى عدة عوامل منها طبيعة المعرفة ، ونفسية المتعلمين ومستواهم العلمي ، والوسط الاجتماعي الذي يكتب له . مع الحرص على تطبيق القواعد والمعايير الإسلامية لتوجيه المحتوى ، والتي بدورها تنظر إلى العوامل المؤثرة في طريقة عرض المحتوى نظرتها الخاصة بها والمتمثلة في التكامل بين تلك العوامل وغيرها ، كما سيتضح في الصفحات التالية :

(ب) معايير طريقة عرض المحتوى:

يتمثل المعيار الأساسي للطريقة التي يكتب بها محتوى تاريخ التربية في قدرتها على الإسهام في تحقيق أهم هدف تركز عليه التربية الإسلامية وهو بناء الشخصية الإسلامية المتزنة التي ميزها الله تعالى واصطفاها على سائر المخلوقات كما قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسـراء : ٧٠) . ومن منطلق هذا التكريم فإن التربية الإسلامية تهدف إلى بناء المسلم القادر على العطاء والانتاج والابتكار على نور من ربه بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ .. ﴾ (الزمر : ٢٢) .

وهناك معيار آخر هو الشمول بمعنى أن محتوى تاريخ التربية ينبغي أن يعكس مختلف الطرائق المستخدمة في اكتساب المعرفة ، وأن لا يقف عند واحدة منها ، ولكن على الباحث في تاريخ التربية أن يعي حقيقة اختلاف المناهج المتبعة في اكتساب المعرفة مع التقاء المعارف الإسلامية في الهدف لأنها موصولة بإله واحد سبحانه . علماً أن دراسة تاريخ التربية ينبغي أن تعمق مدارك دارسيه ، وتبصرهم بطبيعة المنهج التاريخي لأهميته الأولى في هذا المجال .

والمعيار الثالث الذي ينبغي مراعاته في طريقة عرض المحتوى هو الموازنة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي (**عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ٣٦ ، ٣٧**) ، بمعنى أن المحتوى النظري لا بد أن يحقق توجيه العمل ،

فكما أن النظرية وحدها نوع من السفسطة والترف الفكري ، فإن العمل الذي لا يوجهه إطار نظري ضرب من الجنون على حد تعبير (**يوسف كمال**) في كتابه (**مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام ، ص ٢١٢**) .

فعلى سبيل المثال المحتوى الموجه توجيهاً إسلامياً لتاريخ التربية لا يكتفي بوصف الاتجاهات التربوية المنحرفة التي تخالف العقيدة الإسلامية بل يطالب الدارسين بالحذر منها ، والابتعاد عنها .

(جـ) قواعد ومعايير مهمة في طريقة عرض المحتوى:

ومهما يكن من أمر فإن طريقة عرض المحتوى لا بد أن تكون واضحة ومحققة للأهداف التي يطمح الباحث إلى تحقيقها من خلال دراسته وبما أن دراسة تاريخ التربية في حسّ المسلم مرتبطة بعقيدته ، وتمثل أداة من أدوات تحقيق العبودية الحقة لله عز وجل بإقامة منهجه واتباع سبيله فإنه يتوجب عليه أن يراعي بعض القواعد المهمة في طريقته لعرض محتوى دراسته ومنها :

١ ـ أن تكون العقيدة الإسلامية هي المحور الأساسي لطريقة العرض ، فمن المعلوم بداهة أن بحثاً يتم ويقدم نتائج صحيحة ، لا يمكن أن يكون كذلك إلا في ظل عقيدة صحيحة ، توحي له بموضوع صحيح ، وبمنهج صحيح ، ومحتوى صحيح ، وطريقة في العرض صحيحة ، والبحث في تاريخ التربية لا بد أن يعتمد على فهم قوي وصحيح للعقيدة الإسلامية وتأثيراتها في جوانب الحياة المختلفة ومن أهمها السلوك الإنساني ، خاصة أن العقيدة هي التي توجه دارس تاريخ التربية الإسلامية الوجهة الصحيحة نحو المنهج الذي يمكن أن يستخدمه ، وتعصمه من الوقوع في الهوى والانحياز ، أو في سوء الفهم وتشويه تفسير حركة التاريخ . **(أبو العنينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ٤٣)** .

ولا بد أن يركز الباحث على التصورات الإسلامية الصحيحة ، أثناء العرض الموضوعي للحادثة التاريخية ، وأن يتابع تأثير العقيدة فيها ، وتوجيهها لها ، مع العناية بعرض النتائج المترتبة على الالتزام بالعقيدة مثل حصول النصر والتمكين في الأرض كما قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ (النور : ٥٥) ، وتدفق الخيرات كما قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ .. ﴾ (الأعراف : ٩٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً ﴾ (الجن : ١٦) ، وانتشار الأمن والطمأنينة في النفوس وانقطاع سبل الفساد ، وأيضاً عرض النتائج المترتبة عن الانحراف في العقيدة ، أو التقصير في ذلك. كما قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ (سبأ : ١٥ ـ ١٧) ، لما أعرض هؤلاء القوم عن دين الله وظلموا أنفسهم أرسل الله عليهم سيل العرم فشتتهم ومزقهم كل ممزق ، وهذه سُنَّة الله في كل من أعرض عن عبادته وكذَّب رسله عليهم السلام . وليس كما يزعم (**حسن إبراهيم حسن**) الذي سار على رأي المستشرقين في تفسيرهم المادي لسبب انكسار السد « من أنه نتيجة إهمالهم لإصلاحه وأنه لا يعقل أن تزول مدينة عظيمة دفعة واحدة » (**تاريخ الإسلام ، ٣٧/٢**) ، أو (**زيدان**) الذي ينكر هذه الوسيلة التي حطم الله تعالى بها الدولة السبئية جزاء كفرها إذ قال : « وذلك بعيد ، إذ لا يعقل أن تعجز الدولة في إبان سطوتها عن اتقاء مثل هذا السيل ، وإذا تصدع السد فلا تعجز عن ترميمه » (**زيدان :**

والبشرية على طول تاريخها كلما فاءت إلى هذه العقيدة وتمسكت بها حصلت لها السعادة والتمكين والقيادة ، وكلما بعدت عنها أصيبت بالأمراض الإجتماعية والخلقية وفشا فيها الظلم والجور وسُلِّط عليها الأعداء (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢**) .

وهذا ما حصل للفكر التربوي ـ الذي قام على ما جاء به الإسلام من تصورات ومفاهيم ومبادىء تربوية ـ من رقي وسمو مكّن المسلمين من قيادة البشرية ولما تخلوا عن دورهم في تلك القيادة تعرض الفكر التربوي العالمي للانحلال والتأخر والتخبط في مجاهل ومتاهات .. واعتمد الفكر التربوي الحديث على فلسفات وضعية تعرضت للتعديل والتبديل والتغيير مرات عديدة وما زالت ، وذلك لبعدها عن منهج الله سبحانه ، وهداه ، وأصبح الإنسان يتخبط في تصوراته ومفاهيمه الأمر الذي يدعو إلى ضرورة عودة الفكر التربوي الإسلامي المبني على العقيدة ليؤدي دوره في قيادة البشرية من جديد .

٢ ـ كما ينبغي للباحث في تطور الحركة التربوية في بلد معين عبر العصور أن يهتم بعرض مراحل التقدم والإزدهار ، وكذلك مراحل الركود والتخلف ، ويعقد المقارنات ، ويبحث عن العوامل المختلفة وفي مقدمتها العوامل الروحية والإيمانية التي أدت إلى الإزدهار والسمو ، والأخرى التي أدت إلى الركود والانحلال ، والنتائج المترتبة على ذلك ، وماذا ينبغي عمله لتجنب تكرار مظاهر الهزيمة والنكوص .

٣ ـ التركيز عند عرض المحتوى على الأهداف والغايات فالتربية الإسلامية هدفها النهائي تحقيق عبادة الله وحده بمعناها الشامل ، وعند دراسة تاريخ التربية ينبغي النظر إليه على أنه وسيلة من وسائل الوصول إلى هذه الغاية العليا . فلا

ينفق الباحث كل جهده في الوسيلة ويترك الغاية ولا تشغله الدقائق التفصيلية للوقائع التاريخية التربوية عن التركيز على استخلاص العبرة من الحدث والرؤية الشاملة له . وعن الاعتبار الذي يترك في النفس أثراً . إلا أن يكون لعرض التفصيلات هدف تربوي فلا بأس من ذلك . (**المرجع السابق ، ص ٢٦٢**) .

والقرآن الكريم يوجه إلى أن « الهدف من ذكر الحوادث التاريخية وتعليمها ليس التعصب لقوم أو ملة معينة ، ولا مجرد التباهي والتفاخر بالآباء والأجداد ولكن الهدف هو الاعتبار ، ومعرفة المغزى » (**النحلاوي : أصول التربية الإسلامية ، ص ٢٤٩**) ، ومن ذلك استخلاص سنن الله تعالى في الأمم والأجيال ، والكون كله ، والتي تكسب من يقوم بتطبيقها على التغيرات والظواهر التاريخية التربوية موازين ربانية يزن بها الأفكار والآراء التربوية دون غمط أو تفخيم .

٤ ـ أن تكون طريقة عرض المحتوى موحية بتحبيب الخير وبتبغيض الشر ، إذ أن المؤرخ المسلم ليس مجرد ناقل لما قيل وما حدث في الزمن الماضي من الأفكار والتغيرات والظواهر التربوية فقط ، ولكنه صاحب رسالة وحامل مشعل هداية ، وميزانه في معرفة الخير والشر ليس عرف الناس ولا ما تواضع عليه أهل زمن ، أو صاحب فكرة إنما ميزانه هو الإسلام (**السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٢٦٧**) ، فإذا درس تاريخ ظاهرة تربوية ، أو تاريخ الفكر التربوي لدى أمة من الأمم ، أوعند شخصية من الشخصيات وجب عليه أن يعرض ذلك بأمانة وصدق ، وأن يفحص ويدقق وينقد كل ما يعرضه من أفكار فيوضح ما فيها من إيجابيات ، ويبين ما فيها من سلبيات وقصور ، ويستخلص من ذلك العبر المستفادة ويلفت النظر إليها بما يثير اهتمام القارىء ويفيده .

٥ ـ إبراز دور الأنبياء عليهم السلام وأثرهم في تاريخ البشرية ، فقد بعثهم الله عز وجل لتربية الناس وتعليمهم وإبلاغهم رسالات الله ، وهم يمثلون خط الاستقامة ومنهج

الحق في هذا الوجود بما علمهم الله وأنبأهم به من الوحي وقد جاءوا بعقيدة التوحيد ، وكان الإسلام هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم ، وهو الدين الذي لا يقبل الله سواه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩) . وهم - أيضا - يمثلون خطاً مستقلاً ومرتبطاً بعضه ببعض من آدم إلى محمد ﷺ ، والجاهليات تشكل أمة واحدة وحزباً واحداً في مقابل أمة الإسلام ودعوة الحق وحزب الرحمن كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة :٥٦) ، وقال تعالى عن الفريق الآخر : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة :١٩) .

وعلى المؤرخ التربوي المسلم أن يبرز دور الأنبياء وأتباعهم في تربية البشر وهدايتهم إلى الحق ، وما أحدثته تلك التربية من آثار في الحياة البشرية ، وفي عمارة الأرض بتطبيق شرع الله فيها وتنفيذه ، وفي أخلاق الناس وآدابهم وثقافتهم ونظمهم وفي أفكار دعاة الإصلاح وخططهم . (**المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥**) . الأمر الذي يبعث في المسلم روح الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، والزهد في هذه الدنيا الفانية مع العمل المتميز البناء، والتمسك بالإسلام والاعتزاز بتعاليمه وسِيَرِ علمائه وتاريخه ، كما أن ذلك ينمي لدى المسلم روح الولاء لله تعالى ولرسله وللمؤمنين ، ويدفع الهمم إلى معالي الأمور ، ويكشف عن الطاقات المذخورة ويستثمرها (**المرجع السابق : ص ٥٧**) .

ومن أبرز الأدوار وأتمها ما قام به الرسول ﷺ من تربيته لأمته ممثلة في أصحابه رضي الله عنهم ، والتي بنت مجتمعاً إسلامياً قائماً على العقيدة والإيمان الراسخ الذي صبغ أفراده بشخصية إسلامية متميزة كانت من نتاج التربية والتعليم ، بصفة الإنسان هو حجر الزاوية في حل كل أزمة قد تعتري الأمة .

وإذا ما أراد المؤرخ التربوي المسلم أن يبني تصوراً لتاريخ التربية في ضوء التوجيه الإسلامي فعليه أن يبدأ بشرح موقف الإسلام من العلم والتعليم ، وكيف عالج الإسلام قضية الوجود الإنساني وتفاعله مع الكون من حوله ، ويبين أن التربية في الإسلام توفر للإنسان السعادة في الحياة الدنيا وتهديه للعمل من أجل حسن العاقبة في الدار الآخرة ، وأنها تقوم على ربط كل حاجات الإنسان ووظائفه وأهدافه بالعقيدة الإسلامية حيث أن الهدف الأسمى لوجود الإنسان هو عبادة الله عز وجل في الأرض .

ومن هذا المنطلق بدأ المسلمون يتعلمون ، ويعلِّمون ، وأخذت المؤسسات التربوية تغيّر في واقعها وأساليبها داخل إطار الثوابت والأصول المحفوظة في الكتاب والسنة التي بنيت عليها تلك التربية ، خلال فترات الازدهار ، مع بيان تميز التصور الإسلامي ونجاحه وما انبثق عنه من نظام تربوي في تخليص الناس من الخرافات والأوهام التي فرضتها عليهم جهالات العصور القديمة والمعتقدات الوثنية ، فتحول الناس من ظلام الجهالة إلى نور الإسلام وعرف الناس العلم بالإسلام ، وفهموا الإسلام بالعلم ، والعلم كله من عند الله سبحانه ، يمنح البشر منه بقدر يريده ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة : ٢٥٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ.. ﴾ (الأنعام : ٥٩) .

ولا ينبغي أن يغيب عن ذهن الكاتب في تاريخ التربية أن يبرز في عرضه أنه نتيجة لإلتزام المسلمين بعقيدتهم ، وما بني عليها من تربية وسلوك وما تدعو إليه من عمل للدنيا والآخرة ، قام المجتمع الإسلامي وسادت الحضارة الإسلامية في عالم كان يغط في الجهل والانحطاط الفكري العقائدي ، وشيدت تلك الحضارة على كافة العلوم الشرعية والطبيعية والرياضية وغيرها ، والتي كانت جميعها خاضعة للتوجيه الإسلامي . وفي فترات الانحطاط والجمود التي مرت بتاريخ المسلمين كان الخلل في التربية هو السبب والنتيجة .

وهكذا ينبغي لمن يريد توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً أن يبدأ كل فكرة من المنطلق الإسلامي وينتهي بها وفقاً لهذا المنطلق لكي يعبر عن الصورة الحقيقية التي سارت عليها التربية الإسلامية عبر القرون موضحاً أنه عندما كانت التربية في المجتمع الإسلامي معبرة عن عقيدة الإسلام ومنبثقة منها وحامية لها في نفوس المتعلمين ليحملوها جيلاً بعد جيل كان المسلمون حينذاك في القمة رسوخاً في ميداني الفكر والسلوك ، وعندما تخلت الأجيال الإسلامية عن حمل الأمانة التي تسلمتها ممن سبقها ، وتخلت التربية عن توجيه المجتمع وفق عقيدة الإسلام انحل المجتمع وضعف . (**شبير : تصور جديد لدراسة مادة الأصول الإسلامية للتربية ، ص ٧٩ ــ ٨٣**) .

وخلاصة القول في هذه الفقرة : « أن الأمة الإسلامية برصيدها الرباني من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هي أجدر الأمم بريادة انقاذ البشرية التي طغت الماديات فيها على الجوانب الروحية والعقدية وهي وإن كانت بجهلها لم تستفد بكنوزها الروحية ، وقيمها الأخلاقية الراقية ، فإنها لقربها من الفطرة أقرب إلى المنهل الروحي الإسلامي ، وخاصة إذا تهيأت لأجيالها فرص من التربية الجادة والتعليم الجيد والسليم ، فسوف تكون أقرب إلى الإسلام ، وأقدر على تبنيه والعمل به ، أما ما ينقصها من الفعالية العلمية والتكنولوجية ، فإن أمر إدراكه غير مستبعد » (**مدني : النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد الإسلامية ، ص ٨١**).

وهذا ما تبشر به الصحوة الإسلامية التي تعم أرجاء العالم الإسلامي اليوم ، والتي من آثارها الدعوة إلى التوجيه الإسلامي للعلوم .

٦ ــ مما ينبغي التنبه له في طريقة عرض المحتوى لتاريخ التربية الإسلامية البعد عن متابعة الغربيين في المصطلحات ذات العلاقة بالتوزيع الجغرافي ، والتوزيع التاريخي التي لا صلة لها بواقع المسلمين ولا بتاريخهم ، ففي مجال التوزيع

الجغرافي اعتبر الغربيون أوربا في مركز الأرض وانطلقوا في التوزيع من ذلك المركز مستخدمين مصطلحات الشرق الأدنى ، والشرق الأوسط ، والشرق الأقصى ، ومن المؤسف حقاً أن يتابعهم الباحثون من المسلمين في هذا التقسيم ، وترويج تلك المصطلحات مع ما تنطوي عليه من كيد وخبث ؛ إذ « من خبائث كيد الأعداء أن تسمى المنطقة التي أقيمت فيها إسرائيل وما حولها مما تريد إسرائيل أن تصل إليه لتكون إسرائيل الكبرى منطقة « الشرق الأوسط » لإزالة صبغتها الإسلامية العربية . فإنها إن بقيت إسلامية – أو حتى عربية – فلا مكان لإسرائيل فيها . أما حين تصبح منطقة جغرافية فكلٌ من هبَّ ودَبَّ يستطيع أن يجد له فيها مكاناً ! » (**قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، ص ٢٠٩**) .

وعند دراسة تاريخ التربية يستخدم الغربيون مصطلحات العصور القديمة ، والعصور الوسطى ، والعصور الحديثة ، وقد تابعهم في هذا التوزيع الكثير من أبناء المسلمين الذين كتبوا في تاريخ التربية ، جاعلين التربية الإسلامية إما ضمن ما يسمى بالعصور القديمة أو تحت ما يسمى بالعصور الوسطى من حيث يعلمون أو لا يعلمون أن ذلك التوزيع خاص بمراحل وتقلبات تاريخية عاشتها أوربا ، كان لكل مرحلة منها خصائص ومفاهيم مستقلة تبعاً للتطورات والانقلابات العقائدية والفكرية التي عاشتها أوربا في كل حقبة من هذه الحقب إذ اشتهرت العصور القديمة بالوثنيات الإغريقية والرومانية ، وفي العصور الوسطى برزت هيمنة الكنيسة ، والسلطة البابوية المتحكمة ، ولما جاء ت العصور الحديثة كان أهم خصائصها ظهور النظم العلمانية ، والدول الحديثة . (**آمحزون : منهج التفسير التاريخي ، مجلة البيان ، العدد ٧٥ ، ص ٥٤ ، ٥٥**) .

وعلى الكاتب والدارس المسلم الذي يتعامل مع تاريخ التربية الإسلامية أن يعي حقيقة أن التاريخ الإسلامي – بما فيه تاريخ التربية – وحدة واحدة بالنظر إلى المفاهيم والمبادىء الأساسية الثابتةالتي لا تتبدل تبعاً لتبدل الزمان والدول والحكام ،

لأنه تاريخ أمة ذات عقيدة واحدة ثابتة لا يطرأ عليها التغيير ، وأي تغيير يطرأ في المجتمعات الإسلامية مخالفاً للعقيدة الصحيحة يؤثر على معيارها الإسلامي الصحيح ، ومن ذلك الأخذ بالتوزيع الأوربي ومتابعة مؤرخي التربية الغربيين عليه فإنه يفتت تاريخ التربية الإسلامية ، ويوجد الحواجز بين عصوره .

٧ ـ اعتماد كتب السنة مصدراً مهماً لكتابة ودراسة تاريخ التربية الإسلامية ،حيث أن من لوازم التوجيه الإسلامي لمحتوى تاريخ التربية الرجوع إلى كتب السنة فهي المصدر الموثوق والراجح لأخبار الصدر الأول التربوية التطبيقية ، لوجود روايات تاريخية تربوية فيها على درجة عالية من الصحة ، كما أن كُتب الحديث خُدِمت أكثر من كتب التاريخ من قبل النقاد ـ فعلى سبيل المثال ـ لقد تميز صحيحا البخاري ومسلم رحمهما الله ، وعرف أن كل ما فيهما صحيح بعد الدراسات النقديةالتي قام بها كبار الحفاظ القدامى ، والدارسون المعاصرون .

كما تتضمن كتب السنن والمسانيد والمصنفات ومعاجم الصحابة ، وكتب الفضائل والطبقات ، والتواريخ التي صنفها المحدِّثون ، وكتابات العلماء الذين اعتنوا بشرح كتب الحديث الكثيرمن أخبار التربية الإسلامية نظراً للثقافة الحديثية الواسعة المحصة التي تميز بها أولئك العلماء ، وما اكتسبوه من كتب التاريخ المفقودة والتي دونها أوائل المحدِّثين ، فجاءت تلك الشروح غنية بالروايات التاريخية التربوية وخير مثال على ذلك كتابي : فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر ، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي . إذ فيهما من الفوائد التربوية الشيء الكثير .

٨ ـ ضرورة عرض الروايات التاريخية ذات العلاقة بأمور التربية في مختلف القرون على معطيات القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . وعدم الاستسلام لكل ما تضمنته المصادر التاريخية ، بل يتخذ الكاتب المسلم الأخبار الصحيحة قاعدة يقيس عليها ما ورد عند الإخباريين فما اتفق معها يقبل وما خالفها يترك ، خاصة

أن أوائل المؤرخين من المسلمين كان همهم جمع وحفظ كل ما يصل إليهم من الأخبار ، فعلى سبيل المثال : فإن الطبري شيخ المؤرخين « لم يقتصر في كتابه

تاريخ الأمم والملوك(١) على المصادر الموثوقة فقط ، بل أراد أن يطلع قارئه على مختلف وجهات النظر فأخذ عن مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها ، إلا أنها تفيد حين معارضتها بالأخبار القوية ، وقد تكمل بعض ما فيهامن نقص .. وقد كان الطبري وكبار المؤرخين الأوائل لا يفرطون في خبر مهما علموا من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي » (**الخطيب : المراجع الأولى في تاريخنا ، مجلة الأزهر ، مجلد ٢٤ ، ٢/٢١٣ـ٢١٤**) .

بل إن (**الطبري**) يقول في مقدمة تاريخه : « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً صحيحاً ، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وإنما أوتي من بعض ناقليه إلينا ، وإنما أدينا ذلك على ما أُدِّى إلينا » (**تاريخ الأمم والملوك ، ١ / ١٣**) .

ولذا يلزم المؤرخ في نقد الروايات التاريخية ، أن يفيد من علمي « مصطلح الحديث » و « الجرح والتعديل » اللذين مورسا في عمليات تمحيص الأحاديث النبوية على نطاق واسع . وقد يكون من المفيد الإشارة هنا إلى الملاحظة القيمة التي أبداها (**محب الدين الخطيب**) ـ رحمه الله ـ حول هذا الموضوع فهو يشير إلى أن تاريخ الطبري

« لا يمكن الانتفاع بما فيه من آلاف الأخبار الا بالرجوع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل .. وأن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي ، وقد يجوز الأخذ برواية المخالف . ولا تُعرف أمة عني مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتهاوشروط الانتفاع بها ، كماعني بذلك علماء

---

(١) يمكن القول بأن كتاب « الطبري » « تاريخ الأمم والملوك » أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب التاريخية ، وقد أكمل فيه مؤلفه ما قام به المؤرخون قبله كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد ، ومهد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي ومسكويه وابن الأثير وابن خلدون .

المسلمين ، وأن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي . أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم ولا يتعرفون على رواتها ، ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى الطبري : رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني ، يظنون أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار ، ولو أنهم تمكنوا من علم مصطلح الحديث وأنسُوا بكتب الجرح والتعديل واهتموا برواة كل خبر ، كاهتمامهم بذلك الخبر ، لاستطاعوا أن يعيشوا في جّو التاريخ الإسلامي ، ولتمكنوا من التمييز بين غثّ الأخبار وسمينها ، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها » (**المراجع الأولى في تاريخنا ، مجلة الأزهر ، المجلد ٢٤ ، ٢ /٢١٥**) .

وهذا ما يؤمل في مؤرخ تاريخ التربية الإسلامية ـ على وجه الخصوص ـ أن يجعله موضع اهتمامه ، وجزءاً من أسلوبه في عرض المحتوى الذي يقدمه في دراساته وأبحاثه .

تلك بعض النماذج للمعايير والقواعد التي يمكن الاستناد إليها في طريقة عرض محتوى تاريخ التربية من منظور إسلامي يهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وقد جعلهما الله خالدين على مر الأزمان ، ولم يقصر الأمر بتدبرهما وفهم ما فيهما من توجيهات ومبادىء على إنسان دون غيره بل قال عز وجل ﴿ .. هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٨) . وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ.. ﴾ (النحل : ٨٩) . وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تركتُ فيكم شيئين ، لن تضلُّوا بعدهما : كتابَ اللَّهِ ، وَسُنَّتي ، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض » ، « حديث صحيح رواه الحاكم في مستدركه » . (**الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته . ١ / ٥٦٦**) .

ويحسب الباحث أنه باتباع هذه المعايير والقواعد من قبل دارسي تاريخ التربية يأتي عرض المحتوى أكثر عمقاً ووضوحاً ، وأقدر على كشف هذا التاريخ ، وإعادة كتابته بأكبر قدر ممكن من الدقة والأمانة العلمية التي تكشف الحقائق المغلّفة في أغلفة الزيف التي نسجتها أيدي من يجهلون ذلك التاريخ ـ خاصة تاريخ التربية الإسلامية ـ أو المغرضين من المؤرخين .

وبهذا يستطيع الباحث المسلم أن يكوّن رأيه الخاص من غير تحيز في أحداث تاريخ التربية، أو انحراف في تفسيرها ، والحكم عليها ، واستخلاص العبرة منها ؛ لأنه يَسْبر تلك الأحداث ويعرضها بمعيار الإسلام الصحيح ، الذي لا يقف عند حدود النص أو الواقعة بل يتعداها إلى معناها العميق ، ودلالتها الموحية . والله لا يضيع عمل المحسنين .

رابعاً : التوجيه الإسلامي لصفات الباحث :

أوضحت الدراسة في الفقرات السابقة من هذا الفصل كيف أن التربية الإسلامية تعني معرفة تربوية أساسها الوحي ، ممثلة لغايات الإسلام ، وأنها تتصل بكل صحيح من فكر المسلمين ، وغيرهم ، وهي بذلك المؤهلة لتوجيه العلوم التربوية توجيهاً إسلامياً . ومن بينها تاريخ التربية ، الأمر الذي يتطلب من الباحث في التربية الإسلامية أن يكون على معرفة تامة بتخصصه ، لأنه بدون هذا لا يستطيع أن يقدم بحثاً ذا قيمة ، وبالتالي لا يكون مؤهلاً للمساهمة في التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية المعاصرة .

وحيث أن المعايير المقترحة لتوجيه أهم أبعاد تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً والمتمثلة في الأهداف والمحتوى والطريقة لن تتحقق إلا على يد باحث تتوفر فيه مجموعة من الصفات التي تؤهله لاستيعاب معايير التوجيه الإسلامي ، والعمل على تطبيقها في كتابة تاريخ التربية ، فإن الدراسة ستتناول في هذه الفقرة أهم تلك الصفات في نوعين :

النوع الأول : الصفات العامة المتعلقة بشخصية الباحث :

هناك صفات خُلقية عامة يجب أن يتحلى بها كل مسلم ، ولكن الباحثين العلميين هم الأكثر مسئولية عن تمثلها ، من أجل أن تأتي أبحاثهم ودراساتهم محققة لما فيه صلاح الناس وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، ومن أهم تلك الصفات ما يلي :

١ ـــ إخلاص النية لله تعالى واتباع منهجه :

إن من مقررات الشرع ، ومن مسلمات الإسلام أن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وأريد به وجهه ، فقد قال تعالى : ﴿ ..أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَاً ﴾ (الكهف : ١١٠) ، فقد تضمنت هذه الآية ركني العمل المتقبل ، وهما أن يكون خالصاً لله تعالى ، وأن يكون صواباً على شريعة رسول الله ﷺ (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣/١٧٦**) ويقول الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ..** ﴾ (البينة : ٥) ، ففي هذه الآية وأمثالها « أَمْرٌ بإخلاص الدين والعبادة لله وحده من الشرائع الظاهرة والباطنة : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان بأن تُفرِدَ الله وحده بها ، وتَقْصُدَ بها وجهه ، لا غير ذلك من المقاصد » (**السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٦/٤٤٤**) .

ولقد نبه النبيﷺ على عظم شأن النية ، ووجوب تخليصها من كل شائبة تفسد القصد وتحبط العمل ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « الأعمال بالنية ، ولكل إمرىء ما نوى ... » (**البخاري : صحيح البخاري ، ١/٣٠**)(١) .

وليس من شك في أن الاشتغال بالعلم ، وتعليمه ، وكتابته ، نوع من أنواع العبادة لله سبحانه وتعالى ، بمفهومها الإسلامي ، فهي ليست شكلاً ظاهراً ، ولا رسماً يتصل بالجسد ، ولكن سراً يتعلق بالقلب ، وإخلاصاً ينبع من الروح (**القرضاوي : العبادة في الإسلام ، ص ١٥٧**) .

---

(١) أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث في الإسلام وكثرة فوائده وصحته ، قال الشافعي وآخرون : هو ثلث الإسلام ، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره : ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث ، تنبيهاً للطالب على تصحيح النية ، ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقاً ، وقد فعل ذلك البخاري وغيره فابتدؤوا به قبل كل شيء وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه الصحيح (**النووي : شرح صحيح مسلم ، ١٣/٥٣ ، ٥٤**) .

وإذا خلصت النية في العلم وكتابته وتدريسه « قُبِل وزكى وتمت بركته ، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع وخسرت صفقته ، وربما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه » (**ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ص ٦٩ ، ٧٠**) .

إن العمل مهما كان عظيماً ومهما بُذل فيه من جهد ووقت ومهما بني عليه من آثار ظاهرية إذا لم يكن خالصاً لله عز وجل وفي سبيل مرضاته فإنه لا خير فيه ولا أجر لفاعله عليه . والباري عز وجل هو الذي يعلم المخلص من غيره ، ويعطي كل إنسان من الجزاء ، ما يستحقه على عمله ولا يظلم ربك أحداً .

وإخلاص النية لله تعالى في الأعمال والأقوال من أهم القوى الروحية التي تجعل الإنسان المسلم يقوم بأعماله كلها صغيرها وكبيرها بحسب أوامر الله تعالى ونواهيه بناء على إدراك صلته بالله إدراكاً تقوم عليه حياته كلها طلباً لرضوان الله الذي هوغاية ما يسعي إليه المسلم ، مع استغلاله لقواه المادية والمعنوية على الوجه الذي يرضي ربه ويسدد أعماله .

> يقول (**المودودي**) : « لا يختلف المسلم عن الكافر في تحقيقه واجتهاده في التاريخ والاقتصاد والسياسة والقانون وما إليها من العلوم والفنون الأخرى ، ولكن شتان ما بين نظريهما ، إذ يدرس المسلم كل علم من هذه العلوم بنظر صائب ولغاية صالحة ، وينتهي به تحقيقه إلى نتيجة سليمة .. ففي التاريخ يتعظ بتجارب البشرالماضية ، ويستقرىء الأسباب الحقيقية لرقي الأمم وانحطاطها ، ويجتهد في معرفة ما كان نافعاً صحيحاً في حضاراتها وثقافاتها ، ويستفيد من أحوال رجالها الصالحين في أعمالهم وأقوالهم ، ويتجنب كل ما أهلك هـذه الأمم وقطع دابرها من أسباب السوء والضعف » (**مبادىء الإسلام ، ص ٣٠**) .

كل هذا يمكن أن يحققه الباحث المسلم في تاريخ التربية في ضوء النية الحسنةالخالصة لوجه الله تعالى . بل إنه يعان على ذلك فقد قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت : ٦٩) ، يقول (**ابن كثير**) في تفسيره لهذه الآية : « يعني الرسول ﷺ وأصحابه واتباعه إلى يوم

الدين .. لنبصرّنّهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة .. وقال الهمداني : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لايعلمون » (**تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٦٧٢**) .

وكما أن النية المخلصة لله تعالى تجعل القلب يستنير بنور الله تعالى ، فإن النية المعوجة تجعل الفكر معوجاً (**أبو زهرة : أصول الفقه ، ص ٣٨٨**) .

وبعد اخلاص القصد لله تعالى لا بد من موافقة العمل لمنهج الله عز وجل وشرعه ، إذ الأمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا ينفع أحدهما بمعزل عن الآخر ، فإنه لا ينفع إخلاص بغير إصحاح ولا ينفع إصحاح بغير إخلاص ، وعندما تفقد العبادة أحد أساسيها الإخلاص والصحة فإنها لا تستحق ثواب الله عز وجل ولا تترتب عليها آثارها في الحياة الدنيا ، فعلى سبيل المثال : سُنّة الله في نصر المؤمنين الثابتة بقوله تعالى : ﴿ .. وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم : ٤٧) إنما تتحقق عندما يقوم المؤمنون بنصر الله تعالى في أنفسهم ويحسنوا تربيتهم متمسكين بما يرضي الله تعالى عنهم ، وعندما يكون المؤمنون في موقع الذلة أمام أعدائهم والهزيمة في نزالهم ، فعليهم أن يبحثوا في صحة إيمانهم وصدق تحققهم وتمسكهم بعقيدتهم لمعرفة الخلل . أما وعد الله عز وجل فهو حق وصدق مستمر لا يتخلف عمن يستحقه ، ويفي بشرطه .

وخلاصة القول أنه ينبغي للباحث المسلم في تاريخ التربية ـ كالباحث في أي علم آخر ـ أن يجاهد نفسه على الإخلاص والتجرد ، ويتحرى بعمله وجه الله سبحانه والدار الآخرة ، متبعاً المنهج الرباني في بحثه ودراسته ، لتصفو سريرته ، وتعلو همته ، ويقبل بكلية قلبه على الله تبارك وتعالى الذي يسدد عمله . ويجعل له التوفيق والقبول .

٢ ــ الإلتزام بالقيم والأخلاق الإسلامية :

لا بد لصاحب العلم من الالتزام بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله ، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا خلفاء الأنبياء عليهم السلام ، كما جاء في حديث

« إن العلماء ورثة الأنبياء .. » (**الألباني : صحيح سنن الترمذي ، ٣٤٣/٢**) ، وسيقتصر حديث الباحث على أبرز تلك الفضائل والقيم التي يجب أن يتخلق بها الباحث في تاريخ التربية كغيره من أهل العلم .

(أ) تقوى الله تعالى وحسن الخلق :

من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الباحث المسلم في دراسته لتاريخ التربية تقوى الله عز وجل ، وحسن الخلق ، وهما سمتان مطلوبتان في كل مسلم ـ لا سيما أهل العلم ـ وترسخهما التربية الإسلامية في نفوس المسلمين فقد قال الله تعالى : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ .. ﴾ (البقرة : ٢٨٢) ، أي أن تقوى الله عز وجل أساس مهم لحصول العلم النافع .. في ضوء الخوف من الله تعالى ومراقبته واتباع أوامره ، وإجتناب مناهيه ، وهو سبحانه العالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها .. وعلمه محيط بجميع الكائنات (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٥٠٤**) ، وهو سبحانه الذي يوجّه من يتقيه ويجعل له من أمره يسراً ، وإذا اتقى الله المسلمُ حَسُن خلقه ، واستطاع النفاذ إلى قلوب العباد ليستفيدوا من علمه وما يقدمه من دراسات وأبحاث .

وقدوة كل عالم ـ بل كل مسلم ـ هو الرسول محمد ﷺ الذي أشاد الله تعالى بخلقه قائلاً سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤) ، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » (**مسلم : صحيح مسلم ، ١ / ٥١٣**) ، ومعنى هذا : « أنه عليه الصلاة والسلام مهما أمره به القرآن امتثله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبليّة الأصيلة العظيمة ، التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها .. » (**ابن كثير : شمائل الرسول ﷺ ، ص ٥٨**) .

وقد جمع النبي ﷺ في وصيته لأبي ذر رضي الله عنه بين هاتين الخصلتين حين قال له : « اتقِ الله حيثُما كنتَ ، واتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا ، وخالقِ الناسَ بِخُلقٍ حسن » (**الألباني : صحيح سنن الترمذي ، ٢ / ١٩١**) ، بل أجاب ﷺ في

حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه ، عندما سأله عن أكثر ما يدخـل الناس الجنة : بقوله لـه : « تقوى الله ، وحُسن الخُلق » (**الألباني : صحيح سنن الترمذي ، ٢/ ١٩٤**) .

(ب) الصبر وتحمّل المسئولية :

الصبر زاد كل عالم ومرب ، إذ أن الباحث والمربي الذي لا يتمتع بالصبر مثل المسافر بغير زاد فإما أن يهلك ، وإما أن يرجع بدون أن يحقق الهدف ، وقد وعد الله الصابرين بالأجر العظيم غير المحدد ، إذ قال تعالى : ﴿ .. إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠) ، « قال ابن جريج : بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم فقط ، ولكـن يزادون عـلى ذلك » (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٧٣**) ، وعلى الباحث في التربية أن يدرك أن من طبيعة التربية والتعليم أن ثمارها لا تأتي عاجلة فعليه أن يصبر ويواصل .

وكلما اتسعت دائرة علم الإنسان كلماعظمت مسؤوليته ، فكما أن من كثر ماله كثرحسابه وطال سؤاله وعسر جوابه ، فكذلك من كثر علمه واستبحرت معارفه ، كانت مسؤوليته أكبر ، وتبعته أثقـل ، فـهو مسؤول عن علمه من عـدة جوانب كما يقـول (**القرضاوي**) :

> « مسؤول عن صيانته وحفظه حتى يبقى ، ومسؤول عن تعميقه وتحقيقه حتى يرقى ، ومسؤول عن العمل به حتى يثمر ، ومسؤول عن تعليمه لمن يطلبه حتى يزكو ، ومسؤول عن بثه ونشره حتى يعم نفعه ، ومسؤول عن إعداد من يرثه ويحمله حتى يدوم اتصال حلقاته ، وقبل ذلك كله ، مسئول عن إخلاصه في علمه حتى يقبله الله منه » (**الرسول والعلم ، ص ٦٢**) .

وتأسيساً على ماسبق فإن على الباحث أن يتحلى بالصبر على مشاق البحث في تاريخ التربية ، فهو يحتاج إلى مكابدة عمل ، ومشقة جهد ، لكي يصل إلى الحقائق من خلال استقراء الحوادث وتفسيرها ، وعليه أن يحذر من العجلة التي قد توقعه في تقديم نتائج مبتورة يُحملّها العلم زوراً وبهتاناً ، والعلم منها براء .

كما يجب على الباحث في تاريخ التربية أن يعي أنه يبحث في تاريخ أمة . وأي خطأ فيه يضلل تلك الأمة . ومن هنا عليه أن يتحّمل عبء المسئولية ، ويعمل على

الوفاء بها ، حيث يقوم بكشف معالم ذلك التاريخ ، ويستنبط من خلاله ما يساعد على حل المشكلات المعاصرة ، إذ أن مسؤولية الباحث نابعة من مسؤولية البحث العلمي تجاه معالجة الواقع ، وتقديم النافع في سبيل تحقيق ما يصلح للناس أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم . وإذا تحلى الباحث بروح الصبر وشعر بالمسؤولية استطاع أن يساهم في تحقيق أهداف العلم والمعرفة ، وإن تخلى عن ذلك ، فسوف يفقد البحث العلمي أهميته ودوره في حياة الإنسان (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ٦٦ ، ٦٧**) .

(جـ) الأمانة العلمية :

من شروط العلم وأخلاقه الأمانة باعتبارها من لوازم الإيمان ، إذ لا إيمان لمن لا أمانة له (١) . وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المؤمنون : ٨) .

وضد الأمانة الخيانة وهي من لوازم النفاق ، إذ أن من علامات المنافق البارزة : أنه « إذا اؤتمن خان » (**البخاري : صحيح البخاري ، ١ / ٢١**) .

وعليه فإن الأمانة خلق عام يجب على كل مسلم التحلي به وله في جانب الباحث أبعاد مهمة تقتضي الالتزام بما يلي :

- الأمانة في اختيار موضوع البحث في ضوء معايير سليمة .
- الأمانة في أن ينسب القول لمن قاله ، والفكرة لصاحبها .
- الأمانة في الرجوع إلى الصواب ، إذ قام عليه الدليل والبرهان .

---

(١) جزء من حديث أنس رضي الله عنه قال : « قلما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » قال (**البغوي**) : « هذا حديث حسن » (**شرح السنة ١ / ٧٥**) ، وهو كما قال ، بل هو حديث جيد قوي ، رواه الإمام أحمد في المسند في عدة مواضع ، والبيهقي وغيرهما (**تعليق محققي المصدر السابق ، نفس المكان ، هامش رقم ١**) .

ـ الأمانة في اخضاع ما بين يديه من حقائق للنظر والفهم ، ليعيها (**أبو العينين : البحث التاريخي في التربية الإسلامية ، ص ٦٥**) .

ـ الأمانة في الوقوف عندما يعلم ، وأن يقول فيما لا يعلم : لا أعلم ، بلا خجل ولا كبرياء ، وأن يتقبل أي حقيقة علمية أوفائدة تأتيه ، ولو ممن هو أقل منه منزلة ، أوعلماً ، أو أصغر سناً (**القرضاوي : الرسول والعلم ، ص ٦٣**) .

وهكذا يجب على الباحث في تاريخ التربية أن يتحرى الأمانة العلمية فيما يكتب ويقدم للناس ، وبذلك يكسب رضوان الله تعالى ، وثقة الناس في علمه والاستفادة منه .

(د) التواضع ومجانبة العجب :

إن التواضع من أبرز أخلاق العلماء في الإسلام ، فالعالم الحق يدرك حقيقة التوجيه الرباني العظيم في قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ٨٥) ، وأن علمه لا يساوي شيئاً بجانب علم الله عز وجل المحيط بكل شيء ، وهو سبحانه الذي يمنح العلم ، ويجعل العلماء درجات كما قال عز وجل : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ .. ﴾ (المجادلة : ١١) ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « إن الله يرفعُ بهذا الكتابِ أقواماً ويضعُ به آخرين » (**مسلم : صحيح مسلم ، ١ / ٥٥٩**) ، وفي قول الله عز وجل : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف : ٧٦) ، قال الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم ، وهكذا قال عكرمة ، وقال قتادة : وفوق كل ذي علم عليم ، حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بدىء ، وتعلمت العلماء ، وإليه يعود . (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٧٥١**) .

وفي ضوء هذه التوجيهات الإلهية فإن العالم المسلم لا يركبه الغرور ، ولا يستبد به العُجْب ، إذ أنه يعلم أن قافلة العلم والعلماء مديدة طويلة ، وليس هو إلا واحداً منها فلا يغمط فضل السابقين ، ولا ينكر جهد اللاحقين ؛ فيتواضع لله تعالى ، ويقف عند حده ، وينصف غيره ، ويعرف له حقه ، ويلتمس العذر له .

أما الغرور والاعجاب بالنفس أوبالعمل إذا تحكما في الباحث فإنهما يفقدانه القدرة على البحث ، ويحرمانه الرؤية الصحيحة ، وربما يحملانه على اتباع الظن ، أو على التحامل والعصبية ، أو على الحسد والطمع ، وكلها أمور سيئة وأمراض خلقية في مجال البحث يجب على الباحث أن يجتهد في البعد عنها ، وأن يتحلى بالتواضع ، والارتفاع عن سفاسف الأمور ، ولا ضير من اتصافه بالعزة ـ بل يجب اتصافه بها ـ لأنها من أخص فضائل المؤمنين ، والعلماء هم صفوتهم ، وقد قال الباري عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ (المنافقون : ٨) وهي لا تنافي فضيلة التواضع ، لأنها تعبر عن غنى النفس ، وعزتها بالإيمان والعلم .

النوع الثاني : الصفات المتعلقة بمنهجية البحث :

إضافة إلى وجوب التزام الباحث المسلم بأخلاق الإسلام العامة في البحث ؛ فإن هناك مجموعة من المهارات ، والصفات التي ينبغي توفرها لدى الباحث في تاريخ التربية ليدرك منهجية البحث العلمي السليم في هذاالمجال ، والتي يمكن تناول أهمها في النقاط التالية :

١ ـــ استيعاب التصور الإسلامي للوجود :

يجب أن يكون لدى الباحث في تاريخ التربية استيعاب واضح للنظرة العامة للتصور الإسلامي للوجود ، وتحديده لمغزى الحياة ، وأهداف الإنسان انطلاقاً من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

إن على الباحث المسلم أن ينظر إلى الحياة ، والإنسان ، والأحداث التاريخية وغيرها من خلال الرؤية الإسلامية الخاصة ، إذ أن المجتمعات الإسلامية لها واقعها الخاص ، وتاريخها الذي يختلف عن تاريخ غيرها من الأمم .

ولقد سبقت الإشارة في أكثر من موضع من هذه الدراسة إلى أن العقيدة الإسلامية هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الرؤية الإسلامية ، أو التصور الإسلامي المتمثل في نظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان . ولعله من المناسب هنا الإشارة - باختصار شديد - إلى أهم خصائص التصور الإسلامي التي يجب على الباحث المسلم أن يستوعبها ومنها :

(١) الربانية :

وهي أولى الخصائص التي تميز التصور الإسلامي عن التصورات البشرية التي عبرت عنها الفلسفات الوضعية في محاولتها ايجاد تصور للكون والحياة والإنسان (**قطب : خصائص التصور الإسلامي ، ص ٤٣**) .

وربانية التصور الإسلامي تعني أن المصدر الذي ينبع منه هذا التصور ، وهو كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ موحى به من الله عز وجل ، فهو مبرأ من القصور البشري ، ومن الهوى البشري أيضا . (**المرجع السابق ، ص ٤٥**) .

بمعنى أن البشر تتسم نظرتهم إلى الأمور بالجزئية ، والنسبية ، كما أن وسائل المعرفة عند الإنسان قاصرة عن معرفة القضايا الكبرى المتعلقة بهدف الوجود وعلاقته بالخالق سبحانه ، وبالكون ، وما يترتب على تحقيقه لهدف وجوده في الدنيا ، أو عدم تحقيقه له ، بالإضافة إلى قضايا أخرى تتعلق بالكون والحياة والانسان لا يحيط بها إلا وحي الله المعصوم ، ومن ربانية المصدر تنبثق جميع خصائص التصور الإسلامي .

ولا شك أن ربانية التصور الإسلامي تنعكس على عمل الباحث في توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً إذ أنها تعمل على تحديد غاية وهدف عمله في حدود دائرة الضمان الرباني التي إذا شَتَّ عنها العقل فإنه ـ لا محالة ـ سيدخل في متاهة غيرمضمونة النتائج .

ويدخل في ربانية التصور الإسلامي ، ربانية المعيار التربوي الذي يقاس به الفرد والجماعة والتاريخ ، الذي عبر عنه (**محمد قطب**) في كتابه (**حول التفسير الإسلامي للتاريخ**) بقوله : « معيارك الذي تقيس به الأشخاص والأشياء والأحداث هو « الانسان » كما ينبغي أن يكون بحسب المهمة التي خلقه الله من أجلها ، وبحسب تكوينه الذي خلقه الله به ، وبحسب السنن الربانية التي تحكم حياته » (**ص : ١٩٩**) ومقومات هذا المعيار مبسوطة في الكتاب ، والسنة ، وسبقت الإشارة إلى بعض منها .

وعندما يكون المعيار الذي تبنى عليه دراسة تاريخ التربية بهذه الصورة الربانية فإن ذلك يعين الباحث المسلم على الموضوعية بمعناها الإسلامي ، والخروج من أسر الذاتية ، والأهواء الشخصية .

(٢) الثبات :

الثبات في التصور الإسلامي يعني ثبات مقومات هذا التصور الأساسية ، وقيمه الذاتية ، بمعنى أن المقومات والقيم التي يقوم عليها التصور الإسلامي لا تتغير كما تتغير ظواهر الحياة الواقعية ، وأشكال الأوضاع العملية ، التي هي الأخرى تبقى محكومة بمقومات ، وقيم هذا التصور .

وخصيصة الثبات لا تقتضي جمود حركة الفكر والحياة ، بل إنها تدفعها إلى الحركة داخل إطار ثابت ومحور ثابت (**المرجع السابق ، ص ٧٢**) .

ويحدد (**القرضاوي**) في كتابه (**الخصائص العامة للإسلام**) مجال الثبات ، ومجال المرونة في شريعة الإسلام ورسالته الشاملة الخالدة قائلاً : « إنه الثبات

علـى الأهداف والغـايات ، والمرونة في الوسـائل والأسـاليب . الثـبـات على الأصـول والكليات ، والمرونة في الفروع والجزئيات . الثبات على القيم الدينية والأخلاقية ، والمرونة في الشئون الدنيوية والعلمية » (ص ٢١٦ ـ ٢١٧) .

هكذا ينبغي للباحث أن يستوعب الفرق في التصور الإسلامي بين الأهداف والغايات الكبرى الثابتة في الإسلام ، وبين وسائل تحقيق هذه الغايات والأهداف في الواقع فالأولى ثابتة ولا دخل للإنسان بها ، وهي حقائق موضوعية لا تتغير بتغير الامكانيات والأوضاع ، وأما الوسائل فلا بأس من تغيرها ؛ على أن لا تخرج عن إطار توجيهات الإسلام .

فعلى سبيل المثال ؛ يتضمن تاريخ التربية الإسلامية أن التعليم كان يعتمد على أسلوب الملازمة والتلقي مباشرة من العلماء في حلقات العلم . أما اليوم فقد استحدثت وسائل جديدة للتعليم تعتمد على التقنيات الحديثة والتخطيط والمناهج التي تخدم تخصصات مختلفة . ولكن يبقى الهدف من التربية الإسلامية ثابتاً وهو إعداد الإنسان الصالح كما يريده الله سبحانه وتعالى ، على الأرض ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(٣) الشمول والتكامل والتوازن :

وهي خصائص أصيلة في التصور الإسلامي تأخذ صوراً وأشكالاً ينبغي للباحث المسلم أن يستوعبها لترشده في سيره على ضوء التصورا لإسلامي في مختلف مراحل دراسته .

ولا بأس من إيراد بعض الأمثلة للأشكال التي تأخذها هذه الخصائص المتداخلة ، ومنها :

* الشمول والتكامل والتوازن في قضيتي الغيب ، والشهادة ، فالغيب هو المغيب عن المحسوس ، والشهادة ما يمكن أن يدركه الحس ، وبين هذين المفهومين تكامل وتوازن في التصور الاسلامي ، فالغيب يشمل مجموعة من القضايا المهمة في الإسلام مثل صفات الخالق عز وجل ، وصفات بعض المخلوقات كالملائكة والجن ،

ووصف كل من الجنة ، والنار باعتبارهما وسيلتا الثواب ، والعقاب ، وغير ذلك من القضايا الغيبية .

وهذه القضايا الكبرى ليس باستطاعة العقل أن يتوصل إليها بمفرده ، وهو في ذات الوقت لا يستطيع الاستغناء عنها ، لأن الإيمان بها ينعكس على العقل أولاً ، ثم على الواقع الذي يعيشه الإنسان ، فهو ينعكس على العقل لأنه يرسم له المسار الصحيح للتفكير ، ويجيب على تساؤلات أكبر من حجمه منها : هدف وجوده في الحياة ، ومصيره النهائي ، وهذا بدوره ينعكس على واقع الإنسان حين يحاول أن يكيفه حسب ما يريد الله تعالى منه (**دراز : دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية والدولية ، ص : ١١٦ ـ ١١٧**) .

* الشمول والتكامل والتوازن في مفهوم الإنسان ذاته ، فالإنسان في التصور الإسلامي مكوّن من روح وعقل وجسد ، وجميع هذه المكونات تعمل في وحدة متكاملة ، ومتداخلة ، ومتوازنة .

وفي ضوء هذا المفهوم جاءت التربية الإسلامية الحقة متسمة بالشمول والتكامل والتوازن ، فهي تربية روحية وعقلية وجسدية (**قطب : منهج التربية الإسلامية ، ١ / ١٨**) .

هكذا اهتمت التربية الإسلامية في ضوء التصور الإسلامي بكافة جوانب الشخصية الإسلامية ، ولم تغلّب جانباً من جوانب الإنسان على جانب آخر ، بل جعلت من كل تلك الجوانب وحدة متكاملة تسير بتوازن وفق الهدف المرسوم لها بخلاف أنواع التربية الأخرى المبنية على تصورات الفلسفات المادية التي لاتنظر إلى الانسان نظرة شمولية بل نظرتها إليه جزئية مبتسرة .

* الشمول والتكامل والتوازن في العلاقة بين الخالق ، والكون والحياة والانسان ، فالكون والإنسان مخلوقان لله سبحانه وتعالى ، يسيران في الوجود وفق إرادته ، وتبع مشيئته ، وليس حسب حتمية كونية أو تاريخية ، فقد أوجد الله سبحانه

هذا الكون ، وجعل له سنناً ثابتة تحكمه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الدخان : ٣٨ ، ٣٩) .

وعلاقة الإنسان بالكون ليست علاقة صراع كما يقول الماديون ، بل إنها علاقة تسخير ، حيث سخر الله تبارك وتعالى هذا الكون للإنسان ، وامتن عليه بذلك ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (لقمان : ٢٠) .

وعلى أية حال فإن مفهوم العلاقة بين الخالق والإنسان والكون ينتج عنه تصور كامل لحركة الإنسان في هذا الكون ، سواء كانت حركة تاريخية أو حركة ذات علاقة بالكون (**الصوفي : الموضوعية في العلوم التربوية من وجهة النظر الإسلامية ، ص ١١٦**) .

ومجمل القول عن مفهوم الحياة في التصور الإسلامي أنه مفهوم متكامل ومتوازن ، يؤدي إلى نظرة شمولية ؛ تعطي مظاهر الحياة طابع الالتقاء ، وروح المواء مة بحيث تلتقي ، ولا تتعارض .

٢ــ توفر المهارات الضرورية للبحث في تاريخ التربية الإسلامية :

لا بد أن تتوفر لدى الباحث في تاريخ التربية الإسلامية مجموعة من المهارات التي لخصها (**علي خليل أبو العينين**) في مقاله عن (**منهجية البحث في التربية الإسلامية**) في النقاط التالية :

(١) مهارة التعامل مع القرآن الكريم ، وعلومه ، إذ لا بد أن يكون للباحث في تاريخ التربية الإسلامية إطلاع عام على معاني القرآن الكريم كله ، مع القدرة على استخراج الآيات بمعاونة الفهارس ، والتعرف على أسباب النزول ، واتجاهات التفسير ، والتعامل مع مراجع التفسير الأساسية ، وكتب معرفة الناسخ والمنسوخ .

(٢) مهارة التعامل مع السنة النبوية المطهرة وعلومها ومراجعها ، بحيث يكون لدى الباحث اطلاع واسع فيها ، يمكّنه من القدرة على تمييز الصحيح من غيْره ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث ، ومعرفة أسباب ورود الحديث .

(٣) مهارة التعامل مع علوم الشريعة ، ومراجعها ، في الفقه وأصوله ، وكافة صور التراث الفكري الإسلامي ، ولو بصورة عامة (**ص : ٣٥**) .

ويمكن إضافة مهارتين مهمتين إلى هذه المهارات وهما :

ـ العلم باللغة العربية ، حيث لا سبيل إلى فهم الإسلام فهماً صحيحاً بغير اتقان اللغة العربية ، فالقرآن نزل بلسان عربي ، واللسان العربي له أصوله وفقهه وقواعده ، ولا بد للباحث في تاريخ التربية الإسلامية الذي يعالج النصوص ، ويفسر الوقائع من أن يكون على دراية تامة بعلوم اللغة العربية ، ونحوهذا المعنى ما قرره (**ابن خلدون**) من أن معرفة اللغة العربية « ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم » (**المقدمة ، ص ٥٤٥**) .

ـ العلم بمقاصد الشريعة ، إذ أن معرفة مقاصد الشريعة العامة أمر ضروري لفهم نصوص الكتاب والسنة على الوجه المطلوب ، ولاستنباط أوجه الدلالة على وضع مقبول .. وأي ادعاء بالقدرة على ممارسة التوجيه الإسلامي للتربية وتاريخها والبحث في التربية الإسلامية لا يمكن أن يتم بغير هذا ، فلا بد أن تتحقق لدى الباحث في هذا المجال رؤية واضحة لفهم أسرار التشريع والأغراض العامة التي قصدها الشارع من تشريعه الأحكام المختلفة فيعرف ما يأخذ وما يذر ، ويزن بها المصالح والأضرار (**زيدان : الوجيز في أصول الفقه ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩**) .

٣ ـــ التمكن من التراث الفكري التربوي :

لا بد أن يكون الباحث في تاريخ التربية متمكناً من التراث الفكري التربوي ، وفهمه ، وملاحظة القوى والعوامل المؤثرة فيه ، وأن تكون له روح نقدية عالية

إزاء ذلك التراث لإستخلاص المفيد منه الذي يتمشى مع روح الإسلام وغاياته ، وإذا وجد في التراث الفكري التربوي ما يوافـق فكرة من الأفكار الحديثة فعليه ألا يستلب أو ينبهر ، أو يحس بالدونيـة (**أبو العينين : منهجية البحث في التربية الإسلامية ، ص ٣٥**) .

ولقد استطاع الإسلام أن يبني الشخصية المسلمة ، والأمة الوسط المكلفة بالشهادة على الناس ، بواسطة التربية التي أحدثت التغيير الذي أراده الله عز وجل بقوله : ﴿ .. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ (الرعد : ١١) وقامت على أساسه الحضـارة الإسلاميـة وهـذا التغيير لا بد أن يكون قد حدث من شيء ، وحول شيء ، ومن هنا يلزم الباحث المسلم أن يعي أهمية دراسة الفكر التربوي السابق للإسلام سواء كان في الشرق أو في الغرب ، وكيف كانت تلك الأمم تربي إنسانها الذي يعيش في ظلها ويساهم في بناء حضارتها ، خاصة أن تلك الأفكار ما تزال لها فاعلية في الفكر التربوي المسمى بالتربية الحديثة التي ارتدت فيها تلك الأفكار التربوية ثوباً جديداً لتهاجم الإسلام .

كل ذلك يوفر للباحث في تاريخ التربية معرفة قيمة ذلك التغيير الذي أحدثه الإسلام وكيف استطاع أن يغير النظرة للإنسان وللكون وللحياة وما قام على تلك النظـرة من فكـر تربوي استمر على مدى التاريخ الإسلامي ، وسيستمر إلى قيام الساعة ... وعلى الباحث أن يقف من مجموع التراث الفكري التربوي موقف الناقد البصير في ضوء المعيار الإسلامي ، ليميز الصالح من الطالح ، والخطأ من الصواب ، ويقدم للواقع التربوي في المجتمعات الإسلامية ما يفيده ويصلح من شأنه ، وهو في ضوء ذلك المعيار لا يستسلم لقديم لقدمه ، ولا يخضع لجديد لجدته ، معتزاً بإسلامه الذي يوجه كل شيء في الحياة لتحقيق مرضاة الله سبحانه .

٤ ـ مواصلة الإطلاع على الفكر التربوى المتجدد وتطبيقاته التربوية :

إن المسـألة التربـوية لا تكـفي فيـها دراسـة ، أو كتـاب ، ولا كتب ، فـهي مستمرة ومتجددة ، لا يحكمها مكان ، ولا يقيدها زمان ، إذ لكل عصر ما يلائمه ، ولكل

جيل أساليب تربيته ، ومشكلاته ، ولكل مشكلة علاجها ، بشرط الإفادة من تراكم المعارف التربوية ، وتوفر قدر من التواصل التربوي ، والقدرة على استحضار العطاء التاريخي ، واستصحاب القيم الضابطة للمسيرة التربوية من كتاب الله الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وهما روح التربية الإسلامية والمنبع الذي تستمد منه معاييرها ومبادئها ، وأصولها العامة في إعداد الإنسان الفرد الصالح ، والمجتمع الصالح ، والأمة الصالحة المصلحة .

ولذا فإنه ينبغي للباحث في تاريخ التربية الإسلامية أن يكون ذا اطلاع مستمر وواسع على انتاج الفكر التربوي الإسلامي ، والعالمي أيضاً ، فيما يتوصل إليه من أفكار وتطبيقات تربوية ، مع فهم غايات ذلك الانتاج التربوي ونموه التاريخي ، والتعرف على إيجابياته وسلبياته من خلال المعيار الإسلامي ، الذي يفرض على المسلم التمسك بمبادئه وقيمه ، والاستفادة من تاريخ أمته وأمجادها ، ويدعوه إلى أن يتخذ من ذلك حافزاً لمواصلة البناء التربوي على منهج الله تعالى ، وأن يقتبس من الجديد كل نافع ومفيد ، ويبتكر ويبدع .

تلك بعض الصفات التي يرى الباحث أهميتها لإعداد الباحث المسلم ، الذي يجب عليه أن يلتزم بها في دراساته وأبحاثه ذات الصلة بتاريخ التربية ، من أجل المساهمة في تحقيق التوجيه الإسلامي لهذا التاريخ وفق المعايير الإسلامية التي يمكن استنباطها من الكتاب والسنة ، وقد تناول هذا الفصل ثلاثة جوانب رئيسية لتاريخ التربية هي : الأهداف ، والمحتوى ، وطريقة عرض المحتوى ، مع اقتراح الباحث لبعض المعايير التي يرى أنها ضرورية لكل واحد من تلك الجوانب . وأنه ينبغي مراعاتها والإضافة إليها عند إعادة كتابة تاريخ التربية أو البحث في جانب من جوانبه في ضوء التوجيه الإسلامي .

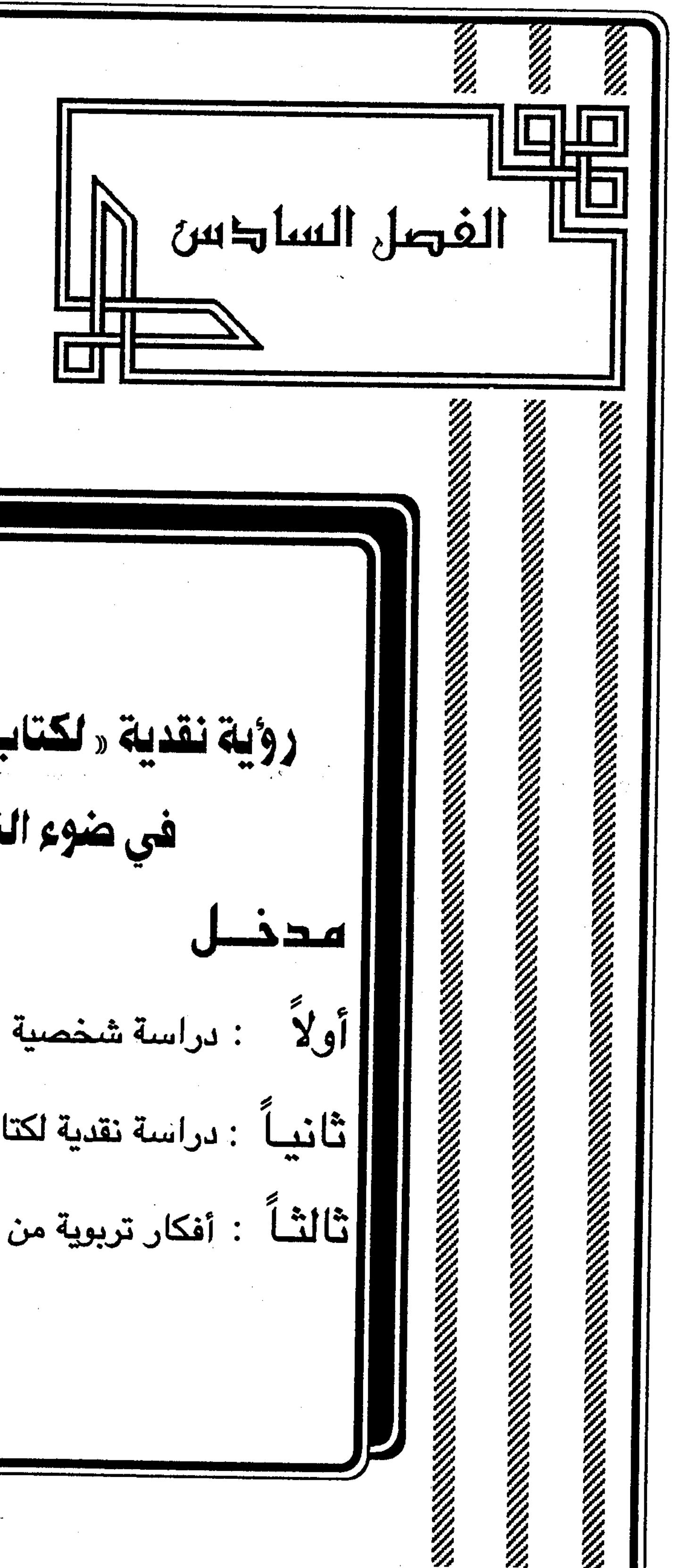
ويود الباحث قبل مغادرته لهذا الفصل أن ينبه على الأمور التالية :

(١) أن المعايير التي تم اقتراحها في ضوء التوجيه الإسلامي لكل من أهداف دراسة تاريخ التربية ، واختيار محتواه ، وطريقة عرضه ، بقدر ما تميز كل جانب عن الآخر ؛ فإنها في ذات الوقت متداخلة ومتكاملة ، لأنها تنبع من مصادر متكاملة ، وتهدف إلى المساهمة في بناء واحد هو تاريخ التربية الموجه توجيهاً إسلامياً متميزاً يشمل تلك الأبعاد وغيرها من جوانب هذا التاريخ الأخرى التي لم تتناولها هذه الدراسة خشية الإطالة التي لا تتحملها المدة المقررة لها ، والتزاماً بما حددته من حدود .

(٢) لزوم التمييز بين نصوص الكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، وبين ما يتضمنه تاريخ التربية الإسلامية من الفهم والاجتهاد البشري المقيد بظروف الزمان والمكان ، والعلم المحدود ، والعمر المحدود ؛ في معرفة المراد من النصوص ؛ فالاجتهاد فهم بشري يجري عليه الخطأ والصواب ، والتعديل والتبديل ، والتجديد ، والفحص والنقد ، تبعاً لتراكم المعارف ، وزيادة العلم ، وتقدم آليات الفهم ، ولذا فإنه لا يشكل الحقيقة المطلقة في كل زمان ومكان ، أما العصمة فهي لنصوص الوحي التي هي المقياس الإسلامي المطلق والصالح لكل زمان ومكان .

(٣) الاجتهاد في استنباط المعايير الإسلامية لتوجيه العلوم ومنها العلوم التربوية ، بما فيها تاريخ التربية ، أمر مطلوب وبالحاح في هذا الزمن الذي يجب فيه التأكيد على أهمية تشكيل شخصية المسلم الذي يجسد القيم الإسلامية في واقع عملي ، ويقدم البرهان على خلود الرسالة الخاتمة ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وهي المؤهلة لانجاب النموذج المطلوب ، وتقديم الحلول الحضارية لمشكلات البشرية الكبرى ، حيث أن معجزة هذه الرسالة هي معجزة تكليفية تتحقق من خلال إرادات البشر وقدراتهم ، وتسير طبقاً للسنن الإلهية والأسباب الجارية في الكون والأنفس التي قدرها رب الإنسان الذي خلقه وهو أعلم بما يحقق له السعادة والخير والمصلحة .

وخلافة الإنسان في الأرض ، وعبوديته بمعناها الشامل في الإسلام تحتاج في نجاحها إلى أن يبصر الإنسان تلك السنن الإلهية ، ويفقهها ويحسن التعامل معها ، والتربية الإسلامية المتكاملة المبنية على العقيدة الإسلامية الصحيحة هي المعوّل عليه في هذا النجاح بمصادرها ، وأصولها ، وتاريخها الموجّه توجيهاً إسلامياً في ضوء تلك المصادر والأصول ، إضافة إلى ما يتوصل اليه الفكرالبشري من ابداع للوسائل والآلات التي تحدث التفاعل ، وتأخذ بيد الإنسان إلى الإسلام ، وتساعد على تحقيق الأهداف ، مع التنبه إلى أهمية عرض التطبيقات المتعلقة بالوسائل والآلات والأساليب على الأصول الإسلامية ، وتقييمها في ضوء دلالات النصوص إذا ظهرت الحاجة إليها .



رؤية نقدية « لكتاب : التربية عبر التاريخ» في ضوء التوجيه الإسلامي

مدخــل

أولاً : دراسة شخصية المؤلف « عبدالله عبدالدائم »

ثانيـاً : دراسة نقدية لكتابه « التربية عبر التاريخ »

ثالثـاً : أفكار تربوية من الكتاب تحتاج إلى توجيه إسلامي

الفصل السادس

رؤية نقدية «لكتاب: التربية عبر التاريخ»

في ضوء التوجيه الإسلامي

مدخل :

جاءت كلمة النقد في اللغة العربية بمعنى الاختيار لتمييز الجيد من الردىء (**مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ٢ / ٩٥٩**) .

وهذا المعنى ينطبق على كافة مكونات حياة الإنسان ، ونشاطه ، وأفكاره ، ويشمل مجال التربية ، بما يحويه من اتجاهات الفكر التربوي ، وتاريخ التربية الإسلامية ، وغير الإسلامية ، وتطبيقاتها السائدة ، التي أصبحت بحاجة ماسّة إلى تحليل ، ونقد ، وفحص ، ولكن بنظرة علمية موضوعية عادلة تهتدي بنور الإسلام ، وتسير في إطار توجيهاته .

وقد ظهر جلياً في الفصل الرابع من هذه الدراسة العديد من دواعي التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، كما قدمت الدراسة في الفصل الخامس محاولة لاستنباط بعض معايير التوجيه الإسلامي لأهم أبعاد ذلك التاريخ ـ التي حددتها هذه الدراسة ـ والمتمثلة في الأهداف ، والمحتوى ، وطريقة تنظيم المحتوى ، إضافة إلى بعض صفات الباحث المسلم الذي ينبغي إعداده للإلتزام بتلك المعايير ، وتطبيقها عند كتابة تاريخ التربية في ضوء التوجيه الإسلامي .

ذلك أن الباحث المسلم يخشى الله فيما يكتب وينقد ، وتكون نيته أثناء عمله متجهة إلى خالقه عز وجل ، وهذا يضفي على بحوثه ودراساته بعداً مميزاً لا يوجد عند الباحث غير المسلم ، إذ أن الصفات الإيمانية التي يحملها الباحث والعالم المسلم تجعله أكثر أهلية للحكم على الأشياء (**عبد الله : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، ص ٤١**) .

وإن من الأهداف التي يجب أن تحرص على تحقيقها الكتابات التربوية المنشودة في مجال التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية التركيز على نقد وتقويم ما تعرض له من آراء وأفكار تربوية وضعية أثناء عملية المقارنة ، والمراجعة التربوية ، بهدف الوصول إلى الحق والحقيقة ، واكتشاف الجوانب المضيئة والمفيدة ، من الجوانب المعتمة الردئية .. خاصة أن المعرفة التربوية السائدة في المجتمعات الإسلامية في هذا العصر منقولة من الفكر التربوي الغربي ، وفي قطاع منها ظلت مطلة على الفكر الإسلامي الصحيح ولكنها لا تزال قاصرة عن تحقيق الأهداف المنشودة ، الأمر الذي يوجب مراجعتها مراجعة تحليلية نقدية في معطياتها ومقوماتها (**أبو العينين : نقد المعرفة التربوية المعاصرة ، ص ٧**) .

وحيث أن أي معرفة تربوية في المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن يكتب لها النجاح الحقيقي ، إلا في ضوء التوجيه الإسلامي ، باعتبار الإسلام هو المحدد للمعطيات الحقيقية عن الإنسان والمجتمع والحياة فإن هذا الفصل يقدم رؤية نقدية - عبارة عن نموذج - لكتاب في تاريخ التربية ، وهو كتاب « التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين » لمؤلفه « الدكتور / عبد الله عبد الدائم » ، لمعرفة توجّه مؤلفه ، وهدفه من تأليفه ، ومنهجه في عرض محتوى الكتاب ، مع تقديم نماذج للأفكار التربوية ، التي يرى الباحث أنها بحاجة إلى توجيه إسلامي ، محاولاً توجيهها بقدر الإمكان . وبالله التوفيق .

أولاً : دراسة شخصية المؤلف :

(أ) ترجمة المؤلف:

ولد الدكتور عبد الله عبد الدائم في حلب عام ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤ م ، وتنقل مع والده خلال دراسته الإبتدائية والثانوية بين مختلف المحافظات السورية ، ودرس الفلسفة في جامعة القاهرة عام ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٦ م ، وسافر إلى فرنسا ونال الدكتوراة في الآداب من جامعة السربون عام ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ، وبعد ذلك عين مدرساً للفلسفة ، ثم استاذاً في كلية التربية بجامعة دمشق . ثم مديراً للشئون الثقافية في وزارة الثقافة ، وعين وزيراً للإعلام والتربية ، وعين أخيراً أستاذا للتخطيط التربوي في المركز الإقليمي لتخطيط التربية وإدارتها في البلاد العربية في بيروت (**عباس : معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين ، ص ٣٣٤**) .

(ب) مؤلفاته ودراساته:

١ ـ القومية والإنسانية ، بيروت : دار الآداب ، ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .

٢ ـ تاريخ التربية ، دمشق : مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .

٣ ـ دور القومية العربية ، بيروت ، (بلا ناشر) ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .

٤ ـ التربية والقومية ، بيروت ، (بلا ناشر) ، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٥ ـ الجيل العربي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٦ ـ المدارس الحديثة ، (ترجمة بالاشتراك مع صلاح المنجد وخالد قوطرش) ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٧ ـ الاشتراكية والديمقراطية ، بيروت ، (بلا ناشر) ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

٨ ـ الوطن العربي والثورة ، بيروت : دار الآداب ، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

٩ ـ التخطيط الاشتراكي ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ .

١٠ ـ التخطيط التربوي أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته في البلاد العربية ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

١١ ـ المدخل إلى التربية التجريبية ، بيروت ، (بلا ناشر) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

١٢ ـ الفكر العلمي الجديد ، (ترجمة بالاشتراك مع عادل العوا) ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

١٣ ـ التربية التجريبية والبحث التربـوي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٩هـ= ١٩٦٨م .

١٤ ـ الجامع في التربية العامة ، (ترجمة عن رونيه أوبير) ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

١٥ ـ التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١٩٥٠ إلى عام ٢٠٠٠ ، ط ١، بيروت : دار العلم للملاين ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٦ ـ الثورة التكنولوجـية فـي التربية العربية ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٨ م .

١٧ ـ التـربيـة واسـتـراتيـجيـة تنمـيـة القـوى العـاملة العـربيـة ، بحث مـقـدم إلى ندوة استراتيجية تنمية القوى العاملة العربية التي عقدتها المنظمة العربية ببغداد ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٨ ـ الضحك (مترجم عن هنري برجسون) ، (بالاشـتراك مـع سامـي الدروبي) ، ط ٣ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م .

١٩ ـ منبعا الأخلاق والدين (مترجم عن هنري برجسون) ، (بالاشتراك مع سامي الدروبي) ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، (د . ت) .

٢٠ ـ في سبيل ثقافة عربية ذاتية ، بيروت : دار الآداب ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م .

٢١ ـ التعليم العالي والجامعي في مواجهة التغير الجذري السريع في البنى الاقتصادية والإجتماعية للعالم الحديث اليوم في مواجهة وعود المستقبل ، بحث مقدم إلى مؤتمر اتحاد الجامعات العربية الخامس ، عدن ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، وقد نشر في مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد العشرون ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

٢٢ ـ التربية والعمل العربي المشترك ، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٤٠٩هـ =١٩٨٨م .

٢٣ ـ التربية وتنمية الإنسان في الوطن العربي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م .

(جـ) الملاحظات على شخصية المؤلف :

من خلال دراسة الباحث لترجمة المؤلف والمجموعة التي حصل عليها من كتبه بالإضافة إلى الكتاب مدار النقد ، فإنه يستطيع تدوين الملاحظات التالية عن شخصية المؤلف :

١ ـ المؤلف من خريجي جامعة القاهرة ؛ التي كانت فكرة إنشائها خطوة في مسيرة دعاة التغريب العلمانية ، حيث أوصى مؤتمر القاهرة التبشيري المنعقد سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م بوجوب إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية لمناهضة الأزهر الذي قالوا عنه : إنه يهدد كنيسة المسيح بالخطر ، فأنشئت الجامعة المصرية سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م ، (جامعة القاهرة فيما بعد) ، واحتوت مناهجها على الفلسفة الغربية ونظرياتها المسماة بالعلمية:نظرية داروين ، ونظرية فرويد ، ونظرية دوركايم ، وفي أقسام الكيمياء والفيزياء والفلك والطب كان تفسير المتغيرات الكونية تفسيراً مادياً صرفًا . وتضمنت المناهج الأدبية والفلسفية والعلوم الإنسانية سموماً كثيرة من نظريات الغرب (**القطان : مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم ، ص ٦٥**) .

والحقيقة أن أغلب الجامعات في البلاد العربية والإسلامية قد نشأت على أسس علمانية بحكم تسلط القوى الاستعمارية في العالم الإسلامي وقت تكوينها ، فتطبعت بطابع الحضارة الغربية ، وتولت شئونها قيادات أجنبية ، أو وطنية تخرجت من الجامعات الغربية ، لذلك لم يكن للإسلام دور يذكر في وضع أهدافها ، ولا في

صياغة مناهجها إن لم يكن الهدف الأساسي من وراء إنشائها هو محاربة الإسلام ، وإبعاد المجتمعات الإسلامية عنه ، كما كان الحال في فكرة إنشاء جامعة القاهرة (١).

ولقد استهدف التعليم العلماني إنشاء أجيال المسلمين في أحضان هذه الجامعات منسلخة عن الإسلام جاهلة به ، بل ربما تسخر منه وتعاديه دون أن تعرف عنه ، وعن علمائه الكثير ولا القليل ، كما كانت تلك الجامعات تؤهل طلاب البعثات العلمية التي ترسل للدراسة في الغرب ، ثم تعود منبهرة بالحضارة الغربية وعلومها وتحاول أن تحذو حذوها ، وأن ترفع من شأنها ، فالدهشة التي تغمر الطالب من الانجازات الحضارية تملك عليه لبّه ، وتأخذ بتلابيبه لينخرط في سلكها مذهولاً مفتوناً .

ولا يقول الباحث إن هذا هو شأن كل طالب يدرس في الغرب فهناك طلاب يتمتعون بحصانة إسلامية عالية ، ويقظة فكرية واعية ، واعتزاز بالإسلام وأمته ، يفرقون بين العلم ، والسلوك الحضاري وهم طلاب علم ، فما لهم وللمفاهيم الغربية ، وللفكر الغربي ، ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة ففي دينهم الكفاية الكاملة ، ولكن هؤلاء النفر من الدارسين يمثلون في العادة نخبة ممتازة وقليلة العدد تستعلي بقيمها الإسلامية الرفيعة ، وتكوّن لنفسها روابط تربطها بالعقيدة ، والأخلاق في ألوان من النشاط الديني ، والثقافي ، والاجتماعي .

أما الدكتور عبد الله عبد الدائم فلم يتمكن الباحث من العثور على ترجمة وافية لشخصيته يمكن في ضوئها معرفة سيرته في جامعة القاهرة التي درس فيها الفلسفة على أيدي الأساتذة الفرنسيين ، ولا في جامعة السربون الفرنسية التي نال منها درجة الدكتوراة في الآداب ، ولكن نجده يتحدث عن نفسه ، وعن زميله الذي اشترك معه في ترجمة كتابيّ : » الضحك » و« منبع الأخلاق والدين » لمؤلفهما « هنري برجسون » في تصديره للطبعة الثالثة من الكتاب الأول فيقول « وكان علينا ـ وما زلنا بعد في ريعة الشباب طلاباً في جامعة القاهرة ـ أن ننقل هذا الأسلوب المرهف

---

(١) راجع الفصل الرابع ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

الشعري إلى قراء العربية ، مدركين أن التعبير ، ولا سيما عند [برجسون] لا ينفصل عن التفكير ، وأن الإخلاص لأفكار [برجسون] يستلزم أولاً وقبل كل شيء الأخلاص لأسلوبه » (**برجسون : الضحك ، ص ٧**) .

ويواصل حديثه قائلاً : « ويَسَّرَ هذه المهمة لنا أننا كنا في تلك الفترة قد امتصصنا أفكار [برجسون] وفلسفته في سائر ما كتب ، وعشنا معها حتى غدت إيانا ، وتعاطفنا معها تعاطفاً حياً عميقاً » (**المرجع السابق ، ص ٨**) .

وهذان النصان يوضحان مدى تشرب المؤلف لفلسفة الفيلسوف الفرنسي الذي نعته بـ « الكبير » (هنري برجسون ١٨٥٨ ـ ١٩٤١ م) وهو الذي « تبنى الحدس ، وجعله طريق المعرفة الحقيقية للواقع ، كما هو » . (**الزنيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ، ص ٢٣٠**) (١) ، وقد أكد عبد الدائم اخلاصه هو وزميله لأسلوب هذا الفيلسوف الغربي ، وأفكاره ، وامتصاصهما لفسلفته في سائر ما كتب ، وأنهما عاشا تلك الفلسفة وتمثلاها وتعاطفا معها تعاطفاً حيًّا عميقاً ووصف زميله في الترجمة بأنه « كان ، فطرة وتكويناً [برجسونياً] بالطبع » على حد تعبيره . (**المرجع السابق ، ص ٨**) ، كما أكد إيمانه بتلك الفلسفة ، بالرغم من مرور نيف وثلث قرن من صدور الترجمة الأولى لكتاب « **الضحك** » عام ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٨م ، وقد غالى في وصف هذا الفيلسوف وفلسفته حين قال :

> « على الرغم من ظهور فلسفات كبرى عديدة مغايرة لفلسفته ، يظل فكر هذا الفيلسوف الفذّ حياً يغذى أفكار مؤيديه ومعارضيه من الفلاسفة من بعده ... إن الفلسفة في العصر الحديث لم تشهد مثله فيلسوفاً وسم بطابعه ومنهجه مسيرة الفكر المعاصر .
>
> ذلك أن [برجسون] كان ويظل أبداً فيلسوف التجربة ؛ التجربة العلمية والتجربة الداخلية الحية ، والمفسر الأكبر لتقدم العلوم البيولوجية ، يمتاح من

---

(١) الحدس عند هنري برجسون : « عِرْفان ، شبيه بالغريزة عند الحيوان ، ينقلنا إلى باطن الشيء ، يطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة ، لايمكن التعبير عنها بالألفاظ وهو عنده أقرب إلى الكشف الصوفي ، وقد جعله مبايناً للعقل ، ثم إنه جعل ميدانه الميتافيزيقيا ، وهو المناط الكبير للكشف والمعاينة عند الصوفية ، إلا أن الحدس عند برجسون : معرفة منبعثة من داخل الإنسان لم تأته من الخارج ، بينما يرى الصوفية : أن الإلهام إفاضة الله من علمه الأزلي على العبد .. » (**الزنيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢**) .

تحليلها رؤية شاملة كاملة للكون والأشياء ، ويخرج من تجواله فيها بنظرية واحدة رائدة ، تمد خيوطها إلى سائر ميادين المعرفة . إنه الفكر « المتمذهب » بكل ما فيه من قوة وضعف ، وإنه الحدس الشامل الذي يلفّ الحقائق كلها في إطار رؤية واحدة ووحيدة » (**المرجع السابق ، ص ٥**) .

لو كانت ثقافة عبد الله عبد الدائم إسلامية لحمته من هذه المبالغة في وصف نظرية بشرية وضعية قاصرة ، ولما ا ستساغ أن يطلق عليها تلك النعوت التي لا تليق إلا بالنظرة الإسلامية ، مثل قوله : « رؤية شاملة ، كاملة للكون والأشياء » وقوله : « تمد خيوطها إلى سائر ميادين المعرفة » .

ومن هنا يمكن القول بأن عبد الله عبد الدائم قد تأثر في جانب الفلسفة بأفكار وآراء الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، ولا يخفى هذا التأثر على القارىء الفاحص لكتب عبد الله عبد الدائم .

٢ ـ أما في جانب التربية فإن عبد الله عبد الدائم قد تأثر بالمربين الفرنسيين ، وكان من أبرز أعماله التربوية ترجمته لكتاب التربية العامة الذي وضعه المربي الفرنسي رونيه أوبير ، وكانت طبعته الأولى عام ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م ، وقد تضمن تصديره للترجمة قوله : « من أولى خصائصه ـ يعني كتاب أوبير ـ أنه يجمع جمعاً موفقاً شاملاً معظم ما يحتاج إليه دارس التربية من علم بأصولها وبفلسفتها وبطرائق التهذيب والتدريب التي تتوسل بها » (**ص ٥**) ، ثم يقول :

« وعلى الرغم مما قد نقع عليه عند المؤلف من غلو في فلسفته المثالية التي يجعلها أساساً للبناء التربوي كله ، لا نسرف إن قلنا إن كتابه الذي بين يدينا كتاب فذّ ، قل أن نلقى له نظيراً في النتاج التربوي المعاصر » (**ص ٦**) .

ويبرز عبد الله عبد الدائم هدف التربية عند أوبير وهو كما يقول : « الوصول بالإنسان إلى مستوى الحياة الروحية الأصيلة » (**ص ٦**) ، وأن التربية الحقة عنده هي « تربية للحرية عن طريق الحرية » ، ويرى عبد الله عبد الدائم أن تلك

الفلسفة جديرة بأن تحتل مكانتها بين الفلسفات التربوية الكبرى في العالم ، وأن تقف جنباً إلى جنب مـع الفلسفة التربوية لمثل « ديوي » ، موضحاً أن هذا هو مبرر ترجمته للكتاب إذ يقول :

« ولهذا وجدنا من اللازب[١] أن نضع مثل هذا الكتاب أمام قراء العربية ، ليطلعوا من خلاله على فلسفة في التربية كاملة عميقة ، ما تزال مغمورة مجهولة إذا قيست بالفلسفات الذائعة . وهي عندنا ـ يقصد نفسه ـ في أسسها العميقة ، خير ما يقدم من أجل حرية الإنسان وكماله وسعادته ، في عصر تتعرّض فيه إنسانية الإنسان لأكبر محنة » (ص ٦) .

وفي غمرة الوصف المادح يغيب عن عبد الله عبد الدائم أن نظرية أوبير الروحانية الوضعية في التربية ، ما هي إلا صيغة طرح نظري فلسفي مغرق في الغموض والمثالية ، وغير قابل للاقتراب من الواقع خصوصاً في واقع الحياة المعاصرة كما يقول (**عبد القادر هاشم رمزي**) في كتابه (**الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية ، ص ١٥٦**) ، الذي علق على هذه النظرية بما خلاصته : إننا في مواجهة ما يسمى بمحاولة خلق عاطفة دينية تكون دافعاً وغاية في نفس الوقت ، وقد أحس رونيه أوبير بأن التدين غريزة فطرية وأن ما ينشأ عنها من حاجة الإنسان للتعبد والتقديس هو ما دفعه إلى أن يحاول بلورة عاطفة دينية تقوم على « الوعي الروحي » « بوحدة الوجود » ، أما التطبيق التربوي لايجاد هذه العاطفة واستثمارها وصيانتها ، فواضح أنه ليس له سمة محددة ، فوحدة الوجود لا يمكن أن تشكل بداية العملية التربوية بل هي نتيجة أو درجة قصوى من درجات الوعي ، وذلك حسب قول (**أوبير : التربية العامة ، ص ٥٣٧ ـ ٥٣٩**) .

أما في الإسلام فليس هناك ما يسمى بوحدة الوجود من حيث تساوي المخلوقات ، ولا من حيث كونها روحية كما يدعي رونيه أوبير ، بل من حيث كونها

---

(١) اللازب : الثابت ، وصار الشيء ضربة لازب أي لازم وهو أفصح (**ابن منظور : لسان العرب ، ٣ / ٣٦١**) .

مخلوقة لخالق واحد هو الله سبحانه وتعالى ، ومسخرة للإنسان ، الذي عليه أن يدرك ذلك ، وأن يقوم برعايــة الأرض رعايــة أمينة تحقق خلافته في الأرض وعبوديته لله تعالى ، وعلاقتــه به سبحانــه ، أي أن هناك ثلاثة معاني للوجود هي : وجود الله عز وجل ، ومخلوقية الإنسان المستخلف ، ثم مخلوقية الكائنات المسخرة ومنها الزمان والمكان ، فالموجودات مخلوقة لله ومسخرة للإنسان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) ، وما أحسَّ به أوبير من الحاجة إلى تربية قائمة على عقيدة دينية ، وما قدمه من وصف غامض ، وغير جاد بالانفتاح على وجهة النظر الدينية ، هو ما تُحسُّ به التربية المعاصرة ، في حين أن الرؤية الإسلامية فكراً وعملاً وطريقة تقدم ما يسد هذه الحاجة ، بحيث تتجاوز المعطيات المحلية والقومية ومتغيرات البيئة ، وتحقق في ذات الوقت تفرد الإنسان ، وأسمى درجات وعيه بنفسه ، وبعلاقته بخالقه ، وبالكون ، وبالناس وبالحياة ، والأشياء ، لكن في ظل حياة مهتدية بتطبيق الشريعة الإسلامية وليس في أي مناخ آخر (**رمزي : الدراسات ا لإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨**) .

ولا شك أن ثقافة عبد الله عبد الدائم التي عزلته منذ بداية تكوينه العلمي عن معرفة هذه الحقائق الإسلامية هي التي دفعته لأن يطلق على نظرية أوبير أنها خير ما يقدم من أجل حرية الإنسان وكماله وسعادته ، إذ أن هذا المطلب ، وأكمل منه لا يوجد إلا في التربية الإسلامية المنبثقة من المبادىء والأصول المتضمنة في المصادر الأساسية للرسالة الإسلامية الخاتمة التي نسخت كافة الديانات السماوية الأخرى .

ومن الكتب التربوية التي ترجمها عبد الله عبد الدائم والتي كان لها تأثير واضح في نتاج فكره التربوي المنشور كتاب : (**الجمود والتجديد في التربية المدرسية**) لمؤلفه (**غي آفانزيني**) أستاذ علوم التربية بجامعة ليون بفرنسا .

وقد صدّر عبدالله عبدالدائم ترجمته لهذا الكتاب بتقديم مفصل أشار فيه إلى ثنائه على الكتاب ومؤلفه ، مبرراً الحاجة إلى ترجمته إذ قال :

« ومن هنا كان كتابه في نظرنا ، إذ ننقله إلى قراء العربية ، منعطفاً هاماً من منعطفات الفكر التربوي في بلادنا ، ينقل الباحثين والدارسين من مرحلة الوصف إلى مرحلة النقد والتحليل ، وينقل الناقدين من مربينا ، على قلتهم ، من مرحلة النقد الجزئي لأحد جوانب النظريات التربوية الحديثة ، إلى مرحلة النقد الشامل المتكامل الذي يطلّ عليها جميعها ، ويدرك كلاً منها في سياق صويحباتها وأترابها ، ويخرج من هذا كله بوعي عميق ورؤية مشرقة لجملة التجربة العالمية في ميدان التجديد التربوي » (**آفانزيني : الجمود والتجديد في التربية المدرسية ، تقديم الترجمة العربية ، ص ١٠**) .

كما أكد عبد الله عبد الدائم في تقديمه على أن المسألة الأساسية المطروحة أمام البلدان العربية ، وهي – كما يقول – تسعى إلى تحقيق تنميتها المستقلة وحضارتها الذاتية مسألة التجديد في التربية . لا سيما – كما يقول أيضاً – أن التربية المبدعة الخلاقة هي وحدها القادرة على تكوين الإنسان العربي الذي يسهم في خلق العلم العربي ، والتكنولوجيا العربية ، والثقافة العربية . داعياً المربين العرب إلى أن يوجهوا أنظارهم وأفكارهم نحو البحث عن الصيغ اللازمة لتجديد التربية في البلدان العربية .. من خلال الوعي الشامل لتجربة التجديد في العالم الذي يمكّنهم – في رأيه – من أن يختاروا تجربتهم التجديدية الملائمة . مذكراً إياهم بأنه منذ سنوات وسنوات بحّت أصواتهم – على حد تعبيره – منادية باصطناع النظريات التربوية الحديثة . مفيضة في الحديث عن سماتها ومعالمها ، مطنبة في ذم التربية التقليدية وبيان تهافتها وبطلانها ومع ذلك فالنظم التربوية السائدة لدينا لم يسر إليها من رياح التربية الحديثة إلا النزر اليسير .. ومن أجل تجاوز الجمود التربوي دعا عبد الدائم إلى ضربين من التجربة : تجربة عقلية منطقية تحلل النظريات الحديثة في أسسها ومنطلقاتها لتتعرف على ثغراتها ونقائصها ولتومىء إلى ما يثبت منها أمام النقد وما يبشر بالسلامة

والسداد . وتجربة عملية تجري على أرض واقع الحياة المدرسية تروز هذه النظريات من خلال الخبرة والمعاناة ، وتستبقي ماهو جدير منها بالبقاء (**المرجع السابق ، التقديم ، ص ١٣ ـ ١٥**) .

هكذا تتضح نظرة عبد الله عبدالدائم المتحمسة للتجديد التربوي في البلاد العربية ، ولكنه تجديد ـ كما يظهر ـ ليس للإسلام فيه نصيب ، إذ أنه تجديد ينشد السلامة والسداد في النظريات الوضعية ، وآرائها في التربية الحديثة . وبدون غلو لقد سيطرت هذه النظرة على سائر دراسات ومؤلفات عبد الدائم التي دعا فيها إلى تجديد التربية في البلاد العربية من خلال مسئولياته كاستاذ للتخطيط التربوي والإدارة التربوية بالمركز الإقليمي لتخطيط التربية وإدارتها للبلاد العربية سابقاً ، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في البلاد العربية حالياً ، ومن خلال دراساته التي منها على سبيل المثال :

* كتاب : التخطيط التربوي أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته في البلاد العربية .
* كتاب : التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١٩٥٠ إلى عام ٢٠٠٠ .
* كتاب : التربية وتنمية الإنسان في الوطن العربي .
* كتاب : الثورة التكنولوجية في التربية العربية (١) .
* دراسة بعنوان : السياسات التربوية العربية والاستراتيجيات التربوية العربية ، منشورة ضمن المجلة العربية للتربية التي تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة التربية ، العدد الأول ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م .

وفي هـــذه المجموعة من مؤلفاتـــه التربوية كان تركيزه على تربية الإنسان في النواحـــي الماديـــة دون أي إشـــارة للعقيدة ، والأخلاق ، فهـــو يوصي دائماً

(١) تقدمت الإشارة إلى معلومات النشر الخاصة بهذه الكتب الثلاثة ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ .

باعـداد « الإنسان المبدع المجدد ... ومن أعمال ذلك الإنسان ينبغي أن نمتاح القدرة والغنى ، ومن تفجير طاقاتـه ينبغـي أن نرتـاد الطريق الجَدَد ، ومن ايقاظـه بعد سبات وتعريفه بذاته وتراثه وعالمـه نرجو توليد رؤية عربية أصيلـة قمينـة بأن نحاور العالم من خلالها » (**عبد الدائم : التربية في البلاد العربية ، ص ٧٧٧**) .

وفـي كتابـه (**التربيـة وتنمية الإنسـان في الوطن العربي**) يدعو إلى « تقديم التصورات اللازمة للتربية في الوطن العربي من خلال واقعين متآخذين ، الواقع العالمي في شتى جوانبه ، والواقع العربي في شتى جوانبه » (**ص ٢٧**) . وفي مواجهة هذه الدعوة يَبْرزُ سؤال مهم هو : هل هذان الواقعان صالحان لهذا : وهل أغنيا شيئاً في حل أزمة التربية المعاصرة ؟ أم أن الحل المنشود يبدأ من التصورات والمبادئ التي جاء بهـا الإسـلام ، وما تحمله من هداية وتسديد كما قال تعالى :﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة :٣٨، ٣٩) . وكما قال تعالى ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ﴾ (طه :١٢٣) ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : فلا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة (**ابن كثيـر : تفسيـر القرآن العظيم ، ٣/٢٦٩**) ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤) .

إن الحل لكافة الأزمات التي تعاني منها الأمة الإسلامية بل والبشرية جميعاً يكمن في إتباع هذا الهدى الذي أنزله الله عز وجل ليتربى عليه الإنسان منذ أول يوم وطئت قدمه على الأرض ، وأي حل لا ينبع من وحي الله تعالى ، ويسير في ضوء توجيهه فإن مآله إلى الشقاء مهما طال أمده ، وليس من مصدر صادق للوحي على وجه الأرض اليوم وإلى أن تقوم الساعة إلا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فلا بد من العودة إليهما والاهتداء بنورهما وقد قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ

بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف : ٨ ، ٩) .

والتربية هي الطريق الوحيد لعودة المسلمين إلى الإسلام ، وهي الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ لبناء نموذج خير أمة أخرجت للناس .

وهناك مجموعة أخرى من مؤلفات عبدالله عبدالدائم التي سبقت الإشارة إليها هي الأخرى ليس للإسلام فيها أي نصيب ، كما هو واضح من عناوينها مثل القومية والإنسانية ، والوطن العربي والثورة ، والتربية والقومية ، والجيل العربي ، ودور القومية العربية. الأمر الذي يظهر انعكاسه جلياً على تسمية المؤلف للتربية الإسلامية في كتابه (**التربية عبر التاريخ**) ـ مدار النقد ـ « بالتربية العربية » (**ص ١٢٩**) وكأنه قد ارتضى استبدال العرب بالإسلام ، والتربية العربية بالتربية الإسلامية . ولعل سبب ذلك هو ثقافة الرجل التي أبعدته عن الاهتمام بالإسلام ، ومصادره الأساسية ، التي خلت منها مصادر سائر كتبه حتى الباب الثالث من كتابه آنف الذكر ، فإنه اعتمد فيه كثيراً على (**أحمد شلبي**) في كتابه (**تاريخ التربية الإسلامية**) كما صرّح بذلك في (**ص ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦٥**) [(١)] .

وبناء على هذا ونظراً لتأثر المؤلف بالفكر التربوي الغربي ، فإن معياره للحكم على ما قام بعرضه من آراء وأفكار تربوية في سائر كتبه ومنها كتابه موضع الدراسة لم يكن منطلقاً من الإسلام ومبادئه التي يجب على الباحث المسلم أن يتخذها منطلقاً لتوجيه التربية ، بل لقد اتخذ معياره من الآراء والاتجاهات الحديثة في التربية التي كان ينظر من خلالها حتى في معطيات الفكر الإسلامي المنطلق من توجيهات الكتاب والسنة . فعلى سبيل المثال يقول في الصحيفة (**١٨٩**) من كتابه (**التربية عبر التاريخ**) :

« .. إن من أهم ما يستحق الإعجاب في أساليب التربية الإسلامية ذلك

---

(١) انظرها في الملحق رقم (٢) .

الاهتمام بموضوع توليه التربية الحديثة اليوم قصارى اهتمامها ، نعني العناية بميول الطلاب وقابلياتهم ، وتوجيههم نحو الدراسات التي تؤهلهم لها تلك الميول والقابليات . وكثيراً ما يخيل إلينا أن فكرة « التوجيه المهني » فكرة محدثة ، لم تعرف إلا في هذا القرن الأخير بعد تقدم الدراسات النفسية » .

ويواصل حديثة في الصحيفة (١٩٠) قائلاً : « ويرى المربون المسلمون أن تبدأ عملية التوجيه هذه بعد أن يجتاز الطالب المرحلة الأولى للتعليم . وهم في هذا متفقون مع آراء المربين المحدثين ... ويرى المربون المسلمون ـ وهم في هذا أيضا يوافقون المربين المحدثين ـ أن اختيار العلم تبعاً للموهبة والقابلية لا يقوم به الطالب وحده ولا المعلم وحده بل يقوم به كلاهما وقد يشترك معهما في ذلك والد الطالب .. » إلى غير ذلك من الأمثلة التي توضح انبهار المؤلف بالفكر غير الإسلامي ، وحداثة تعرفه على الفكر التربوي الإسلامي .

تلك إطلالة مختصرة حاول الباحث من خلالها التعريف بشخصية الدكتور / عبد الله عبد الدائم في ضوء ما توفر له من ترجمة ، وما تحمله مؤلفاته من ملامح ثقافته وتكوينه الفكري . وقد تبين أن ثقافته تأثرت منذ بداية تكوينه العلمي بالفلسفة الغربية ، وهي الفرنسية ـ خاصة ـ التي بدأها في قسم الفلسفة بجامعة القاهرة ، وأتم تشربه لها في موطنها الأصلي بجامعة السربون بفرنسا بواسطة الدراسة ثم بالترجمة للعديد من الكتب الفرنسية ، كما تأثرت أفكاره التربوية بأفكار ونظريات المربين الفرنسيين الذين تلقى تعليمه على أيديهم ، وترجم العديد من كتاباتهم التربوية ، كل ذلك أدى إلى عزلته تماماً عن معرفة حقيقة التربية في الإسلام ، ومحاكمته للنزر اليسير الذي اطلع عليه من تاريخها في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة ، وبعد هذه الإطلالة على شخصية المؤلف ، يتم الانتقال إلى الفقرة التالية من أجل التعرف على كتابه موضع الدراسة ، من حيث المنهج ، والهدف ، والمحتوى .

ثانيا : دراسة نقدية لكتاب « التربية عبر التاريخ »

جاء كتاب (**عبد الله عبد الدائم**) : (**التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**) تطويراً لكتابه الذي صدر عام ١٣٨٠ هـ =١٩٦٠م بعنوان : (**تاريخ التربية**) ، كما صرح بذلك المؤلف حين قال في تصديره للطبعة الأولى الصادرة عام ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، « رغم الذيوع الذي عرفه ـ يعني كتابه الأول ـ لدى الدارسين والمعنيين بالتربية ، شكا ثغرات عديدة أبرزها أنه أغفل الحديث عن موضوعين هامين كبيرين : أحدهما التربية العربية في الجاهلية والإسلام ، وثانيهما : التربية في القرن العشرين » (ص ٥) وقد تضمنتهما تلك الطبعة وما تلاها من طبعات منها الطبعة الخامسة الصادرة عام ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، التي اعتمدتها هذه الدراسة .

(أ) منهج المؤلف في كتابه :

سار المؤلف على النهج الذي يتبعه معظم الذين كتبوا عن تاريخ التربية ، أو تطور الفكرر التربوي ، وهو استعراض تطور الفكر تاريخياً ، وإسهامات رجاله ؛ سواء كانوا من الفلاسفة ، أو من رجال التربية التطبيقيين .

(ب) الهدف من تأليف الكتاب :

لقد أوضح المؤلف أن كتابه هذا « لا يعدو أن يكون مدخلاً موجزاً لتاريخ التربية ، والأفكار التربوية ... وأنه ألفه ليكون مرجعاً ميسراً لطلاب التربية في الجامعات ، ومعاهد المعلمين .. قادراً على أن يقدّم قصة التربية منذ القديم حتى اليوم في خطوطها العامة ، ومعالمها البارزة ومحطاتها الكبرى » (ص ٥ ــ ٦) .

(جـ) محتوى الكتاب :

يقع الكتاب في ٦٧٢ صفحة من القطع المتوسط ويتألف من أحد عشر باباً يمكن عرضها على النحو التالي :

الباب الأول : التربية في العصور القديمة ؛ وتمثله أربعة فصول : الأول : التربية لدى الأقوام البدائية ؛ معالمها ، ووسائلها ، وأشكالها ، ومداخلها ، واللين والقسوة على الأطفال فيها ، ثم قسمها المؤلف حسب التقسيم الحديث إلى : تربية جسدية ، وفكرية ، وخلقية ودينية . والثاني : التربية الشرقية القديمة ، وضمّنها : التربية الهندية ، والتربية لدى بني إسرائيل ، والتربية الصينية ؛ التي عدّها المؤلف نموذجاً واضحاً للتربية الشرقية عامة . ثم التربية في اليابان ، والتربية لدى الآشوريين ، والتربية لدى الفرس ، وقدامى المصريين ، والفصل الثالث تحدث فيه المؤلف عن التربية اليونانية الآثينية والإسبارطية ؛ مدارسها وفلاسفتها وأفكارهم وآرائهم التربوية . وفي الفصل الرابع تحدث المؤلف عن التربية الرومانية وتأثرها بالمدرسة اليونانية وأورد بعض الأمثلة لكتّابها ومدارسها الخطابية والفلسفية .

أما الباب الثاني فسماه المؤلف التربية المسيحية والعصر الوسيط ؛ تحدث فيه عن فقر العصور المسيحية الأولى في الأفكار التربوية ، وضعف الفكر في العصر الوسيط وأسبابه ثم أسهب في الحديث عما سماه النهضات الثلاث .

وفي الباب الثالث تحدث عن التربية العربية وقسمها إلى دورين : دور التربية العربية في العصر الجاهلي ؛ تحدث فيه عن علوم العرب ومعارفهم في الجاهلية ، وعن التربية في الجاهلية . ثم أتبع ذلك بالحديث عن دور التربية العربية في العصر الإسلامي ، وقد ضمّن هذا القسم سبعة فصول : الأول : عن معاهد التعليم في الإسلام ، والثاني : عن المدرسين ، والثالث : عن التلاميذ ، والرابع : عن أساليب التربية والتعليم عند المسلمين، والخامس: عن مناهج التعليم وموضوعات الدراسة ، والسادس : تربية المرأة في الإسلام ، والسابع : عن أمثلة لرجال التربية في العصر الإسلامي .

وفي الباب الرابع : تحدث المؤلف عن ما سمّاه بعصر النهضة والنظريات التربوية في القرن السادس عشر الميلادي مبيناً ماهية النهضة وإحياء فكرة التربية

الحرة ، وغلبة الناحية النظرية على الناحية العملية في ذلك القرن ثم قسم الباب إلى خمسة فصول : في الأول تحدث عن إيراسموس ومؤلفاته التربوية ، وفي الثاني تحدث عن رابليه ونقده للتربية القديمة والتربية الجديدة التي رآها وهي التي تُعنى بالجسد والعقل والخُلُق في آن واحد ، كل ذلك من خلال مؤلفاته التهكمية . والثالث تحدث فيه عن مونتيني وتربيته الشخصية وتركيزه على تكوين ملكة الحكم ، وأنواع الدراسات التي يوصي بها ، أما الفصل الرابع فقد تحدث فيه المؤلف عن الأصول البروتستانتية للتعليم الإبتدائي مع التركيز على آراء كل من لوثر ، وراتيش ، وكومنيوس ، وختم هذا الباب بالفصل الخامس الذي خصصه للحديث عن الإصلاح الكاثوليكي متحدثاً عن جماعتي اليسوعيين والجانسينيين ومدارسهم .

الباب الخامس : التربية في القرن السابع عشر خصصه المؤلف للحديث عن عدد من المربين والفلاسفة وبعض مذاهبهم الأساسية وما انبثق عنها من مناهج وطرق تدريسية كان لها شأن في توجيه التربية في ذلك القرن وجعله في فصلين ، تحدث في الأول عن فينيلون ومكانته في التربية وآرائه التربوية ، وتحدث في الفصل الثاني عن التربية لدى ثلاثة من فلاسفة القرن السابع عشر وهم : ديكارت ، مالبرانش ، لوك .

الباب السادس : التربية في القرن الثامن عشر ؛ تحدث فيه المؤلف عن الصفات العامة للتربية في ذلك القرن وأولها : ظفر الروح العلمانية ـ كما سماها ـ ثم النزعات النقدية والفلسفية المرتبطة بالتربية ، وأخيراً نزوع التربية إلى أن تصبح قومية .. وقد كرّس المؤلف معظم هذا الباب للحديث عن كتاب « أميل » لصاحبه : جان جاك روسو .

الباب السابع : بستالوتزي والتربية الألمانية تحدث فيه المؤلف عن التربية الألمانية بإيجاز مركزاً على حركة الأتقياء ، ومحبي الإنسانية ـ كما سُمُّوا ـ وأشهر ممثليهم .

الباب الثامن : فروبل ورياض الأطفال ؛ تحدث فيه المؤلف عن حياة فروبل وتأثره بمنهج بستالوتزي واستعرض تجاربه في التعليم وقصة ولادة رياض الأطفال وانتشارها ، وختم الحديث بذكر مبادئ فروبل النفسية .

الباب التاسع : هربارت (١٧٧٦ ـ ١٨٤١) ، تحدث فيه المؤلف عن حياة هربارت ، والمؤثرات التي عملت في تكوين تفكيره ،ونظرته في علم النفس ، ومبادئه التربوية ومناصريها وأماكن انتشارها .

الباب العاشر : نشأة علم التربية . وقد خصص المؤلف حديثه في هذا الباب لمحاولات الفلاسفة الألمان، والانكليز ، مركزاً على آراء هربرت سبنسر ، والكسندر بين .

الباب الحادي عشر : التربية في القرن العشرين ، وفيه قصر المؤلف حديثه على العقود الأولى من هذا القرن ، وكان تركيزه على أمهات المدارس التربوية ـ كما سماها ـ والمذاهب التربوية التي ظهرت خلال تلك الحقبة وعلى أبرز المربين الذين يمثلونها ، وأَوْلَى ما عُرِف بالتربية الحديثة ، والطرائق الحديثة التي وضعها رواد هذه التربية عناية خاصة ، موزعاً ذلك كله على ثمانية فصول هي نهاية أبواب الكتاب .

(د) ملاحظات عامة على محتوى الكتاب وطريقة العرض :

قبل البدء في عرض الأفكار التربوية المحتاجة إلى التوجيه في الكتاب مدار البحث ، يحسن ذكر بعض الملاحظات العامة على محتواه في ضوء التوجيه الإسلامي والتي يمكن إيرادها على النحو التالي :

١ ـ جرت عادة السلف والخلف من علماء المسلمين أن يبدؤا كتبهم بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ثم خطبة تتضمن حمد الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ ، ثم محتوى الكتاب ، وكذلك يفعلون في ختم الكتاب .

وكلما كتب أحدهم اسم الله تعالى اتبعه بالتعظيم مثل « عز وجل » أو « تقدس » أو « سبحانه » أو « تعالى » أو نحو ذلك ، وكلما كتب اسم النبي ﷺ كتب بعده الصلاة والسلام عليه ، ويصلي هو عليه بلسانه ، ولا يختصر الصلاة في الكتاب

ولو وقعت مراراً كما يفعل بعض المؤلفين المحدثين فيكتب (ص) أو (صلم) أو (صلع) أو (صلعم) وكل ذلك لا يليق بحق الرسول ﷺ . فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَآئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٥٦) ، وقد قال ﷺ « البخيل مَنْ ذُكِرتُ عنده ، فلم يصلِ عليَّ » « حديث صحيح رواه أحمد والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم عن الحسين رضي الله عنه » . (**الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، 557/1**) .

وإذا مر الكاتب بذكر الصحابي ، ولا سيما الأكابر منهم كتب رضي الله عنه ، ولا يكتفي بالرمز (رضي) ، وكلما مر بذكر أحد من السلف فعل ذلك أو كتب رحمه الله ، ولا سيما الأئمة الأعلام ، وهداة الإسلام رحمهم الله تعالى ، لأن الله عز وجل يترضى عنهم في كتابه الكريم ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ (البينة : ٧ ، ٨) (**ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ص ٦٩ ــ ٧٠**) .

والدكتور عبد الله عبد الدائم لم يبدأ كتابه (**التربية عبر التاريخ : من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**) بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » ؛ وليس فيه الثناء على الله والحمد له تعالى؛ بل جميع مؤلفاته التي اطلع عليها الباحث خلو من هذه الميزة ، والآيات القرآنية لم ترد في كتابه إلا في الباب الثالث ــ وهي قليلة ــ ولم يصدرها بـ « قال الله تعالى » ، بل يقول « وفي القرآن الكريم » (ص ١٤٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦) ، كما لم يعتن بالصلاة على الرسول ﷺ ، والترضي عن أصحابه رضي الله عنهم ، فهو يكتفي عند ذكر الرسول ﷺ بالرمز (ص) ، وعند ذكر الصحابي

يأتي برمز (رضي) كما في الصفحات : (١٣٤ ، ١٣٨، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٢)(١) .

كما أن المؤلف لم يعتمد الكتاب والسنة والسيرة النبوية مصادر لمحتويات كتابه ولم يشر إلى شيء من ذلك في قائمة المراجع التي جلّها مراجع أجنبية باللغتين الفرنسية والإنجليزية أو مترجمة عنهما .

٢ ـ سار المؤلف في توزيعه لمحتويات كتابه على النهج الغربي القائم على تقسيم التاريخ الإنساني الى عصور ثلاثة هي العصور القديمة ، والعصور الوسطى ، والعصور الحديثة . وقد سبقت الإشارة إلى ما ينطوي عليه هذا التقسيم من مغالطة وتجن على التاريخ الإسلامي عامة وعلى تاريخ التربية الإسلامية خاصة (٢) ، والمعيار الأساسي في تقسيم التاريخ عند المسلمين هو بعثة الرسول ﷺ فهناك عصر ما قبل الإسلام وعصر ما بعد الإسلام .

وقد تحدث المؤلف عن التربية في الجاهلية الفرعونية ، والرومانية ، واليونانية ، وفي القرن العشرين على اعتبار أنهن حضارات ، وأكثر المعلومات التي أوردها مركزة على جانب واحد من حياة الإنسان وهو الجانب المادي المتعلق بعمارة الأرض ، ولم يتضمن كتابه التنبيه ولو مرة واحدة على أن المهمة الرئيسة للإنسان هي عبادة الله عز وجل القائل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

وقد جاء عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « ألا إن ربّي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم ممّا علّمني ، يومي

---

(١) انظر : الملحق رقم (٢) .
(٢) انظر : الفصل الخامس ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

هذا ، كل ما نحلته عبداً ، حلال[1] ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم . وحَرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم . وأَمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً .. » (**مسلم : صحيح مسلم : ٢١٩٧/٤**) . فالعبودية هي أساس الحضارة ــ أي حضارة ــ بمعنى أن « الدين هو الدعامة الأساسية في نشوء جميع الحضارات ، وتقدم العلوم ، والأمم ذات الأديان السماوية هي التي شيدت الحضارات ورعتها ، في حين لم تشارك الأمم الوثنية في نشأة الحضارات ، وإن اقتبست ذلك وشاركت في تطبيقاته » (**الكيلاني : فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٢٩٣**) ، وما ذاك إلا نتيجة للتكامل بين العقيدة التي تحدد الأهداف ، والعلم الذي يثمر الوسائل لتحقيق الأهداف وفي ضوء هديها يسير ، ويتقدم .

٣ ــ احتلت أنواع التربية القديمة والحديثة في الغرب جُلَّ صفحات هذا الكتاب مدار البحث وكلها في الحقيقة سرد تاريخي يحكي خليطاً من الآراء ووجهات النظر البشرية وغثها أكثر من سمينها لأنها بنيت على تخمينات ونظريات ثبت فشل الكثير منها في بلادها ولم تبن على هدى خالق الإنسان سبحانه العليم بما يصلحه ويصلح له ، وهو الذي خلق النفوس وأوعيتها ويعلم خفاياها وما ينجيها وما يرديها باعتبار البناء التربوي الذي يقوم على هدي الله عز وجل وتوجيهه هو البناء الصالح الملائم للإنسان فقد قال الباري عز وجل : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ (الأعلى ١ : ٣) . فهو تعالى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات وهدى الإنسان لمعرفة طريق السعادة وطريق الشقاوة ومنحه الحرية ليحمله المسئولية (**ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٧٨٩**) . وقد قال تعالى مخبراً عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وأن علمه محيط بجميع أموره : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق : ١٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

---

(١) في الكلام حذف . أي قال الله تعالى : كل مال الخ . ومعنى نحلته : أعطيته . أي كل مال أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال (**النووي : شرح صحيح مسلم ، ١٩٧/١٧**) .

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل : ٩٣) . يقول (**ابن جرير**)

رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : « يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفيق من عنده ، فصرتم جميعاً جماعة واحدة ، وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون ، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم ، فجعلكم أهل ملل شتى ، بأن وفق هؤلاء للإيمان به ، والعمل بطاعته ، فكانوا مؤمنين ، وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين ، وليسألنكم الله جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم ، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته ، والعاصي له بمعصيته » (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٤/١٦٨**) .

ويبين الرسول ﷺ للناس هـذه الحقيقـة المهمة التي تحفز على العمل ، وتشـعر بالمسئوليـة ، فـقـد قـال في حديث أبي بكرة رضي الله عنه : « .. وستلقون ربكم ، فسيسألكم عن أعمالكم » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٤ / ١٦٠٠**) .

وليس من شك في أن اختلاف النظرة إلى الإنسان ـ موضوع التربية ـ أمر لازب في اختلاف أهداف التربية ووسائلها عندما لا تهتدي تلك النظرة بهدي الله ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم : ٣٠) .

وعليه فإن كثيراً مما عرضه المؤلف من آراء تربوية متباينة لم تتفق إلا في شيء واحد وهو إهمال شطر الإنسانية كاملاً فيما رأته من إعداد تربوي إذ ليس لتربية الروح الحقيقية أي اعتبار في تلك الآراء وكان تركيزها على الرغبات الجسدية وما يتعلق بها بناء على النظرة المادية للإنسان ؛ التي بلغت أَوْجَهَا في العصر الحديث فرأت دراسة الإنسان كما تدرس الأشياء المادية ، دون مراعاة لجوانبه المعنوية ؛ الروحية والأخلاقية وغيرها وقد صور (**علي عبد المعطي**) انتقاده لهذه النظرة المادية قائلاً :

« إن تشييد الدراسات الإنسانية على غرار العلوم الطبيعية بحيث تكون نموذجاً مشابهاً لها تماماً هو ضلال عقلي ، وعقم علمي ، وخطر أخلاقي : هو ضلال عقلي لأنه يتجاهل العمليات المعرفية المألوفة ، وعقم علمي لأنه لا

ينتج المعرفة التي نحتاجها ، وخطر أخلاقي لأنه يقبل تصور الإنسان على أنه شيء آخر في عالم مادي طبيعي ، والواقع أنه يجب علينا أن نعود إلى الأسس وأن نهتم بالإطار الملائم لمعرفة الإنسان » (**رؤية معاصرة في علم المناهج ، ص ٣٢١ـ ٣٢٢**) .

وإن كان عبد المعطي لم يوضح صراحة الإطار الملائم لمعرفة الإنسان فإن الأمر الذي لا يجادل فيه المؤمن أن كل بناء قام على غير ما شرع الله تعالى مما جاء به الوحي الصادق ، فمصيره إلى الزوال والدمار مهما ارتفع ، وأنه لم يأت دين بنظرة متكاملة وشاملة عن الإنسان أكمل من النظرة التي جاء بها الإسلام .

ولا مانع من الاستفادة من معطيات الأبحاث العلمية الصحيحة التي تكشف بعض طبيعة الإنسان وتقترح الطرق الملائمة لتربيته وتعليمه ؛ إذ كل خبرة من خبرات البشر لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية يمكن الانتفاع بها ، إلا أنه لا بد من التمييز بين الاقتباس الواعي ، والترجمة الحرفية المفضية إلى التبعية ؛ إذ ليس كل ما هو صالح في نظرية تربوية معينة قابلاً للتطبيق في بيئة مغايرة لبيئته التي نشأ فيها ، وقد أكد على هذه الملاحظة المهمة (**عبدالرحمن صالح عبد الله**) حيث قال :

« إن الدعوة إلى الاستفادة من خبرات الآخرين تقتضي بناء الشخصية القوية المتكاملة التي لا تنحني أمام ما يصادفها ، وقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تتفاعل بإيجابية مع الحضارات الأخرى المعاصرة لها دون أن تتأثر في أساسها بالمعتقدات التي كانت تسود تلك الحضارات . وحري بنا أن نسير على نهج السلف الصالح نبني ذاتنا ونتعرف على الأصول التربوية الإسلامية قبل التوجه إلى النظريات الأخرى لاقتباس ما يُعتقد أنه ملائم فالجسم المحُصّن أكثر قدرة على المقاومة والعمل . » (**المنهاج الدراسي ، ص ٨١**) .

وهذافي الحقيقة أمر مطلوب ومهم ، ولو أن عبد الدائم انطلق في بناء محتوى كتابه هذا من الأصول الإسلامية للتربية ، لاستطاع تناول تلك النظريات والآراء من منظور إسلامي ، ولما اكتفى بالسرد التاريخي ، والنقد الشخصي ، الذي لا يدعمه دليل .

٤ ـ نصيب تاريخ التربية الإسلامية كان ضئيلاً يمكن التمثيل له اجتهاداً بنسبة (١ : ١٠) !! من محتويات الكتاب نقل فيه المؤلف بعض المعلومات عن التربية الإسلامية من كتاب تاريخ التربية الإسلامية لأحمد شلبي وغيره وسماها بغير اسمها فقال « التربية العربية » ، وجعلها امتداداً للتربية في العصر الجاهلي .

ولم ينطلق المؤلف في دراسته لتاريخ التربية الإسلامية من الأصول والمباديء التربوية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بل أغفل هذه الأصول تماماً ولهذا جاءت مناقشته للجوانب التي نسبها للتربية الإسلامية غير دقيقة ، بل إنها تمثل فكر الأشخاص الذين أشار إلى كتاباتهم .

كما أن المؤلف لم يراع في دراسته للتربية الإسلامية التطور الزمني وتسلسله ، بل لم يحاول التمييز بين فترات الإزدهار والإبداع وفترات الجمود والتقليد كما لم يدرس القوى والعوامل التي أثرت في التربية خلال تلك الفترات ، واكتفى بعرض بعض المظاهر المتعلقة ببعض الفترات وقام بتعميم وصفها على كافة العصور الإسلامية التي مر بها تاريخ التربية .

وقد اعترف المؤلف بهذه الحقائق حيث قال :

« لا شك أن صفات التربية العربية وأهدافها تختلف اختلافاً كبيراً خلال المراحل العديدة الطويلة التي اجتازتها منذ أيام الجاهلية حتى أواخر الدولة العربية . ولو أردنا أن نتحدث عن خصائص هذه التربية في حقباتها المختلفة لوجب أن نميز بين أدوار عديدة مرت بها، لعل أبرزها أدوار خمسة :

أولها دور ما قبل الإسلام ، وثانيها ظهور الدعوة الإسلامية وثالثها دور انتشارالإسلام خارج الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، ورابعها الدور الذي جاء مع العصر العباسي ، وخامسها الدور الذي رافق تداعي الدولة العربية وانهيارها . غير أن حدود هذا الكتاب تحول بيننا وبين هذا القدر من التفصيل ولهذا في وسعنا أن نلجأ إلى قسمة ثنائية مبسطة فيها الكثير من التعميم دون شك ، هي قسمة التربية عند العرب إلى دورين كبيرين دور التربية العربية في العصر الجاهلي ، ودور التربية العربية في العصر الإسلامي » (**عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ،ص ١٢٩**).

وكما هو واضح فإن المؤلف ، يربط تاريخ التربية الإسلامية بالعرب ـ خاصة ـ ويغفل المسلمين ، وينهي تاريخ التربية بانتهاء الدولة العربية وانهيارها وهذا غير صحيح فإن تاريخ التربية الإسلامية مستمر باستمرار الرسالة الخالدة ، ويشارك فيه المسلمون من العرب ، وغيرهم .

كما أغفل المؤلف الكثير من مظاهر الإزدهار التربوي خاصة في القرون الثلاثة الأولى وأهمل عدداً من كبار المربين المسلمين في حين أنه قد أعطى أهمية كبيرة لأناس عكسوا ركود الفكر التربوي وفترات التقليد . (**الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ص ٢٢**) .

ولقد أتخذ المؤلف فكر الفلاسفة مثل إخوان الصفا ، وابن مسكويه ، وابن سينا مثالاً للفكر التربوي الإسلامي ، ومعلوم أن أولئك الفلاسفة قد تشبع نتاجهم الفكري ـ التربوي وغيره ـ بالفكر الدخيل ، وابتعد عن الينابيع الإسلامية الصافية ، ودراسته على أنه مثال للفكر التربوي الإسلامي أمر غير مقبول على أي حال ، إذ لا بد من مقابلته بالمبادىء الثابتة في الكتاب والسنة ، كما هو الحال أيضاً مع الفكر التربوي لدى غيرهم من علماء المسلمين الذين كتبوا في التربية مثل ابن سحنون ، والقابسي ، وابن عبد البر الأندلسي وغيرهم ، لما يجده الباحث المسلم بينهم من التباين في المشارب والاتجاهات ، وقد عبر عن هذه الحقيقة (**النحلاوي**) في كتابه (**التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**) حيث قال :

« إن الذين بحثوا في النفس وتربيتها من علماء الإسلام ، أومارسوا عملية التعليم قد تفاوتت مشاربهم تفاوتاً كبيراً ما بين متشبع بالفلسفة اليونانية ، ومكافح وغيور على عقيدة الأمة . وكل منهم يمثل في آرائه التربوية أو أسلوبه التعليمي المشرب الذي صدر عنه » (**ص ١٩**) .

ولكن عبد الدائم أثنى على أولئك الفلاسفة باعتمادهم على التراث اليوناني ، فعلى سبيل المثال يقول عن ابن مسكويه « لقد أفاد من معلومات الفلاسفة الإغريق ودراساتهم في التربية والأخلاق إفادات عظيمة ... وهكذا ترى ابن مسكويه في

نصائحه الأخلاقية ومباحثه التربوية والنفسية متأثر إلى حد بعيد جداً بالتراث اليوناني ، أما الآثار الشرقية من عربية وإسلامية وغيرها فقليلة » (**عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ، ص ٢٥٦**) .

ولا شك أن الباحث المسلم الناقد يجب عليه أن لا يقبل إلا ما يتفق مع الأصول الإسلامية ، ويرفض ما يتعارض معها ، بل ويكشف عنه ويجليه للآخرين ، وإجلاله لعلماء المسلمين لا يمنعه من تمحيص آرائهم التربوية ـ وغيرها ـ في ضوء التوجيه الإسلامي إذ أن آراء بعضهم لا تعدو أن تكون ممثلة لوجهة نظرهم البشرية فقط ، فعلى سبيل المثال : طريقة الشك التي حيرت الإمام الغزالي ـ أحد المربين المسلمين ـ فترة من الزمن لا تتفق والتوجيه الإسلامي القائم على الإيمان ، فالباحث المسلم يقبل آراء الغزالي في التربية إذا وافقت الأصول ، ويرفض طريقته في الشك (**عبد الله : المنهاج الدراسي ، ص ٨٠**) . ثم إن كثيراً من الفلاسفة أو من تأثروا بالفلسفة الوافدة اقتصروا على الرجال فيما ذكروه من آراء تربوية ، كإخوان الصفا الذين اختصوا الرجال بمدينتهم الفاضلة الروحانية ، (**وابن مسكويه**) ركّز في كتابه « **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** » على تأديب الصبيان وحدهم دون الفتيات ، حسبما هو واضح من عرض المؤلف له في الصحيفة رقم (٢٥٦)(١) ، وهذه النظرة التي تهمل تربية المرأة نظرة سيئة في عمومها تخالف نظرة الإسلام إلى المرأة وعنايته بتربيتها .

٥ ـ تضمن الباب الثالث من الكتاب مدار الدراسة عدداً من الأحاديث الموضوعة ؛ ومنها على سبيل المثال ما ورد في الصحيفة رقم (١٨٢) :

* إن مداد العلماء لخير من دم الشهداء .

* ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم .

---

(١) انظر الملحق رقم (٢) .

* كل يوم لا أزداد منه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم .

وكـل هذه الآثار حكم عليهـا الإمام (**الشوكاني**) رحمه اللـه في كتابـه (**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**) بأنها « موضوعة » (**ص٢٧٥ ــ ٢٨٧**) .

والواجب على المؤلف أو الباحث المسلم أن يتوقف عن قبول الحديث الضعيف شديد الضعف ، وأن يرفض الأحاديث الموضوعـة ، أو التي فيها علة تقدح في صحتها من ناحية ميزان السند [١] ، أو ميزان المتن [٢] ، وخاصـة الحديث الـذي يتعارض مع آيات القرآن الكريم ، وهذا يستلزم التعرف على السنة الصحيحة ليسهل عليه الأخذ بما صح من الأحاديث ، ورفض ما زيف عليها .

وقد سبقت الإشارة في معايير اختيار المحتوى في تاريخ التربية ــ خاصة التربية الإسلامية ــ من قبل الباحث المسلم إلى ضرورة الإهتمام بتخريج الأحاديث والاعتماد ما أمكن على الأحاديث الصحيحة ، وعزوها إلى المصادر المعتمدة ، مع بيان درجة كل حديث . حيث أن الأحاديث قد دُسَّ فيها الكثير من الموضوعات إما عن حقد موجه ، أو حب أعمى ، وربما تشتهر على ألسنة الناس أحاديث تنسب إلى رسول الله ﷺ فيأخذها بعض الدارسين في التربية أو غيرها من غير روية ولا تمحيص ، ويبنون عليها هرماً من المعرفة غافلين عن أن أساس بنائهم قائم على أرض هشة فإن أي بناء يقوم على حديث لا تعرف درجته والمصدر الذي أخذ منه يكون مثار شك في صحته وسلامة ما يبنى عليه من قضايا كحديث « اطلبـوا العلم ولو في الصين » فقد صرح ابن حبان ــ رحمـه اللــه ــ ببطلانـــه ، وعدّه ابن الجـوزي ــ رحمه الله ــ في الموضوعات ، ورواه ابن عبـد البر ــ رحمـه الله ــ عن أنس ــ رضي اللـه عـنه ــ بسند فيه كذاب (**العجلوني : كشف الخفـاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ص ١٣٨**) .

---

(١) السند : هو سلسلة الرواة الذين جاء تبليغ الحديث عن طريقهم .

(٢) المتن : هو ألفاظ الحديث نفسها دون ما يحيط بها من مقدمات أو تعليقات .

٦ ـ محتوى الكتاب محل الدراسة ـ بعموم ـ يعكس الحقيقة القائلة بأن الفكر التربوي وما نتج عنه من معرفة تربوية متداولة في المجتمعات الإسلامية اليوم ـ في جزء فاعل وكبير منه ـ يعيش حالة تبعية واضحة للفكر التربوي الغربي بدعوى العالمية ، والحداثة ، حتى أن العالم التربوي المسلم أصبح يعرف عن هذا الفكر أكثر بكثير مما يعرفه عن الفكر التربوي الإسلامي ، وما يعرفه عن واقعه ، بالرغم من ضحالة هذه المعرفة (**أبو العينين : نقد المعرفة التربوية ، ص ٢٣**) .

فلقد تضمن هذا الكتاب عرض الأفكار التربوية لما يقرب من سبعين عالماً غربياً ، عرضاً مفصّلاً في الأغلب ، بينما لم يتضمن الباب الثالث الذي خصصه المؤلف للحديث عما سماه بالتربية العربية ؛ في فصله السابع إلا بعض الأفكار التربوية لعشرة من علماء المسلمين من خلال بعض مؤلفاتهم ، مع الإشارة المجردة لأسماء أربعة آخرين [١] .

تلك بعض الملاحظات العامة على محتويات الكتاب محل الدراسة التي رأى الباحث ضرورة التنبيه عليها ، وإبرازها في ضوء التوجيه الإسلامي الذي يجب على الكاتب والباحث المسلم أن يجعله المحور لمعالجته لتاريخ التربية .

وحيث قد تضمن الكتاب مادة علمية كبيرة عن التربية خلال حقب زمنية عريضة ، قبل الإسلام ، وبعده ، فقد حمل أفكاراً تربوية تحتاج إلى بيان رأي الإسلام فيها ، وذلك عن طريق التوجيه الإسلامي ، وهو ما سينتقل إليه الباحث في الفقرة التالية .

---

(١) انظر الملحق رقم (٣) .

ثالثاً : نماذج لأفكار تربوية من الكتاب تحتاج إلى توجيه إسلامي :

حشد المؤلف في كتابه « التربية عبر التاريخ » معلومات كثيرة ومتفرقة ، بل متنافرة ومتناقضة في الأغلب ، وقد عالجها المؤلف من منطلق ثقافته الغربية ، وليس من وجهة النظر الإسلامية .

وحيث أن الجزء الأكبر من الأفكار التربوية المنثورة في أبواب هذا الكتاب وفصوله مبنية على عقائد أصحابها ونظرتهم للإنسان والكون والحياة بمنأى عن هدي الله سبحانه وتعالى ، وما بعث به رسله عليهم السلام وليس بعد الكفر ذنب .. فإن الباحث لن يستوعب الأفكار التي يرى أنها بحاجة إلى مناقشة وتوجيه ، فذلك يستحق دراسة مستقلة بذاتها ، ولكنه سوف يقتصر على نماذج للأفكار التربوية التي تبناها المؤلف ودعا إليها أو اكتفى بسردها دون مناقشة من خلال عرضه لمحتوى الكتاب ، مع مخالفتها الصريحة للعقيدة الإسلامية التي يقوم عليها التوجيه الإسلامي لكتابة تاريخ التربية ، خاصة التربية الإسلامية التي كان تاريخها ثمرة لتلك العقيدة بكل حقائقها ومقوماتها واشعاعاتها وقدرتها على صياغة الإنسان والمجتمع صياغة متميزة متفوقة ، ولن تستقيم كتابة تاريخ التربية ولا دراسته دراسة تعليل واستبطان إلا من خلال هذه العقيدة ذاتها ، وفي ضوئها أيضاً يمكن الاستفادة من منجزات ، وإبداعات الفكر البشري عامة من أجل صياغة معرفة تربوية مهتدية تهدي وترشد في بناء الإنسان الصالح المصلح .

وفي هذا الإطار يمكن إبراز نماذج للأفكار التربوية المحتاجة ـ في نظر الباحث ـ إلى توجيه ، مع محاولة نقدها وتقويمها في ضوء التوجيه الإسلامي على النحو التالي :

١ ـ في الصحيفة (٢١٣) يقول المؤلف :

« ويلاحظ بوجه عام أن علماء المسلمين حاولوا دوماً أن يربطوا أي علم من العلوم بهدف ديني ، تقىً أو تقية ، وأن يردوا أصوله إلى الدين نفسه وأن يجدوا ما يؤيده في القرآن والحديث . حتى أن علم تأويل الرؤيا نفسه ـ رغم أصوله اليونانية الواضحة ورغم تأثر العرب فيه بأرخميدوروس اليوناني وسواه ـ رده أصحابه إلى أصول دينية ووجدوا له مستندا في القرآن والحديث ، وانطلقوا فيه من قول الرسول [ﷺ] : « إن الرؤيا الصالحة جزء من واحد وأربعين جزءا من النبوة » ونسبوه إلى محمد بن سيرين لأنه كان عالماً فقيهاً . ولقد جربوا دوماً أن يقسروا العلوم المختلفة على أن تدخل في حرم ا لشريعة وتتفق معها ، حتى ولو كانت بعيدة عنها في الواقع . فتحدثوا عمّا بين إلهيات أفلاطون وأرسطو من نسب قربى مع إلهيات المسلمين وأثاروا مسألة « ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » .. وهذا كله إن دل على شيء فهو يدل على أن المكانة الأولى عندهم للدين وأن قيمة المواد التعليمية الأخرى تقاس بمقدار خدمتها للهدف الديني الأسمى ، وأن قيمة العلوم بمقدار نسبها إلى العلم الأول ، علم الإلهيات وما حوله » .

إن هذا الوصف الذي طرحه المؤلف يشير بوضوح إلى تأثره بنظريات الغرب التربوية العلمانية التي استبعدت الدين وتأثيره في جوانب العملية التربوية ، والتي قد باءت بالفشل ولم تصب الهدف ، ونادى مناديهم بأن « يكون الدين روحاً فياضة في قوة وتوثب يطبع المنهج التربوي كله ، والحياة المدرسية ، والعمل المدرسي بجميع جوانبه ومجالاته بحيث تتهيأ الفرص الطبيعية المواتية لتلاميذنا حتى يشبّوا وهم يقدمون خضوعهم وولاءهم لله من تلقاء أنفسهم وعن طيب خاطر » (**النشمي : معالم في التربية ، ص ٤٧**) ، وقد أسند هذا القول للعالم التربوي جيمس دوس .

ولكن مع أن أولئك القوم توصلوا إلى تشخيص دائهم التربوي إلا أنهم لم يستطيعوا حل قضيتهم .. ولو أن المسلمين أخذوا تشخيصهم للمشكلة ، فإنهم لن يحاروا في حلها وبالغ الحيوية والسهولة . والسبب في هذا الاختلاف واضح ؛ فالدين الذي يرونه قادراً على حل أزمتهم التربوية من حيث تحريك الوجدان والأحاسيس لتغيير

الواقع النفسي والحياتي .. لا يمثله دينهم المحرف ، كمنهج للحياة شامل متكامل يخاطب الفطرة الإنسانية مباشرة . أما المسلمون فإنهم يملكون ذلك المنهج المتكامل ، يملكون الإسلام ؛ إسلام التربية ، إسلام التوجيه ، إسلام المنهج المتكامل .

إن الإسلام يحمل المؤهل الوحيد القادر على قيادة البشرية وتربيتهم ، كما قاد حضارة البشرية قروناً متطاولة حقق فيها ما لم يتحقق من قبله ، ولا من بعده ، إلا في ظله وسيبقي طوداً شامخاً تجد فيه البشرية الحلول الناجعة لما هي فيه من أزمات تربوية وغيرها .. ولكن على المسلمين أن يعودوا إليه بعزيمة وصدق إيمان ، ويتربوا على منهجه التربوي المتكامل ، ويستفيدوا من تاريخه ، وبذلك يستطيعوا قيادة البشرية كما قادها أسلافهم (**المرجع السابق ، ص ٤٨**) .

تلك حقائق رأى الباحث ضرورة تقديمها بين يدي مناقشة ما تضمنته ملاحظة المؤلف بشأن محاولة علماء المسلمين ربط أي علم من العلوم بهدف ديني ، ولقد وصف المؤلف تلك المحاولة بصفتين كلاهما صواب ولكن بشرط التفصيل : فهي إما « تقىً » وذلك من قبل العلماء الذين اهتدوا بالنصوص الشرعية المتضمنة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولم ينحرفوا في فهمها وتأويلها ، وعلموا أن كل علم في الإسلام موصول بالله تعالى ، وهذا هو المفهوم العام للتربية في الإسلام الذي قوامه تنشئة الإنسان الصالح ، وسائر العلوم في الإسلام تلتقي على صعيد واحد لأنها تسهم في تحقيق العبودية لله عز وجل ، وغرس الإيمان في النفوس .

أما الصفة الثانية وهي قوله « تقية » فهذه محاولة الفلاسفة الإسلاميين الذين ابتعدوا عن روح الإسلام بقدر ما نالهم من تأثير الفلسفات المخالفة للإسلام ، والمناقضة لتوجيهاته ، فقد حاولوا في آرائهم التربوية وغيرها أن يربطوا بين الإسلام والفلسفة الوافدة ، وعليهم وحدهم ينطبق قول عبدالدائم السابق : « ولقد جربوا دوماً أن يقسروا العلوم المختلفة على أن تدخل في حرم الشريعة وتتفق معها ، حتى ولو كانت

بعيدة عنها في الواقع . فتحدثوا عما بين إلهيات أفلاطون وأرسطو من نسب قربى مع إلهيات المسلمين وأثاروا مسألة ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، والأمر الذي يجب التنبه له أن الفلاسفة لم يقدروا على التوفيق بين الإسلام وبين الفلسفة ، وما كان ينبغي للمؤلف أن يطلق مثل هذه الأوصاف العامة العائمة بدون إيضاح وتفصيل ، خاصة أن ما رآه الفلاسفة لا يعبر عن رأي الإسلام الصحيح ، بل إن فيه إساءة ضد الإسلام ، وتشويه لنقاء توجيهاته ، اتخذها أعداء الإسلام حجة لهم في النيل منه ، ومن أهله ، وتاريخهم في مجال التربية وغيره من المجالات .

أما علم تأويل الرؤيا الذي أشار المؤلف إلى أن علماء المسلمين حاولوا أن يردوا أصوله إلى الدين ، وما زعمه من أن أصول هذا العلم يونانية دون أن يقدم دليلاً على هذا الزعم ، فإنه علم إسلامي ، وأصوله موجودة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فأول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عند (**البخاري**) في كتابه (**صحيح البخاري : ٦/٢٥٦١**) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح : ٢٧) ، والحديث الذي أورده المؤلف حديث صحيح رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (**المصدر السابق ، ٦/٢٥٦٤**) ، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « الرؤيا الصالحة » (**المصدر السابق ، ٦ / ٢٥٦٤**) .

أي أن علم تأويل الرؤيا باق ببقائها ، فالوحي قد انقطع بموت النبي ﷺ، ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا . والله تعالى أعلم .

٢ ـ في الصحيفة (٢٦٤) يقول المؤلف :

« ونستطيع أن نقول بدون ما غلو إن الحضارة العربية عرفت بدء أُفولها يوم افتقدت التوازن الأصيل بين التربية الإنسانية ، وبين التربية العلمية التجريبية .. » ثم يواصل حديثه إلى أن قال : « ولعل على رأس العوامل التي أدت إلى تداعي حضارة العرب غلبة العناصر غير العربية عليها في أواخر أيامها ، ودخول أخلاط المغول والترك والتتر ، وضعف الروح العربية الأصيلة .. » .

من الواضح أن المؤلف يقصد بحديثه هذا الحضارة الإسلامية ، ولكنه قصرها على العرب ظلماً وعدواناً .

أما التحليل الذي أورده في هذه الفقرة بشأن بدء أفول الحضارة وتداعيها ؛ فإنه تحليل ناقص . ينتمي في شقه الأول إلى التفسيرات المادية للتاريخ ، وفي شقه الثاني يعبر عن تفسير قومي عنصري متهافت .

وباختصار يمكن توجيه هذا التحليل بأن أهم سبب أدى إلى تدهور الحضارة الإسلامية ، هو بُعْدُ المسلمين عن تحقيق الهدف الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه ، وهو بناء الشخصية المؤمنة بالله تعالى العارفة لهدف وجودها في الحياة ، والتي تعرف كيف تعمر الأرض وفق شريعة الله تعالى ، وتقيم المجتمع الرباني ، وفق منهج الله عز وجل ، وتدفع الحياة كلها ـ عن طريق عبادة الله سبحانه وتعالى بمعناها الإسلامي الشامل ـ إلى ما فيه النجاح والصلاح في الدنيا والآخرة ، إضافة إلى أسباب أخرى داخلية ، وخارجية أيضاً .

أما أصول الحضارة الإسلامية فإنها باقية ما بقي الإسلام ، ولكن هذه الحضارة بحاجة إلى أن تستعيد عافيتها ، وبحاجة إلى من يحافظ عليها . ولن تسد تلك الحاجات إلا بنواتج التربية الإسلامية الحقة ، والتي يحمل تاريخها نماذج واقعية لتلك النواتج ، يمكن الاقتداء بها ، وعلى قمتها نموذج عصر الرسول ﷺ ، وما تلاه من

العصور المفضلة ، ومن سار على نهجها ، وإن كانت الأمة الإسلامية اليوم غير مؤهلة لذلك ، إلا أنها سوف تستعيد مكانتها إن شاء الله بهذه الصحوة الإسلامية المباركة التي عمت أرجاء المعمورة ، والعاقبة للتقوى .

٣ـ في الصحيفة (٣٤٣) تحدث المؤلف عن التربية الخلقية والدينية في القرن السابع عشر ، ومما قال :

« يطلب « فينيلون » .. أن نقدم للأطفال منذ سن مبكرة الحقائق الخلقية والدينية في قالب حسي عياني ، وعن طريق صورة مستمدة من التجربة . وعلينا فيما يرى ألا نخشى أن نحدثهم عن الله حديثا عن شيخ جليل أبيض اللحية [تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً] .. ثم قال وفي وسعنا أن نصلح عن طريق العقل عندما يشبون ، هذه الأوهام التي يكونونها في صغرهم ، والتي تتناسب [حسب زعمه] مع خيال الطفل » .

إن هذا التقرير من قبل المؤلف لفكرة ملحدة تناقض تماماً العقيدة الإسلامية الصحيحة في نوع من أنواع التوحيد ، وهو توحيد الأسماء والصفات (١) الذي سماه (**ابن القيم**) رحمه الله « توحيد العلم ، ومداره على اثبات صفات الكمال لله تعالى ، وعلى نفي التشبيه والمثال ، والتنزيه عن العيوب والنقائص» (**مدارج السالكين ، ١ / ٣٥**) .

وعقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه ، وما

---

(١) التوحيد الذي دعت إليه رسل الله عليهم السلام ، ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في الإثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد .

فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله ﷺ ، كما في أول سورة « الحديد » و« طه » وآخر « الحشر » وأول آل عمران ، وسورة الإخلاص بكاملها ، وغير ذلك .

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد ، مثل ما تضمنته سورة « قل يا أيها الكافرون » ، و« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ..) (آل عمران : ٦٤) وأول سورة « يونس » وأوسطها وآخرها ، وجملة سورة « الأنعام » (**الحنفي : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ص ٣٥**) .

نفاه عنه رسوله ﷺ، وقد قال تعالى عن نفسه : ﴿ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ .. ﴾ (البقرة : ١٤٠) ، وقال عن رسوله ﷺ :﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ، ٤) ، وذلك من غير تمثيل ، ولا تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل (**ابن بطة : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص ١٨٧ ـ ١٩٢ ص ، ٢١٣ ـ ٢١٨**) .

ويكفي في هذا المقام الإشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١١) ، فقد نزه سبحانه نفسه عن مماثلة المخلوقات ، وأثبت أسماءه وصفاته على وجه الكمال المطلق ، ففي قوله : (ليس كمثله شيء) ردّ للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله : (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) ردّ للإلحاد والتعطيل (**ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٣/٣ ، ٤**) .

والملفت للنظر أن المؤلف قد عقب على أفكار « **فينيلون** » التربوية ووصفها بأنها « ناقصة .. » و« صبيانية إلى حد بعيد .. » (**ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧**) أما تلك الأفكار المعارضة للعقيدة الإسلامية ،فقد أكدها وحاول أن يبرر لها في الصحيفة (**٣٤٣**) (١) ، وعبرّ عنها بألفاظ يحرم على المسلم استعمالها في جنب الله عز وجل .

---

(١) انظر الملحق رقم (٢) .

٤ ـ وردت في مواضع متفرقة من الكتاب عبارات إلحادية تنافي العقيدة الإسلامية :

منها على سبيل المثال :

ـ بعد أن قدّم المؤلف لعرضه لكتاب هربرت سبنسر بهذا القول المفرط في المغالاة « لو كان يكفي في العلم أن نحدد غايته تحديداً دقيقاً ، وأن ندلّ على الطريقة الصحيحة في تكوينه لكان كتاب (**هربرت سبنسر**) الشهير (في التربية الفكرية والخلقية الجسدية) مؤلفاً وافياً في هذا الباب محققاً ذلك الغرض » (**عبدالدائم : التربية عبر التاريخ ، ص ٤٨٠**) ، يأتي في الصحيفة نفسها ليعرض بأسلوبه الخاص الفكرة التربوية التالية بما تحمله من إلحاد إذ يقول « وفي المرحلة الأولى من التربية ... تكون حاجتنا إلى العلم قليلة . فالتربية في تلك المرحلة ينبغي أن تكون سلبية إلى حد كبير ، لأن الطبيعة ـ كما يقول ـ قد أخذت على عاتقها أن تبلغنا مصيرنا » ، وما الطبيعة إلا مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى ، مسخرة لخدمة الإنسان ، والذي يعلم مصير الإنسان ويبلغه إياه هو الله عز وجل ، وليس الطبيعة .

ـ ويعقبها بفكرة إلحادية أخرى في الصحيفة (**٤٨٧**) عند عرضه لجانب التربية الفكرية في كتاب سبنسر ، بعد أن أشاد بهذا الجانب بقوله « وهو جانب أدنى إلى العمل والتطبيق » يقول : « يقرر سبنسر أن على التربية أن توجه بفكرة ا لتطور ، أي بالمجرى المتطور لكائن يصنع نفسه ويخلق ذاته شيئا بعد شيء ، وينمي بالتدرج ، وفق قوانين ثابتة ، طاقات كامنة في الأصل في البذور التي تلقاها من يد الطبيعة أو التي انتقلت إليه بالوراثة » .

وعلى قدر ثقافة المؤلف يعقب على آراء سبنسر الإلحادية بقوله : « ومهما يكن من أمر ، فإن مما يؤخذ على « سبنسر » أنه قرر ، سواء فيما يتصل بالتربية الخلقية أو بالتربية الفكرية ، أن خير طريقة هي الطريقة التي تقترب من الطبيعة اقتراباً أكبر. وهكذا نرى أن فكرة العودة إلى الطبيعة، التي كانت من خصائص

نظريات « روسو » وأعمال « بستالوتزي » ، هي أيضا السمة البارزة في مذهب سبنسر التربوي » (**ص ٢٩٤**) .

ويحسب الباحث أن هذا التعقيب لا يرضى به باحث مسلم يدرس تاريخ التربية العامة ومن واجبه أن يدحض مثل هذه الأفكار المنبثقة من النظريات الإلحادية التي قامت في وجه الدين ، والتي يبادر الباحث إلى القول بأنها لم تكن مدركة للأبعاد الحقيقية للدين بمعناه الصحيح ، وهو الأمر الإلهي الذي يقود البشر باختيارهـــم إلــى ما يصلحهم في الحال والمآل ، بالمفهوم الإسلامي للدين .

ومن تلك النظريات الإلحادية التي تأثر بها الفكر التربوي لدى الغرب والذي تمّ نقله للمجتمعات الإسلامية نظرية التطور « التي تتحدث عن نشأة الحياة على الأرض وتطورها حتى ظهور الإنسان ، والتي تفترض أن هذا الكون قد بدأ بالصدفة نتيجة لحدوث تفاعلات كيميائية في المادة نتج عنها تكوّن أول حيوان أولي هو الإميبيا والذي تطور إلى حيوانات مختلفة حتى تكوّن القرد ثم منه تطور الإنسان » (**بوقحوص : دراسة تحليلية لاتجاه عينة من طلاب مرحلة التعليم الثانوي بدولة البحرين نحو نظرية التطور ، مجلة البحث في التربيــة وعلــم النفس ، ع يوليو ١٩٩٤ م ، ص ٥٧**) .

وكما هو واضح فإن هذه النظرية منافية تماماً للعقيدة الإسلامية التي يقوم عليها الفكر التربوي في الإسلام ـ فضلاً عما ثبت من تهافتها وبطلانها في الغرب نفسه بآراء ونظريات أخرى ليس من مسؤولية هذه الدراسة الاستشهاد بها هنا ـ ولكن الشيء الذي يدعو للأسى هو أن تلك النظرة لا تزال تدرّس لأبناء المسلمين ضمن مناهج العلوم بمرحلة التعليم الثانوي في كثير من البلدان العربية والإسلامية ، ويروج للأفكار التربوية المبنية عليها كثير ممن كتبوا عن تاريخ التربية بثقافة تمت في محراب الفكر الغربي ، وما أفرزته عقلية علمائه ، كما فعل عبد الدائم بنقله لآراء سبنسر آنفة الذكر .

وفي سبيل التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية يجب على الباحث المسلم أن ينقي دراساته من أية فكرة تناقض العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وان كان ثمة حاجة تدعولدراسة مثل تلك الأفكار ؛ فالواجب عليه أن يفندها وأن يقرر في مواجهة مثل نظرية التطور ـ بوضوح تام ـ ما قرره الإسلام في مصادره الأساسية المتمثلة في الكتاب والسنة ، والفهم الإسلامي الصحيح لنصوصهما ، فالله عز وجل هو الذي ﴿ ..خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ (الفرقان : ٢) ، وهو الذي ﴿ ..خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (الجاثية : ٢٢) ، وهو الذي ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (العلق : ٢) ، وهو ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ (الأعلى : ٢) ، وهو ﴿ ٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ (الأعلى :٣) ، وهو سبحانه المبدأ والغاية لكل الكائنات ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (الروم : ١١) ، كما أن سعي الأحياء نحو غايتها إنما يتم حسب سُننه الفاعلة لأنه عز وجل هو ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٥٠) يقول (**الشنقيطي**) ـ رحمه الله ـ معلقاً على أقوال العلماء في تفسيرهم لهذه الآية :

> « ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ؛ لأنه لا شك أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به . ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والإجتماع ، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به فسبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه وأكمل قدرته .
>
> وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا : « لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » (القصص : ٨٨) (**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ٤ / ٤١٩**) .

ولا شك أن مثل هذا الاختلاف بين علماء السلف في معاني الآيات ليس اختلافاً حقيقياً متضاداً ، ولكنه اختلاف تنوعي ، والآيات تشمل جميعه ، وينبغي حملها

على الشمول ، وتلك نظرة عامة للنصوص الشرعية ، إلا ما ورد تقييده بمعنى خاص بموجب نص قاطع ، ليس للاجتهاد فيه مجال .

٥ ـ من مباديء التربية الحديثة التي اجتهد المؤلف في إبرازها وتأييدها ، بالإعتماد على آراء المربين المحدثين في الغرب مبدأ التربية المختلطة . فهو يقول في الصحيفة (٥٣٢) تحت عنوان : التربية المختلطة : « يجدر بالمدرسة الحديثة التي تحاول أن تحقق التربية الأسرية أن تضم ضمن جدرانها أطفالاً ومراهقين من كلا الجنسين » ، ثم يستعرض موقف المربين المحدثين من هذا الأمر قائلاً في نفس الصحيفة :

« بعضهم ينتصر ـ كالتربية التقليدية ـ لانفصال الجنسين ولا سيما في سن المراهقة ، أي في المدارس الثانوية ، وهذا ما يذهب إليه أمثال الدكتور ردي والدكتور ليتز وسواهما .. وفريق آخر يرى أن من بين الأفكار التي ينبغي أن تحرص عليها التربية الحديثة ، فكرة التربية المختلطة : فانجذاب الفتى إلى الفتاة (والعكس) أمر لامراء فيه » ثم أورد المؤلف عددا من الحجج المؤيدة لمبدأ الإختلاط ، مقرراً النتيجة التالية : « وهذا دليل على أن التوتر الجنسي في المدارس المختلطة أقل وأضعف، الأمر الذي ينبىء عن صحة خلقية جيدة » (**الصحيفة ٥٣٣**) .

وإن من المؤلم حقاً أن الترويج لمثل هذا المبدأ المتعارض مع التوجيه الرباني ، من قبل بعض المؤلفين والمربين في العالم الإسلامي قد أدى إلى سير كثير من البلدان الإسلامية على نهج الغرب في تطبيق النظام المختلط في التعليم ، مع وضوح ما فيه من تآمر فاضح على المجتمعات الإسلامية من أجل إفسادها ، وتوهين بنية أجيال المسلمين .

والواجب الإسلامي يحتم على الباحث أو المؤلف المسلم عند حاجته إلى عرض مثل هذه المبادىء الهدامة أن يفندها ، وأن يبرز بوضوح تام موقف الإسلام من هذه القضية التربوية التي تعتبر اليوم من أهم مشكلات التعليم في العالم الإسلامي ،

خاصة أن موقف الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية موقف حاسم في معالجتها ، إضافة إلى الآثار السيئة التي كشفت عنها التجربة الغربية في الاختلاط ، وما نتج عنه من مساوىء بين الأطفال والشباب ، ذكوراً وإناثاً .

إن الإسلام يحرص في تربيته على أن تسود المجتمعات الإنسانية خصال الخير والأدب والعفة والحياء والحشمة والوقار ، ومن المستحيل أن يتم ذلك عندما تختلط النساء بالرجال ، وقد قال الله تعالى مخاطباً النساء : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب : ٣٣) ، يقول (**السعدي**) رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : اقررن في بيوتكن لأنه أسلم واحفظ لكن ولا تكثرن الخروج كعادة أهل الجاهلية الأولى الذين لا علم عندهم ولا دين ، فكل هذا دفع للشر وأسبابه (**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٦/ ٢١٩**) وأهل جاهلية اليوم عندهم علم ، ولا دين لهم يحمي من الفساد ودواعيه .

ويقول الله تعالى موجهاً الأمر لمعلم الناس الخير محمد ﷺ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .. ﴾ (النور : ٣٠ ، ٣١) . يقول (**ابن كثير**) ـ رحمه الله ـ « لما كان النظر داعية لفساد القلب أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك » (**تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٤٥١**) .

وعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء » (**البخاري : صحيح البخاري ، ١٩٥٩/٥**) ، أي سبباً للفتنة إذا خرجن واختلطن بالرجال ، لا سيما إذا كن سافرات متبرجات ، فيفسدن على الرجال أمر دينهم ودنياهم .

وعن جرير بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه ـ « قال : سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن اصرف بصري » (**مسلم : صحيح مسلم ، ٣/١٦٩٩**) ، وفي هـذا التوجيه النبوي الكريم تربية وقائية وعلاجية ، تقي المسلم مما يفسد عليه دينه ، وتدلّه إلي ما يعالج به ما يعرض له من عوارض .

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قالت النساء للنبي ﷺ: غَلَبَنَا عليـك الرجـال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهـن .. » (**البخاري : صحيح البخاري ١ / ٥٠**) ، وفي رواية أخرى جاءت أمرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله : ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه ، تُعَلِّمُنا مما علّمك الله ، فقال : اجتمعن في يوم كـذا وكذا ، في مكان كذا وكـذا » فاجتمعن ، فأتاهن رسول الـله ﷺ فعلّمهـن ممـا علّمـهُ اللّـهُ .. » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٥ / ٢٣٥٥**) .

وهذا يعتبر أصلاً في تعليم المرأة ، ومنع التعليم المختلط ، وتخصيص أماكن وأوقات معينة لتعليم النساء . (**الحربي : التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ ، ص ٢١٨**) .

هذه نماذج للتوجيهات الإسلاميـة التي تسد الذرائع ، وتحظر اختلاط الرجال بالنساء ، حفاظاً على الأخلاق والقيم الإسلامية من أن يتسلل إليها الخلل ، أو يصيبها الإنهيار .

٦ ـ **في الصحيفة (٥٣٨) يقول المؤلف :** « والقول بخبث الطفل الطبيعي لا يستند إلى الملاحظة الصادقة ، وإنما يستند إلى عقيدة الخطيئة الأولى خطيئة آدم ، التي ينتج عنها ـ كما يقول ـ الرأي الشائع ، أن يأتي الإنسان إلى هذا العالم محمّلاً بالنزعات الفاسدة الشريرة » .. ولم يعلق المؤلف على هذه الفكرة المنافية تماماً للعقيدة الإسلامية ، وقد فندها (**سيد قطب**) ـ رحمه الله ـ بقوله :

« في التصور الإسلامي ليست هنالك خطيئة موروثة . إنما هناك تبعة فردية ومعصية . وتوبة بابها مفتوح على الدوام .. والقاعدة التي قامت عليها الخطيئة الموروثة في المسيحية وهي الأكل من الشجرة باعتبارها عندهم رمز للمباشرة الجنسية ليست هكذا في حس الإسلام ، إنما هي وظيفة فطرية . يناط بها امتداد الحياة وارتقاء الحياة . والقيام بالخلافة في الأرض . وتحاط بالضمانات . ويرسم لها المنهج الذي تؤتي فيه ثمارها طيبة نقية طاهرة بلا كبت لها ولا إفراط .. » (**مقومات التصور الإسلامي ،ص ٣٧٠**) .

وهذا تلخيص لمعاني الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تدحض تلك العقيدة الباطلة ، وتوضح العقيدة الإسلامية في هذه القضية ، فالباري عز وجل يقول : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه :١٢١ ، ١٢٢) ،وجاء في صحيح الإمام (**البخاري**) ـ رحمه الله ـ أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجَّ آدمُ وموسى فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قد قدّر عليّ قبل أن أُخلق » . فقال رسول الله ﷺ : « فحجّ آدمُ موسى » مرتين (**صحيح البخاري . ٣ / ١٢٥١**) .

هكذا أتى كل واحد من النبيين آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ بحجة على ما يقول ، وكانت حجة آدم تتضمن أنه ظهر بعد الوقوع أن الله تعالى قدر عليه أن يفعل ما فعل لحكمة يعلمها سبحانه ، وليس لموسى أن يلومه على أمر ظهر أنه قَدَرُ الله تعالى ، لا سيما وقد تاب ، وتاب الله عليه ، فلا يلام أحد شرعاً بعد التوبة ، فغلب آدمُ موسى بالحجة وظهر عليه بها (**المصدر السابق : ٣ / هامش ص ١٢٥١**) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (طه : ٨٢) ، إشارة إلى سنة إلهية من سنن الله عز وجل حول قضية الذنب والتوبة ، باعتبار الذنب افرازاً حتمياً لطبيعة البشر ، والتوبة اصلاحاً لهذه الطبيعة .

وأكثر من هذا ما يقضي به فضل الله عز وجل حيث أنه بتمام الإيمان وحصول العمل الصالح والاهتداء تتحول السيئات إلى حسنات كما قال الله تعالى :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (الفرقان : ٧٠) .

تلك نماذج من النصوص الدالة على عقيدة المسلمين بخصوص قضية المعصية وفي ضوئها يجب أن توجه الفكرة التي أوردها المؤلف جزافاً .

٧ ـ يكثر المؤلف في مواضع متفرقة من كتابه مدار البحث من انتقاد التربية التي يصفها بـ « التقليدية » في مقابل « التربية الحديثة » .

وهذا في الواقع أمر جرت عليه الكتب التربوية الغربية ، وما ترجم عنها إلى اللغة العربية ـ خاصة في تاريخ التربية ـ فالغربيون يطلقون لفظ « تقليدي » على التعليم الإسلامي ، والتربية الإسلامية المستمرة خلال عصور التاريخ الإسلامي ، في مقابل النظام الحديث ، والتربية الحديثة التي نقلتها المجتمعات الإسلامية عن الغرب بما يكمن وراءها من مفاهيم ونظريات فلسفية وعقائد معارضة للإسلام . ومع الأسف الشديد نقل المؤلفون المسلمون الذين كتبوا في تاريخ التربية هذا الوصف عن الغرب واستعملوا عبارة تعليم تقليدي ، وتربية تقليدية .

وحيث أن كلمة تقليدي ، أو تقليدية تتضمن في ذاتها حكماً تقويمياً ليس في جانب التربية الإسلامية ، فقد فطن لذلك بعض المربين المسلمين ، ودعوا إلى عدم استعمالها لما تنطوي عليه من معاني التقبيح والاستهجان (**المبارك : بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، ص ٨**) .

وحسناً ما رأوا ؛ فإن التربية الإسلامية تقوم على المصدرين الأساسين في الإسلام كتاب الله العزيز ، وسنة رسوله الكريم ﷺ ، وقد تضمنا من الأصول والمبادىء التربوية ما فيه صلاح البشرية وفلاحها في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

أما التربية الحديثة فإن فيها مناهج للبحث ، وأساليب للعرض وفي الإطلاع عليها والأخذ بأحسنها في ضوء التوجيه الإسلامي فائدة لا تنكر .

ومجمل القول أن الدين الإسلامي الذي تُستمد منه التربية الإسلامية فيه من المبادئ والقواعد العامة الثابتة ما يصلح لكل زمان ومكان ، ويناسب البشرية على اختلاف أزمانها وظروفها ، ويتناسب مع فطرة الإنسان الثابتة ، ويزكي هذه الفطرة ويحافظ عليها ، في الوقت الذي يسمح فيه بأن تأخذ التربية بأحسن وأنسب ما ينتجه الفكر البشري من الوسائل المعينة على تحقيق الأهداف ، والربط بين الماضي ، والحاضر ، والمستقبل .

هذه نماذج لأبرز الأفكار التربوية التي رأى الباحث أنها من أهم القضايا والآراء التربوية التي تناولها المؤلف في كتابه مدار البحث بصورة بعيدة عن المعالجة الإسلامية ؛ التي يجب أن تتم من قبل الباحث المسلم في تاريخ التربية من خلال التوجيه الإسلامي القائم على النصوص الإسلامية الثابتة في الكتاب والسنة باعتبارها المقاييس التي يجب استثمارها في غربلة الفكر الإنساني التربوي وتقييمه في ضوء المنهج الإسلامي الذي يصدر عن تلك النصوص الإسلامية ويعود إليها .

وتخلص الدراسة بعد هذه الرؤية النقدية في ضوء التوجيه الإسلامي بما يلي :

١ ـ أن من الأهداف التي يجب أن تحرص الكتابات التربوية في مجال التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية على تحقيقها نقد وتقويم ما تعرض له من قضايا وأفكار تربوية وضعية في ضوء التوجيه الإسلامي ، باعتبار الإسلام هو المحدد للمعطيات الحقيقية للإنسان والمجتمع والحياة والكون ، وعلاقة بعضها ببعض ، ومن ثم علاقة كل منها بالخالق المدبر عز وجل .

٢ ـ أن كتاب (**التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**) لمؤلفه (**عبد الله عبد الدائم**) يمكن اعتباره نموذجاً لما كُتب عن تاريخ التربية استناداً على الفكر التربوي الغربي ، مع الإطلالة القاصرة على تاريخ التربية الإسلامية ، وذلك للأمور التالية :

- ثقافة المؤلف غير الإسلامية حيث تأثر في جانب الفلسفة بأفكار وآراء الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، وفي جانب التربية تأثر بالمربين الفرنسيين أمثال رونيه أوبير ، وغي أفانزيني ، الأمر الذي نمى لديه التحمس للأفكار والمبادئ التي قامت عليها التربية الحديثة في الغرب ، ثم انتشرت في البلدان الإسلامية عن طريق الغزو العسكري ، والفكري .. الذي كان من وسائله الترجمة ، والنقل الحرفي من الكتب التربوية الغربية .
- اغفال المؤلف لتاريخ التربية الإسلامية في طبعته الأولى لكتابه مدار البحث ، ثم تناوله لها في الطبعات التالية بطريقة قاصرة ومن خلال رؤية التربية الحديثة ، ومضايقتها بتواريخ التربية الأخرى .
- تفاني المؤلف في عرض الأفكار والآراء التربوية للشخصيات الغربية ، حيث شغلت غالب صفحات الكتاب ، مع عرضه لأفكار عدد قليل من علماء المسلمين في التربية ، وتركيزه على الفلاسفة لصلتهم بالفلسفة اليونانية .
- اتباع المؤلف في توزيعه لمحتوى كتابه للمنهج الغربي ، القائم على تقسيم التاريخ الإنساني إلى عصور ثلاثة هي : العصور القديمة ، والعصور الوسطى ، والعصور الحديثة ، مع ما فيه من تجن على التاريخ الإسلامي ومنه تاريخ التربية الإسلامية .
- حشد المؤلف في كتابه كثيراً من الأفكار التربوية المتعارضة مع روح الدين الإسلامي وعقيدته ، دون التنبيه عليها أو تفنيدها لقلة ثقافته الإسلامية ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

٣ - من أبرز الأفكار التربوية التي أوردها المؤلف في كتابه والتي رأى الباحث أنها بحاجة إلى توجيه إسلامي ، عن طريق نقدها، وبيان وجه الصواب فيها ما يأتي :

- ملاحظته على علماء المسلمين في محاولتهم ربط أي من العلوم بهدف ديني ، « تقىً أو تقيه » كما قال .

- قصره للحضارة الإسلامية على العرب ، وتفسيره لبدء أفول تلك الحضارة وتداعيها بتفسيرات مادية ، وأخرى قومية عنصرية .
- تقريره لكثير من الأفكار التربوية المبنية على النظرة الإلحادية المناقضة للعقيدة الإسلامية الصحيحة .
- دعوته لمبدأ التربية المختلطة ، مع مخالفتها الصريحة للنصوص الإسلامية ، وما نتج عنها من آثار سيئة في البلدان التي وجدت فيها .
- انتقاده في مواضع متفرقة من كتابه للتربية التي يصفها بـ « التقليدية » في مقابل التربية «الحديثة» جرياً على عادة الغربيين الذين كتبوا عن تاريخ التربية ، وأطلقوا لفظ « تقليدي » على التعليم الإسلامي ، والتربية الإسلامية .

وجميع هذه النقاط تؤكد ما أشارت إليه فصول الدراسة المتقدمة من الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية في ضوء معايير مستقاة من المصادر الأساسية في الإسلام ، وإعادة كتابة هذاالتاريخ في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة ، والتفسير الإسلامي للتاريخ .

ولقد حاول الباحث بقدر ما تسمح به مقتضيات هذه الدراسة أن يناقش تلك الأفكار ، في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وان يستبين التوجيه الإسلامي لتلك الأفكار ، آملاً أن يكون قد اقترب من تحقيق استثارة انتباه الباحثين المسلمين عند دراستهم لتاريخ التربية ، إلى أهمية تمحيص ما تتضمنه المؤلفات في هذا المجال من أفكار وقضايا - لم يكن كتاب عبد الله عبد الدائم مدار البحث إلا نموذجاً لها - وليكن ذلك في ضوء الكتاب والسنة ، والفهم الصحيح لنصوصهما ، ودلالاتها ، من أجل إبراز تاريخ التربية الموجه توجيهاً إسلامياً ليساهم في تحقيق التربية المنشودة لأجيال المسلمين والله من وراء القصد .

الخاتمة

الخلاصة

التوصيات

المقترحات

الخاتمة

كما بدأتُ هذه الدراسة بالحمد لله ، أختمها بالحمد والشكر له سبحانه

وبعد .. فإن دراسة التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية دراسة شائقة ، شائكة .

فهي شائقة بقدر ماتستثير في نفس كل مسلم من رغبة في أن يقف على توجيه الإسلام لقضايا تاريخ التربية ، بل لقضايا التربية والتعليم ، والحياة ، والسنن الإلهية التي في ضوئها تفسر أحداث التاريخ ووقائعه . وأن يتعمق إيمانه بأن الإسلام هو الدين الشامل الكامل الذي يوجّه كل جوانب الحياة ، وهي شائقة أيضاً بقدر ما تزود المؤمنين بالتوجيه الإسلامي من قدرة على التأمل الواعي في حقائق الكون والإنسان ، والحياة ، من خلال توجيهات الوحي الصادق في الكتاب والسنة ، وبقدر ما تزودهم به من القدرة على الدفاع عن تاريخ التربية خاصة التربية الإسلامية ، ورد السهام التي توجه إليه من الأعداء .

وهي في الوقت نفسه دراسة شائكة بقدر ما تطرحه من قضايا وتساؤلات ، وبقدر ما تفرض على الدارسين لتاريخ التربية من مهام ومتطلبات ، يلزمهم القيام بها ؛ توضيحاً للمفاهيم ، واستجلاء لأهمية هذا المجال ، ودواعيه ، واستنباطاً لمعاييره من الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة ، والفكر الإسلامي الصحيح ، ونقداً وتقويماً للآراء والتطبيقات التربوية البشرية في ضوء التوجيه الإسلامي ، للوصول بتاريخ التربية إلى هيئة سليمة تجعله قادراً على المساهمة في إعداد الشخصية المسلمة الحقة .

وهذه الدراسة محاولة علمية في هذا الطريق الشائق الشائك ؛ وقد تضمن فصلها الأول الخطة التي سارت عليها ، من أجل تقديم تصور إسلامي لتاريخ التربية يميزه عن التاريخ القائم على النظريات الغربية والشرقية ، ينطلق من منهج الله تعالى عقيدة وشريعة ودستور حياة ، ويعطي إشارات عامة عن الكيفية التي يمكن أن يوجه بها

تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً يشمل الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة التي يتم بها عرضه ، وصفات الباحث .

ولما لتحديد المفاهيم والمصطلحات من أهمية في بناء التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية فقد حاولت الدراسة من خلال فصلها الثاني أن تكشف عن هذه الأهمية ، ومن ثم تعرضت بالتفصيل لمجموعة من المفاهيم الأساسية الواردة في هذه الدراسة ، تتمثل في : المفهوم الإسلامي للتاريخ ، ومفهوم تفسير الإسلام للتاريخ ، والمفهوم الإسلامي لتاريخ التربية ، ومفهوم التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

ولبيان أهمية دراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام اختص الفصل الثالث بدراسة الأهداف العامة لتاريخ التربية ، والمنهج المتبع في دراسته ، وتأثير العقيدة أو المذهب الفكري على تحديد منطلقات المنهج ، وخطواته ، ونتائجه ، ومن ثم دراسة لأهم مصادر تاريخ التربية الإسلامية التي يجب أن يعتمد عليها الباحث المسلم ، والتي يأتي على قمتها كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

أما دواعي الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية فقد كانت محل اهتمام الفصل الرابع من هذه الدراسة . وقد تمثلت في أربعة أمور أساسية هي :

١ ـ التزييف الحاصل في تاريخ التربية من قبل الغرب الذي تعمد تزييف تاريخ العلم والإنسان بتأثير العرقية العنصرية التي تحكمت في العقل والسلوك الأوربي منذ عهد الإغريق وإلى اليوم ، وفلسفة التطور الإلحادية التي من أكبر أهدافها هدم التاريخ الإسلامي ، ومنه تاريخ التربية .

٢ ـ طغيان الترجمة في ميدان الكتابات المتصلة بتاريخ التربية بسبب الاهتمام المبكر من قبل بعض المربين الغربيين بهذا الميدان ، وما قام به بعض المربين المسلمين الذين تلقوا التعليم في الغرب من نقل تلك الكتب إلى اللغة العربية ظناً منهم أن التربية علم جديد لا أصول له في الإسلام ، وكان النقل حرفياً ، دون تمحيص أو

نقد لما تضمنته تلك الكتب من مفاهيم وعقائد ودسائس ضد الإسلام وتاريخه ، إذا حصل أن ذكرت شيئاً عنه .

٣ ـ تأثير الاتجاه العلماني في تاريخ التربية بداية من مفهوم العلم الناقص الذي يرتكز على تناسي الله عز وجل ، وقدرته على الإنسان والكون ، ثم المنهج العلمي القاصر بسبب اعتماده على الفلسفة المادية الإلحادية التي تهمل الدين وتعتبره بعيداً عن موضوع التربية كما يريده العلمانيون بعيداً عن كافة أمور الحياة .

٤ ـ غياب التفسير الإسلامي للتاريخ ـ المتميز بخصائص الصدق والشمول والتكامل والتوازن ـ عن محتويات كثير ـ إن لم يكن أكثر ـ الكتب المؤلفة في تاريخ التربية ، التي تأثرت محتوياتها بكثير من الفروض ، والظنون ، والأوهام البشرية التي حاول أصحابها تفسير تاريخ التربية بعيداً عن الهداية الربانية ، والسنن الإلهية .

أما أهم جوانب التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية التي اقتصرت عليها هذه الدراسة وهي : الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة ، وصفات الباحث المسلم ، فقد كانت موضع اهتمام الفصل الخامس ، حيث حاول الباحث أن يدرس تلك الجوانب كلاً على حدة ، وقد أورد بعض المعايير التي يمكن الاستعانة بها عند توجيه كل جانب توجيهاً إسلامياً في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والفهم الصحيح لدلالاتها .

وبما أن النقد التربوي لتاريخ التربية برؤية إسلامية يعتبر تجسيداً للكيفية التي يمكن أن يطبق بها التوجيه الإسلامي على ما كتب عن تاريخ التربية من مؤلفات ودراسات ، فإن ا لباحث قد ختم فصول هذه الدراسة بالفصل السادس الذي حاول فيه أن يقدم رؤية نقدية في ضوء التوجيه الإسلامي لكتاب في تاريخ التربية وهو كتاب « **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين** » لمؤلفه « **عبد الله عبد الدائم** » وقد تضمنت تلك الرؤية دراسة شخصية المؤلف من خلال مؤلفاته ، وبيان منهجه في تأليف كتابه ، وهدفه من تأليفه ، ومن ثمَّ وصف محتويات الكتاب

وتدوين الملاحظات عليها ، ثم اختار الباحث نماذج للأفكار التربوية التي تضمنها الكتاب مما يعتقد أنها بحاجة إلى توجيه ، موضحا كيفية توجيهها توجيهاً إسلامياً .

هذه فكرة موجزة عن أهم الموضوعات التي تناولتها الدراسة في فصولها ، والآن يود الباحث أن يلخص أهم ما توصلت إليه الدراسة ، وما يَعنُّ له من توصيات ومقترحات تتعلق بالتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية في الفقرات التالية :

الخلاصة العامة للدراسة :

وفق معطيات الدراسة ، وتسلسل فصولها يمكن للباحث أن يقدم خلاصتها فيما يلي :

أولاً : أن رسالة الإسلام التي بعث بها الرسول محمد ﷺ رحمة للعالمين في كل زمان ومكان منذ البعثة إلى قيام الساعة ؛ قد تضمنت تنظيم وتوجيه جوانب الحياة كلها ديناً ، ودولة ، ومعرفة ، وعلماً ، وعملاً ، ولذا فإن دلالات نصوص هذه الرسالة المتضمنة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، تحمل المفاهيم الأساسية التي يجب أن توجه في ضوئها وعلى أساسها كافة العلوم في كل مجال من مجالات النظر والتطبيق ، خصوصاً في هذا الزمن الذي انغمس فيه كثير من المسلمين في تبعية فكرية وثقافية خطيرة جاءت على جميع المجالات الثقافية عامة ، والتربوية والتعليمية على وجه الخصوص ، فران على النفوس كثير من التصورات والمفاهيم التي أفسدت الفكر والسلوك ، وانحرفت بالمناهج عن تحقيق الأهداف السامية ، وانحسر الإسلام – بشكل عام – عن توجيه حياة كثير من المجتمعات الإسلامية ، فصار لزاماً على علماء الأمة أن يعملوا على غرس التصورات والمفاهيم الإسلامية في نفوس الأجيال المسلمة ، وأن يقيموا عليها بنيان الأفكار والكتابات ، لتصلح ما أفسدته الأفكار والنظريات الوافدة ، والمفاهيم المنحرفة الحاقدة التي تكيد للإسلام وأهله ، وتتربص بهم الدوائر . وحيث أن دراسة تاريخ التربية الإسلامية يختلف عن غيرها من أنواع التربية الأخرى

سواء كانت دينية ، أو وضعية ؛ من حيث الأهداف ، والمحتوى ، وطريقة العرض ، وتفسير الوقائع والأحداث التي يجب أن تُحدَّدَ بناء على وعي تام من الباحث المسلم للمفهوم السليم للعقيدة الإسلامية ، وما يبنى عليها من تصور إسلامي صحيح عن الكون ، والإنسان ، والحياة ، وعن المعرفة ، والعلم ، والقيم والأخلاق .. فإن من المفاهيم الأساسية التي يجب أن يضعها الباحث نصب عينيه عند دراسة تاريخ التربية الإسلامية ما يلي :

١ ـ مفهوم التاريخ في الإسلام :

وهو مجموعة الأحداث التي وقعت في الماضي والتي تقع حالياً ، ومستقبلاً ، والعناية بدراستها في ضوء هدى الله تعالى ، ومنهجه الذي ارتضاه لعباده .

وهذا المفهوم الإسلامي للتاريخ يقوم أساساً على وجود الله سبحانه يُوجِّهُ كل شيء ، كما يقوم على أن للإنسان حرية الاختيار في أعماله ، ولكنها حرية مستتبعة بالمسئولية ، لتكون حافزاً له على تحقيق غاية الوجود في هذه الحياة ، وهي العبودية الخالصة لله عز وجل بمعناها الإسلامي الشامل الكامل .

٢ ـ مفهوم تفسير التاريخ في الإسلام :

وهو المحاولات التي تبذل من قبل العلماء المسلمين لتفسير مسيرة الأيام ، وحركة الوقائع ، وما يكمن وراءها من أسباب وسنن إلهية ، وما يعقبها من غايات ، وأهداف وذلك في ضوء توجيهات الكتاب والسنة ، والمنهج الإسلامي الصادر عن تلك التوجيهات ، والعائد إليها .

٣ ـ المفهوم الإسلامي لتاريخ التربية :

إن مفهوم التربية في الإسلام مفهوم شامل شمول الإسلام ـ نفسه ـ فهو يتضمن المبادئ والمفاهيم والأصول الواردة في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ الخاصة بتربية الفرد المسلم الذي يمثل اللبنة الأولى لبناء الأمة المسلمة ، بالإضافة إلى

ما يقوم على تلك المبادىء والمفاهيم والأصول من آراء وتطبيقات تربوية ، أو ما يتوافق معها مما أثمرته ، أو تثمره جهود العلماء في الأزمنة المختلفة مما يعين على صلاح أمر الدنيا والآخرة ، ويحقق أهداف الإسلام .

وعليه فإن المفهوم الإسلامي لتاريخ التربية يهتم بالدرجة الأولى بتاريخ التربية الإسلامية على امتداد العصور . والبلدان بدءاً من الأصول ومروراً بالتطبيقات التربوية ، كما أنه لا يغفل الاهتمام بتاريخ التربية لدى الأمم الأخرى ، ولكنه يؤكد على إستخدام المقاييس الإسلامية في نقد وتقييم التجارب والأفكار التربوية ، للإستفادة مما تثبت صلاحيته ، وعدم تعارضه مع العقيدة الإسلامية ، والتصور الإسلامي .

٤ـ مفهوم التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية :

التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية مفهوم شامل يتسع لتوجيه كافة جوانب دراسة تاريخ التربية من حيث الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة ، وأساليب التدريس ، وعملية التقويم ، في إطار العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وما يقوم عليها من تصور شامل للكون ، والإنسان ، والحياة ، والمعرفة ، والعلم ، والتاريخ ..

وهو مفهوم يعني ممارسة علمية لتوجيه تلك الجوانب أو أحدها ، كشفاً ، وتجميعاً ، وتركيباً ، وتفسيراً ، وتوصيلاً ، ونشراً من زاوية التصور الإسلامي ، الذي يجعل الباحث المسلم أكثر كفاءة لتحمل مسئولياته الدينية والاجتماعية والأخلاقية في موضوعية صحيحة تهتدي بنور الوحي الصادق ، وتقتدي بالفكر الصحيح من أجل الإبداع والإضافة النافعة ، بخلاف الباحث الذي يتهرب عن تحمل تلك المسئوليات بدعوى الحيادية ، والخوف على الموضوعية المزعومة .

ثانياً : أن مجال عمل التربية في الإسلام هو الإنسان بروحه ، وعقله ، وجسمه ، ودراسة تاريخ التربية في ضوء الإسلام تلعب دوراً أساسياً في تربية الأمة ، وقيام الحضارة ، بما تحققه من أهداف وثمار طيبة متى ما صحت المناهج ، وصدقت المصادر ، ويمكن تلخيص ذلك في الحقائق التالية :

١ ـ تحقق دراسة تاريخ التربية مجموعة من الأهداف منها :

ـ تأكيد وحدة الجنس البشري ، والتقائه حول الاهتمام برسالة التربية ، وتلك الوحـدة تؤتـي ثمارها كلما التقت بالتوحيد ، فهي تتخطى كافة الحدود المصطنعة ، والمعوقات المفتعلة .

ـ المساهمة في الكشف عن جذور بعض المشكلات التربوية المعاصرة ، وما بذل في حلها من جهود تساعد على التصدي لها ، ومعالجتها بطريقة سليمة .

ـ استخلاص الحقائق التاريخية التربوية ، وتفسيرها . والإفادة منها في التجديد التربوي في مجال الوسائل والأساليب .

ـ تزويد المربين والمتخصصين في التربية بالبصيرة في مختلف شئون التربية .

٢ ـ يقوم المنهج في مختلف ميادين الحياة على العقيدة التي بسلامتها يسلم المنهج ويصح ، وبقدر ما يعتريها من خلل يختل ومن هنا تتنوع مناهج البحث في تاريخ التربية تبعاً للتنوع العقدي ، والفكري ، على مدى العصور التي مرت بالبشرية ، إذ وجد في كل أمة من الأمم مفاهيم وتصورات خاصة عن الكون والإنسان والحياة . وعلاقة كل منها بالآخر ، وعلاقته بالخالق عز وجل ؛ وهي تنطلق في كل ذلك من عقيدتها التي تؤمن بها وتحافظ عليها .

فالمنهجية الإسلامية القائمة على التوحيد تجتاز حدود المعرفة الإنسانيةفي إطار الفهم الكلي الشامل للوجود حيث يحيط الإسلام بفهم كليات الحياة ، ويفسرها تفسيراً شاملاً ، تنبثق منه المناهج الإسلامية التي تعالج نوعي المعرفة الإيمانية ، والعلمية المتكاملتين ، وإن كان لكل منهما المناهج التي تناسبه ، كالمعرفة التاريخية ـ تربوية وغيرها ـ التي يناسبها المنهج التاريخي ، ولا يناسبها المنهج التجريبي مثلاً .

أما المنهجية الوضعية عند حضارة الغرب الحديثة فقد ارتكزت على فهم جزئيات الحياة بالعلوم والسنن التي تفسر وقائع الطبيعة ، والاعتماد على الاختبارات المعملية للتوصل إلى المعرفة التي تخضع حدودها في إطار الفهم الجزئي للوجود .. وترتبط هذه المنهجية بمذهبيات هذه الحضارة التي تطوع منهج الفكر لتحقيق غاياتها ، وتسخر النتائج لمصالحها ، مع استبعاد المعرفة الغيبية من حسابها ، وعدم التورع في انتهاك قواعد الأخلاق والقيم .

وقد انخدع كثير من المسلمين بتلك المنهجية ، وحاولوا اتباعها في مجال العلوم المتعلقة بالإنسان ، ومنها تاريخ التربية ، إلى أن تبين فشل تلك المنهجية ، وتعالت الأصوات بالرجوع إلى منهج الله سبحانه .

٣ ـ لا بد لكل دراسة في أي علم من العلوم من مصادر يستقي منها ذلك العلم مبادئه ، وتستند إليها قواعده ، ودراسة تاريخ التربية ـ إذا ما أريد لها أن تكون صادقة وسليمة ـ فلا بد من اعتمادها بالدرجة الأولى على مصدر يفوق جميع المصادر ، وهو الوحي الإلهي . لأنه المعيار الذي من خلاله ينظر إلى كافة المصادر ، والأصل الصادق لهذا الوحي هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، فهما المصدران الأصليان في الإسلام ، وبقية المصادر التي يرجع إليها من أجل دراسة هذا التاريخ لا بد أن تقيّم في ضوء الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ودلالاتها التي يمكن التوصل إليها ببذل الجهد في الاستقصاء من أجل الفهم السليم ، ومن أهم تلك المصادر : الكتب المؤلفة من قبل علماء المسلمين في علوم القرآن ، وعلوم الحديث الشريف ، والسيرة النبوية ، والفقه وأصوله ، والتاريخ العام ، والطبقات والتراجم ، والرحلات ..

ولا حرج على الباحث في تاريخ التربية من أن يستأنس بالمراجع الحديثة ذات الصلة المباشرة بموضوع دراسته ، لا سيما ما امتاز منها بعمق البحث ، ونقد الروايات التاريخية ، واستنباط الحقائق .

ثالثاً : أن التربية الإسلامية تربية واقعية ـ إضافة إلى أنها مثالية ـ ودراسة تاريخها في ضوء التوجيه الإسلامي يرتبط إرتباطاً مباشراً بحاجات الإنسان، وظروفه، ومشكلاته، ومن ثم تأتي نتائج دراسة هذا التاريخ قابلة للتطبيق في المجتمعات الإسلامية في أي زمان، ومكان.

رابعاً : التربية خير وسيلة تواجه بها المجتمعات ما يغير من مجرى الحياة فيها من مشكلات وعراقيل. وهذا ما يشهد به تاريخ التربية في الماضي والحاضر، ولقد أدرك المسلمون ـ أخيراً ـ أن النظام التعليمي السائد في معظم المجتمعات الإسلامية المعاصرة؛ نظام غريب عن الإسلام ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة والمعرفة، وأنه وراء ابتعاد كثير من أبناء المسلمين عن التوجه بالإسلام فيما يقدمونه من دراسات ومؤلفات ذات صلة بالإنسان وتربيته، فظهرت الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام، وفهمه، والعمل على تطبيق توجيهه في جوانب الحياة المختلفة، ومنها تاريخ التربية، الذي حفظت أصوله في الكتاب والسنة، وبرزت تطبيقات تلك الأصول عبر العصور التاريخية ولكن ما دُوِّن حوله من دراسات أو كتب تحتاج إلى التوجيه الإسلامي كما تحتاجه الدراسات التي ستكتب عنه، ودواعي تلك الحاجة إلى التوجيه كثيرة متنوعة ومنها ما يلي :

١ ـ تزييف تاريخ التربية الذي كان مصدره التزييف المتعمد من قبل الغرب لتاريخ العلم والإنسان بتأثير عاملين مهمين أحدهما : النزعة العرقية العنصرية، والآخر : فلسفة التطور الإلحادية، وذلك في سبيل جعل أوربا على قمة العالم. إضافة إلى تجرؤ الغربيين على سرقة تاريخ العلم ونسبة منجزاته إلى الأوروبيين .. وما تلا ذلك من التشويه الحاصل على التاريخ الإسلامي ـ ومنه تاريخ التربية ـ على أيدي المستشرقين وغيرهم ممن روجوا لكتب الغربيين، ونسبوا أصول التربية إلى الفلسفة، وقصروا نسبة الانتاج الفكري التربوي في مجال التربية على الفلاسفة

بدءا من فلاسفة الإغريق .. وهنا تبرز الحاجة إلى التوجيه الإسلامي لكي يزيل هذا التزييف ، الذي تبطله نصوص الوحي الصادق ، التي أكدت أن التاريخ الحقيقي للإنسان هو التاريخ الذي بدأ بالإنسان المخلوق وهو آدم ـ أبو البشر ـ عليه السلام ، وأن التربية وجدت بوجوده ، ونشأت نشأة سماوية صادرة عن الذات الإلهية ، ثم توالت توجيهات الباري عز وجل للبشرية بواسطة الرسل عليهم السلام ، الذين أبلغوا الناس رسالات ربهم ، وأعدوهم بواسطة التربية والتعليم لتحمل الأمانة ..

٢ ـ طغيان الترجمة على مجال تاريخ التربية كان نتيجة لإهتمام المربين الغربيين بهذا التاريخ ، في أوائل القرن العشرين الميلادي الموافق للقرن الرابع عشر الهجري ، فالفوا فيه بعض الكتب التي نقلها بعض المربين المسلمين ممن تعلموا في الغرب ، وظنوا أن التربية علم جديد لا أصول له في الإسلام ، فكان هاجسهم الأول نقل تاريخ التربية الغربي إلى اللغة العربية ونشره في المجتمعات الإسلامية بل وعرضه على أنه خبرة عالمية ممتازة يجب الأخذ بها ، وكان ذلك النقل حرفياً ، دون نقد أو تمحيص لما يحمله المنقول من نظريات وتطبيقات وأفكار تتعارض مع عقيدة الإسلام وأصول تربيته وقيمه السامية ، إضافة إلى أنها تتناقض مع الواقع الاجتماعي والتفكير لدى المسلمين ، فضلاً عن إغفال تلك الترجمات لتاريخ التربية الإسلامية ، أو الإشارة إليه إشارة مقتضبة ومشوهة ؛ جهلاً ، أو عمداً ، وعلى الرغم من كل هذه النقائص أصبحت الكتب المترجمة هي المقررات التي تدرس لأبناء المسلمين في الجامعات الإسلامية .

وفي نهاية القرن الرابع عشر الهجري أحس المربون المسلمون بشؤم هذه التبعية في تاريخ التربية ، وحاول بعضهم التحرر منها ، فبرزت بعض مظاهر الاهتمام بتاريخ التربية الإسلامية على شكل دراسات ، وبحوث ، ومؤتمرات ، وكتب ، ولكنها هي

الأخرى لم تنج من التأثر بالترجمة خاصة في اتباع منهج المؤلفين الغربيين في تقسيم العصور إلى قديمة ووسطى وحديثة ، وإدراج تاريخ التربية الإسلامية ضمن العصور القديمة تارة ، وضمن العصور الوسطى تارة ، ونقل كثير من الآراء والأفكار التربوية من الكتب المترجمة دون نقد أو تفنيد لما يتعارض مع الإسلام وتعاليمه ، بالإضافة إلى التساهل في توثيق الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي يجب معرفة مصادرها ودرجتها من حيث الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف ، بل شاع في كثير من تلك الكتب الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة جداً والموضوعة ، وكل هذه الأمور تلح بالحاجة إلى التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية من أجل تلافيها .

٣ ـ تأثير الاتجاه العلماني في تاريخ التربية بما يقوم عليه من قواعد إلحادية تتمثل في إنكاره لأمور الغيب التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة ، والزعم الكاذب بأن حتمية القوانين من ناحية وقوانين التطور التقدمي من ناحية أخرى يمكن الاستغناء بها عن تقرير وجود الله تعالى وعلمه وإرادته كتفسير لوجود العالم وحركته وتغيره ، والإدعاء بأن منهج العلم التجريبي الذي يوجه عنايته كلها إلى الجوانب العملية في حياة الإنسان يسقط البحث في مسائل العقيدة باعتبارها مسائل نظرية ، وإدعاء آخر بكفاية المنهج العلمي في المعرفة من ناحية ، وفي القيم من ناحية ثانية ، والاستغناء به عن المناهج الأخرى التي يقوم بها الدين ، أو ما يطلقون عليه « الفلسفة الميتافيزيقية » ، وقد انعكس تأثير هذه القواعد الوهمية على ما كتب عن تاريخ التربية في مظاهر متعددة منها :

ـ شعور بعض المؤلفين في هذا المجال بالدونية إزاء الحضارة الغربية ، الأمر الذي أوقعهم في النقل الحرفي من الكتب الأجنبية القائمة على التوجه العلماني ، بما فيها من أفكار هدامة تتناقض مع العقيدة الإسلامية .

ـ فقدان التصورات الإسلامية الصحيحة ، نتيجة ثقافتهم العلمانية التي عزلتهم عن دراسة الإسلام على حقيقته ، مع تمكن بعضهم في تخصصه التربوي .

ـ رؤية تاريخ التربية من منظور جزئي ناقص في المفهوم ، ومنهج قاصر ، لا يتفقان مع النظرة الإسلامية الكلية الشاملة المتوازنة .

وبواسطة التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية يستطيع الباحثون ضرب تلك القواعد التي يستند إليها الاتجاه العلماني ، وإيضاح الصواب في ضوء نصوص الكتاب والسنة ، وبذلك تزول آثاره .

٤ ـ غياب التفسير الإسلامي لتاريخ التربية في كثير من الكتابات المعاصرة ، أفسح المجال لظهور تأثير الفروض والظنون والأوهام البشرية التي استخدمت بعض المعلومات المبتورة أحياناً ، والمحرفة أحياناً أخرى عن الظواهر الكونية ، والإنسانية محاولة من أصحابها لإقامة صرح لتفسير التاريخ بعيداً عن الهداية الربانية ، والتي تمخضت عن مجموعة من الاتجاهات مثل : فكرة الحتمية التاريخية ، وفكرة تعاقب الدورات التاريخية ، وفكرة التقدم الإنساني ، والتفسير المادي للتاريخ ، وأصحاب هذه الاتجاهات مع الإختلافات العريضة بينهم فإنهم يتفقون على نفي حرية الإرادة لدى الإنسان وأن ذاته محدودة بالزمان والمكان ، مع عدم الاعتراف بالكيان الداخلي للإنسان ، والجهل بمصيره ، الذي ينسبون تشكيله إلى القوى الاجتماعية ، كما يرون أن ليس هناك حقيقة خالدة ، ولا مستوى موضوعي للأخلاق .

وباعتبار التفسير الإسلامي للتاريخ من المقومات الأساسية للتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، فإنه بشموله وتكامله وتوازنه ، واحتفائه بالسنن الإلهية ، وقدرة الله عز وجل هو الكفيل بالرد على هذه التجاوزات التي امتلأت بآثارها كتب تاريخ التربية ، الأمر الذي يظهر بوضوح الحاجة الماسة إلى التوجيه الإسلامي لهذا التاريخ .

خامساً : أن التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية يمكن أن يحقق الأهداف التالية :

١ ـ المساهمة في تحسين المقاصد والنيات التي توصل إلى تحقيق الغاية من دراسة تاريخ التربية ، والاستفادة منه ، والإفادة به ، خدمة للإسلام والمسلمين بنية العبادة الخالصة لله تعالى .

٢ ـ المساهمة في التخلص من العبودية الفكرية عن طريق حفز الأمة المسلمة على الحرص على شخصيتها ، والمحافظة على هويتها الإسلامية ، عن طريق الاهتمام بتاريخها ، وتنقية تاريخ التربية من التصورات والمفاهيم والأفكار المنحرفة .

٤ ـ صياغة تاريخ التربية الإسلامية بالكيفية التي تساهم في بناء الشخصية المسلمة ، ذات الهمة العالية التي تبذل طاقتها في التعلم ، والتعليم ، باعتبار ذلك عبادة لله عز وجل .

٥ ـ المساهمة في تكوين فكر المعلم والباحث والعالم المسلم وفقاً للتصور الإسلامي للكون ، والإنسان ، والحياة ، ليقوم كل منهم بواجبه من أجل سيادة تربية إسلامية صحيحة توجه المجتمعات الإسلامية ، وتنشيء أجيالها على مبادىء الإسلام ، وقيمه السامية ، ومُثُله العليا .

سادساً : من أهم جوانب تاريخ التربية التي يجب أن ينالها التوجيه الإسلامي ما يلي :

١ ـ أهداف دراسة تاريخ التربية باعتبارها نقطة الإنطلاق في تحديد المحتوى ، والطريقة التي يتم بها عرضه ، بل وإعداد الباحث المؤهل للقيام بالبحث الموجه توجيهاً إسلامياً .. ومن أهم معايير توجيه الأهداف ما يأتي :

(أ) التعرف على مدى قرب أوبعد التربية في أي عصر من العصور من الهدف العام للتربية التي جاء بها الإسلام ، وهو تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله تعالى حق عبادته ، ويعمر الأرض وفق الشريعة الإسلامية ، باعتباره هدفاً لا يتغير بتغير الزمان ، ولا يتلوّن باختلاف الأمصار والمجتمعات .

(ب) الاهتمام بإبراز الأسباب والدوافع الكامنة وراء حالات السمو والارتقاء ، وحالات الجمود والتدهور في تاريخ التربية ، واعطاء تقييم شامل لذلك في ضوء توجيهات الكتاب والسنة من أجل الوصول إلى استخلاص العبرة من تلك التجارب التربوية تحقيقاً للإرادة الإلهية في قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦) .

(جـ) الاهتمام بالتوجيه الإسلامي لأهداف البحث التاريخي في التربية ، والمتمثلة في التحليل ، والتجميع والتكثيف ، والتوضيح وإزالة التغميض والتعتيم الفكريين اللذين لحقا بتاريخ الإسلام ومنه تاريخ التربية الإسلامية ، ومن ثم التأصيل بواسطة إعادة الظاهرة التربوية إلى أصولها التاريخية ، مع التفسير والتعليل لمعرفة أسباب حدوث الوقائع التربوية ، وفقهها بتعمق للوصول إلى كشف مآليتها في ضوء السنن الإلهية ، والتي تكوّن لدى دارس تاريخ التربية اتجاهات سليمة نحو كيفية التعامل مع تاريخ أنواع التربية في المجتمعات المختلفة ، ومواجهة الواقع التربوي بحلول ناجزة ومفيدة .

٢ ـ محتوى تاريخ التربية المكتوب تعرض لكثير من الدسّ والتشويه المبني على منطلقات خاطئة ، ونظريات مضللة ، لاعتماده على الكتاب الغربي الذي هو في الغالب سلبي الاتجاه ، شديد الخصومة فيما يخص الإسلام والمجتمعات الإسلامية ، ناهيك عن محاولة بعض الكتب الغربية بطريقة خبيثة الطعن في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والتاريخ الإسلامي ، مع ما تبثه من أفكار إلحادية ونظريات ومبادىء تخالف الإسلام وأحكامه وتعاليمه ، وتشكك المسلم في عقيدته ، يضاف إلى ذلك تساهل بعض من كتبوا في تاريخ التربية من المسلمين في فهم دلالات النصوص ، وتوثيقها ، والحرص على المساهمة في تحقيق أهداف التربية الإسلامية .

ومن أهم المعايير التي ينبغي أن يوجه بها محتوى تاريخ التربية الذي يكتب ويدرّس لأبناء المسلمين ما يلي :

(أ) التركيز على المعيار الأساسي لكل الفعاليات البشرية وهو مدى الاهتداء أو الانحراف عن سبيل الله تعالى ، وإبراز أثر كل من هذين الاتجاهين في الوقائع والأحداث التربوية .

(ب) الاهتمام الشديد بصدق المحتوى ، ومن معاييره :

ـ أن يخدم المحتوى أهداف التربية الإسلامية وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وبناء الشخصية المسلمة .

ـ أن تكون أفكار المحتوى جلية واضحة ، مهتدية بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيما تقرره ، وفيما تنقده ، وفيما تبدعه أو تضيفه من آراء وأفكار .

ـ أن يهتم المحتوى بتوثيق الآيات القرآنية ، والاعتماد على الأحاديث النبوية الصحيحة ، والروايات التاريخية الصحيحة .

ـ أن يتجنب المحتوى استخدام المصطلحات الأجنبية مالم يكن لذلك حاجة داعية .

٣ ـ المحتوى الموجه توجيهاً إسلامياً يحتاج إلى طريقة منظمة تقدمه وفق تتابع معين ، وأسلوب محدد ، ومن أهم معايير وقواعد التوجيه الإسلامي لطريقة عرض المحتوى ما يلي :

(أ) أن تكون العقيدة الإسلامية هي المحور الأساسي لطريقة العرض ، فلا بد من متابعة تأثيرها في الوقائع التربوية ، وفي توجيهها لتلك الوقائع ، والحكم عليها .

(ب) أن تكون طريقة العرض موحية بتحبيب الخير ، وتبغيض الشر ؛ حسب الميزان الإسلامي .

(جـ) إبراز دور الأنبياء والرسل عليهم السلام في مسيرة تاريخ التربية بصفتهم يمثلون خط الاستقامة ونهج الحق في الوجود من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ الذي ختمت برسالته الرسالات السماوية ، وكمل بها دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام ، والتركيز على أن التربية الإسلامية الحقة هي الكفيلة بإعادة الأمة المسلمة إلى مركز قيادة البشرية ، والشهادة عليها كما أراد لها الله تعالى أن تكون .

(د) البعد عن مسايرة الغربيين فيما ابتدعوه من توزيع جغرافي وتاريخي ، لأنه لا صلة له بواقع المسلمين ولا بتاريخهم ، ولكنه جاء ليحقق السياسات الاستعمارية ، ويعبر عن الواقع التاريخي المتقلب الذي عاشته أوربا .

٤ ـ صفات الباحث المسلم في ضوء التوجيه الإسلامي على نوعين : أحدهما : صفات خلقية عامة يجب أن يتحلى بها كل مسلم ، ولكن الباحثين العلميين هم الأكثر مسئولية عن تمثلها لكي تأتي نتائج أبحاثهم ودراساتهم محققة لما فيه صلاح الناس وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، وعلى قمة تلك الصفات : إخلاص النية لله تعالى ، واتباع منهجه وشرعه ، وهما أمران متلازمان ، ثم الالتزام بالقيم والأخلاق الإسلامية ، وعلى رأسها تقوى الله عز وجل ، وحسن الخلق ، والصبر ، وتحمل المسئولية ، والأمانة العلمية ، والتواضع ومجانبة العجب .

والنوع الثاني : صفات تتعلق بمنهجية البحث في تاريخ التربية ؛ ومنها :

(أ) استيعاب التصوّر الإسلامي للوجود ، وما يتميز به من خصائص : الربانية ، والثبات ، والشمول ، والتكامل ، والتوازن ، واستحضاره في اختيار موضوع الدراسة ، ومنهجها ، ومحتواها ، وطريقة عرضها .

(ب) توفر المهارات الضرورية لدراسة تاريخ التربية الإسلامية ، كالمهارة في التعامل مع القرآن الكريم وعلومه ، والسنة المطهرة وعلومها ، وعلوم الشريعة المتعلقة بالفقه وأصوله ، ومعرفة المقاصد العامة للشريعة ، ومعرفة اللغة العربية وعلومها .

(جـ) التمكن من معرفة الانتاج التربوي للعلماء ، وفهمه ، وملاحظة كافة العوامل المؤثرة فيه ، بطريقة نقدية تقييمية في ضوء التوجيه الإسلامي .

(د) مواصلة الاطلاع على الانتاج التربوي للعلماء وتطبيقاته التربوية ، للاستفادة من كل صحيح مفيد .

سابعاً : أن المعرفة التربوية السائدة في المجتمعات الإسلامية اليوم ، ومنها ما يتعلق بتاريخ التربية ؛ منقولة في معظمها من الفكر الغربي ، وبعضها مطلٌ على الفكر التربوي الإسلامي ولكن مع مزاحمته بالفكر الوافد ، وكلا النوعين بحاجة إلى مراجعة تحليلية نقدية ، لأنه لن يكتب النجاح الحقيقي لأي معرفة تربوية في المجتمعات الإسلامية إلا في ضوء التوجيه الإسلامي ، باعتبار الإسلام هو المحدد للمعطيات الحقيقية عن الكون ، والإنسان ، والحياة ، وهو المعيار الحقيقي لكل شيء في حياة البشر .

ثامناً : أن كثيراً من المربين المسلمين المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ التربية ــ بعامة ــ هم ممن تلقوا تعليمهم بواسطة النظام العلماني الحديث الذي غزا كثيراً من المجتمعات الإسلامية ــ خاصة مع بداية عصر الاستعمار الغربي ــ ثم أكملوا دراساتهم العليا في الغرب ، فأثمرت ثقافتهم الغربية : الجهل الواضح بتاريخ التربية الإسلامية ، حيث ركزت تلك الثقافة على بناء شخصيات تجهل تاريخ أمتها الإسلامية ، بل قد يتعدى الأثر إلى ما هو أخطر من ذلك ؛ وهو العزوف عن تاريخ أمتها وفكرها التربوي ، وقد يتكون لدى بعضهم اتجاه سلبي نحو التاريخ الإسلامي تغذيه ضآلة ما

يقدم لهم منه في مقابل كثرة ما يقدم لهم عن حضارة الغرب في ماضيه وحاضره ، وظهر هذا الأثر جلياً في كتاباتهم المتداولة عن تاريخ التربية التي تؤكد قلة بضاعتهم في تاريخ التربيـة الإسلامية ، ومعرفتهم عن تاريخ التربية في الغرب ومشاهير مفكريها ، أضعاف أضعاف ما يعرفونه عن التربية الإسلامية ، وعن العلماء المسلمين وإسهاماتهم في مجال تاريخ التربية البشرية .

التوصيات

بعد استعراض أهم ما خلصت إليه الدراسة فإن الباحث سوف يقدم عدداً من التوصيات التي يمكن أن تسهم في توجيه تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً وذلك على النحو التالي :

أولاً : توصي الدراسة بالاهتمام بتوجيه المفاهيم الأساسية التي يستند عليها تاريخ التربية ؛ وذلك بالكشف عن دلالاتها في نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والاستعانة بفهم السلف ؛ فإن ذلك يتيح للباحث المسلم أن يتعرف على إسهام العلماء المسلمين في الميدان فيصحح معرفته بتاريخ التربية ، كما يحميه من الوقوع في حبائل بعض المفاهيم الدخيلة التي وفدت على الميدان بما تحمله من مدلولات مضرة ، أو مضللة ، إضافة إلى أنه لا علم بدون مفاهيم سليمة محددة تعين الباحث على كشف الأبعاد المختلفة للمشكلة موضع اهتمامه ، وفهم جذورها التاريخية .

ثانياً : توصي الدراسة بالاعتماد في دراسة تاريخ التربية على التوجيه الإسلامي القائم على العقيدة الإسلامية التي يجب أن توجه مسيرة التربية في مختلف العصور ، بما تقدمه من تفسير شامل للقضايا ذات الصلة بالكون : غيبه وشهوده ، وبالإنسان من حيث مصدره ، وتكوينه ، وغايته ، ومركزه في الكون ووظيفته في الحياة ، وبحقيقة الحياة الآخرة ، وحقيقة الدنيا بنظمها الاجتماعية ، السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية ، وقبل ذلك ، ومعه ، وبعده ما تقدمه من حقيقة الألوهية الكاملة لله

تعالى ، وما تتضمنه هذه الحقائق من علاقات وإرتباطات وثيقة بينها . وهذا التفسير الإسلامي ذي النظرة الشاملة المتكاملة المتوازنة هو الذي يعصم تاريخ التربية من التأثر بالتفسيرات المادية بمختلف اتجاهاتها ، ويجعله حقيقياً صادقاً .

ثالثاً : تنبه الدراسة على أن القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة مصدران أساسيان لدراسة تاريخ التربية ، باعتبارهما المصدر اليقيني الذي يقدم المعرفة اليقينية العميقة عن الإنسان ، والمجتمع ، والتاريخ ، وتفسيره ، ويجب تقويم محتويات المصادر والمراجع الخاصة بتاريخ التربية في ضوء هذين المصدرين .

رابعاً : توصي الدراسة بإعادة كتابة تاريخ التربية الإسلامية في ضوء التوجيه الإسلامي بما يتضمنه من أفكار وشخصيات وتطبيقات تربوية ، تبرز جهود علماء المسلمين في هذا المجال ، ودورهم في بناء الحضارة الإنسانية ، ويمكن الاستفادة في ذلك من المعايير التي اقترحتها هذه الدراسة في الفقرة « سادساً » من الخلاصة والتي تتعلق بالتوجيه الإسلامي للأهداف ، والمحتوى ، والطريقة .

خامساً : تؤكد الدراسة على ضرورة فتح أقسام تهتم بالتربية الإسلامية في جامعات العالم الإسلامي كمادة تخصص مع توجيه عناية خاصة لإعداد الباحثين في الدراسات العليا « تخصص التربية الإسلامية » من حيث اختيار عناصر معينة ، وفق شروط محددة ، والحرص على أن يُعدَّ لهم البرنامج الذي يكفل لهم القدرة على المساهمة في توجيه العلوم التربوية ، ومنها تاريخ التربية توجيهاً إسلامياً ، والعمل على تأسيس المنطلقات لديهم بأن التوجيه الإسلامي لهذه العلوم أمر ضروري يجب أن يتعدى مرحلة الآمال والخواطر إلى مرحلة التفكير الجدّي ، والعمل المتواصل في سبيل أن يرى النور . وقد يستفاد لإعداد الباحثين مما قدمته هذه الدراسة في الفقرة « سادساً » (رقم ٤) من الخلاصة .

سادساً : توصي الدراسة بعدم تدريس تاريخ التربية العامة الذي كتب بأيـدي الغربيين ، أو مـا اقتبس من كتاباتهم لأبناء المسلمين في المرحلة الجامعية الدنيا ، لأنه يمثل الأساس والفروع معاً للحضارة الغربية ، وقد بني على عقائد فاسدة تلتقي على الوضعية ، وجحود الغيب ، والمادية في الحياة والتعامل ، وانكار البعث ، وأن يكون تدريسه في مرحلة الدراسات العليا حيث الطلاب أكثرقدرة على كشف ما تحمله تلك الكتب من الأفكار المخالفة للعقيدة الإسلامية ، والقيم ، والأخلاق ، ومواجهتها بالنقد والتحليل في ضوء التوجيه الإسلامي .

سابعاً : تنبه الدراسة على ضرورة التخطيط والتنسيق بين العاملين في مجال تاريخ التربية الإسلامية من أجل استثمار الجهود والطاقات والموارد المالية في إعداد دراسات تقويمية في ضوء التوجيه الإسلامي تتناول ما كتب في مجال تاريخ التربية لمحو معطيات التوجيه غير الإسلامي الذي لحقه على أيدي الغربيين ، ومن نقل عنهم ، أو تأثر بمنهجهم الذي اتبعوه في هذا المجال باسم استخدام المناهج العلمية ، وما تحمله تلك المناهج من محاولات الاسقاط والتشويه في تاريخ التربية .

المقترحات

بناء على ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات فإن الباحث يقترح إجراء عدد من الدراسات والأبحاث العلمية فيما يتعلق بالتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ومنها :

١ ـ إجراء دراسة حول بلورة منهج إسلامي لدراسة تاريخ التربية لتوجيه مناهج البحث في هذا التاريخ ، وإزالة ما علق بها من توجهات ، وتصورات غريبة تخالف التوجيه الإسلامي .

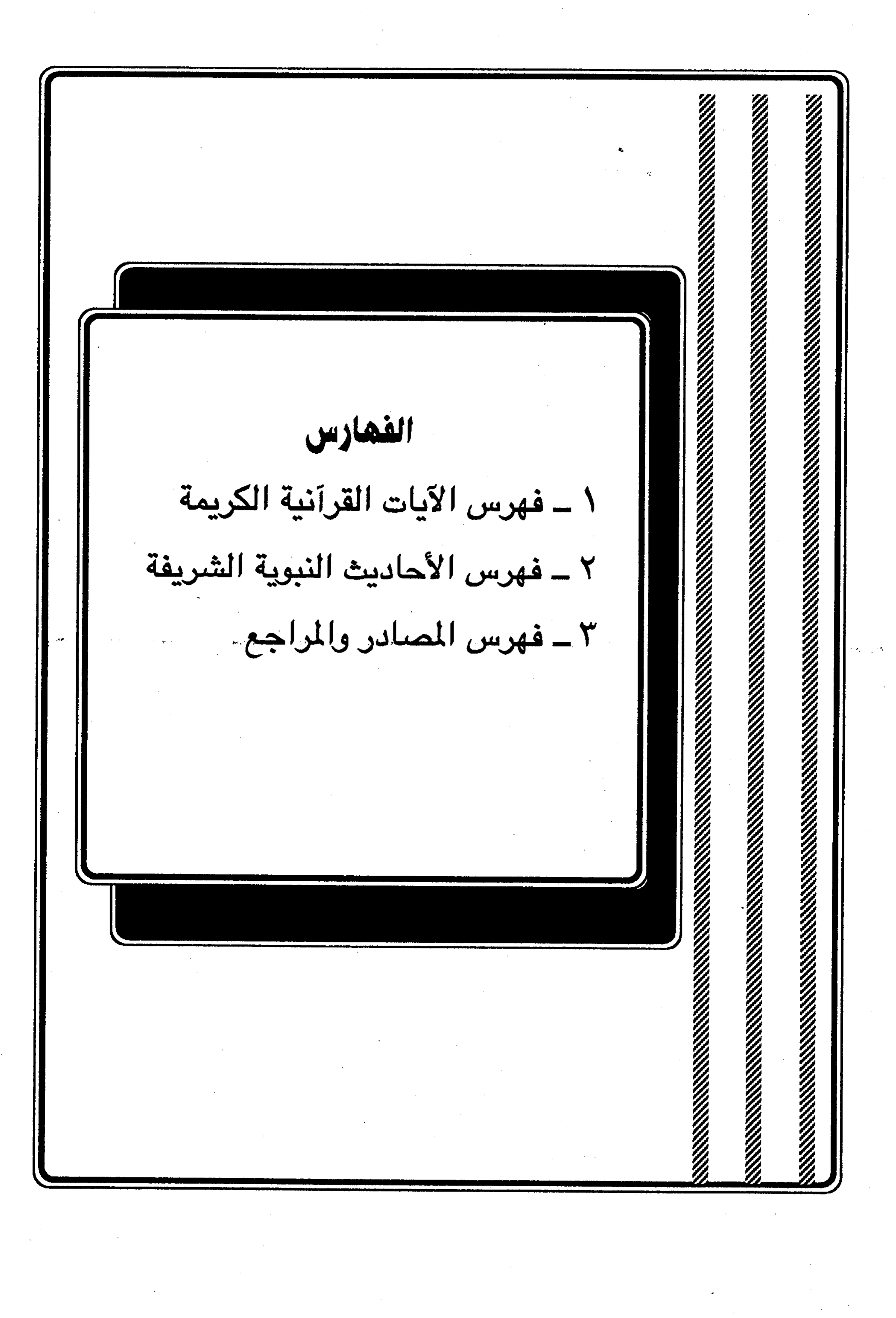
٢ ـ إجراء دراسة مفصلة تكشف عن ملامح التفسير الإسلامي لتاريخ التربية .

٣ ـ إجراء دراسة حول التوجيه الإسلامي لطريقة تدريس تاريخ التربية .

٤ ـ إجراء دراسات تقويمية للفكر التربوي خلال العصور الماضية والحاضرة في ضوء التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية .

وهكذا يتضح أن ميدان البحث في التوجيه الإسلامي لتاريخ التربية لا يزال ميداناً بكراً ، وواسعاً فسيحاً ، وحسب هذه الدراسة أن تكون خطوة على الطريق في هذا الاتجاه ، أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما قمت بجمعه وعرضه من توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وما قدمه العلماء المسلمون من فهم لتلك التوجيهات في مجال التربية والتاريخ وتفسيره ، وما بذله المربون المسلمون ـ خاصة المعاصرون من الغيورين على الإسلام ـ من اسهامات تدعو إلى أن ينبثق كل علم من العلوم التربوية عن التصور الإسلامي الصحيح ، وما قمت به من محاولة للفهم والتنظيم والتنظير من أجل إعطاء تصور علمي للتوجيه الإسلامي لتاريخ التربية ، ولا أدعي لنفسي سبقاً جديداً ، ولا خلواً من أوجه القصور ، التي أعلم بعضها ، وأكثرها أجهله ، ويكفيني أني بذلت جهدي لِتَعَرُّفِ الحقِ ، فإن أصبته فبتوفيق الله تعالى وله مزيد الشكر ، وإن أخطأته فإني أستغفر الله تعالى ، وأعود إلى الصواب ، واثقاً بربي أن لا يحرمني القبول وأجر المجتهد ، الذي أخبر عنه الصادق ﷺ في حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (**البخاري : صحيح البخاري ، ٦/٢٦٧٦**) .

أسأل الله تعالى أن يتجاوز ، ويجعل العمل خالصاً صواباً .. وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحابته ومن سار على منهجه إلى يوم الدين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفهارس
١ ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٣ ـ فهرس المصادر والمراجع

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

٣ ـ فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم وعلومه ومنها :

١ ـ ابن قتيبه * ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) : تأويل مشكل القرآن ، (شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر) ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

٢ ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤ هـ) : تفسير القرآن العظيم ، (كتب هوامشه وضبطه : حسين بن إبراهيم زهران) ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م

٣ ـ الأصفهاني ، الراغب الحسين بن محمد (ت ٤٢٥ هـ) : مفردات ألفاظ القرآن ، (تحقيق : صفوان عدنان داوودي) ، ط ١ ، دمشق : دار القلم ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

٤ ـ البيضاوي ، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٧٩١ هـ) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط١، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

٥ ـ الزركشي ، بدر الدين محمدبن عبد الله (ت ٧٩٤هـ) : البرهان في علوم القرآن ، (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم) ، القاهرة : مكتبة دارالمعارف ، (د . ت) .

٦ ـ الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني : أضواء البيان في شرح إيضاح القرآن بالقرآن ، بيروت ، عالم الكتب ، (د . ت) .

---

* المصادر والمراجع رتبت حسب اللقب المشهور به المؤلف ترتيباً هجائياً مع اعتبار كلمتي (ابن) و (أبو) ، والتجاوز عن أداة التعريف (أل) في الترتيب .

٧ ـ الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ط ٢ ، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ هـ .

٨ ـ الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٩ ـ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م ، وطبعة بيروت : دار أحياء التراث العربي ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ هـ .

١٠ ـ قطب، سيد : في ظلال القرآن ، ط ٧، بيروت: دار الشروق، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

١١ ـ الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ) : أسباب النزول ، ط ١ (تعليق وتخريج : مصطفى ديب البغا) ، دمشق : دار ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

ثانياً : كتب السنة النبوية الشريفة و منها :

١٢ ـ ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة المكتبة السلفية ، (د . ت) .

١٣ ـ ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ) : المسند ، (شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر) ، مصر : دار المعارف ، (د . ت) ، وطبعة : بيروت ـ دار صادر ، بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، (د . ت) .

١٤ ـ ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) : علوم الحديث ، (تحقيق وشرح : نور الدين عتر) ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٥ ـ ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، المطبعة الخيرية ، ١٣٢٢ هـ = ١٩٣٣ م .

١٦ ـ الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، ط ٢ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٧ ـ ــــــــــــــــ : ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، ط ٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦ م .

١٨ ـ ــــــــــــــــ : صحيح سنن الترمذي ، ط ١ ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٩ ـ البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) : صحيح البخاري ، (تحقيق وإخراج : مصطفى ديب البغا) ، ط ١ ، دمشق : دار القلم ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢٠ ـ البغوي ، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) : شرح السنة ، (حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : شعيب الأرناؤوط ومحمدزهير الشاويش) ، ط ٢ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢١ ـ الخولي ، محمد بن عبد العزيز : مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث ، ط ٢ ، مصر : المطبعة العربية ، ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م .

٢٢ ـ العجلوني ، إسماعيل بن محمد (ت ١٠٦٢ هـ) : كشف الخفاء ومزيل الألباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ط ٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٧ م .

٢٣ ـ مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) : صحيح مسلم ، الرياض : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

٢٤ ـ النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحراني (ت ٦٧٦هـ) : شرح صحيح مسلم ، بيروت : دار الفكر ، (د . ت) .

ثالثاً : المصادر والمراجع العربية الأخرى :

٢٥ ـ إبراهيم ، عبد اللطيف فؤاد : المناهج أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

٢٦ ـ ابن بطة ، عبيد الله بن محمد (ت ٣٨٧ هـ) : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، (تحقيق : رضا بن نعسان معطي) ، مكة المكرمة : مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢٧ ـ ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ) : الصارم المسلول على شاتم الرسول ، (حققه وفصّله وعلّق حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد) ، طنطا : مكتبة تاج ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م .

٢٨ ـ ———— : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، (قدّم له : علي السيد صبح المدني) ، القاهرة : مطبعة المدني ، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

٢٩ ـ ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله الكناني (ت ٧٣٣ هـ) : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٤م ، ونسخة أخرى (بتحقيق وتعليق : السيد محمد هاشم الندوي)، الدمام : رمادي للنشر ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤ م .

٣٠ ـ ابن حيان ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٧٥٤ هـ) : البحر المحيط ، مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٢٨ هـ = ١٩٠٨ م .

٣١ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٤٨ هـ) : مقدمة ابن خلدون ، ط ٥ بيروت : دارالقلم ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

وطبعة بيروت : دار الفكر ، (د . ت) .

٣٢ ـ ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠ هـ) : تاريخ خليفة بن خياط ، (تحقيق : أكرم ضياء العمري) ، الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٣٣ ـ ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٥١ هـ) : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة ، مطبوع على نفقة جلالة الملك عبدالعزيز ، مكة المكرمة: المطبعة السلفية، ١٣٤٨هـ = ١٩٢٨م .

٣٤ ـ ــــــــــــ : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ط ٢ ، (تحقيق : محمد حامد الفقي) ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٣٥ ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤ هـ) : شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه ، (تحقيق : مصطفى عبد الواحد) ، القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

٣٦ ـ ــــــــــــ السيرة النبوية ، (تحقيق : مصطفى عبد الواحد) ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٣٧ ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، بيروت : دار صادر (د . ت) . وطبعة بيروت ، دار لسان العرب ، (د . ت) .

٣٨ ـ أبو زهرة ، محمد : أصول الفقه ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .

٣٩ ـ أبو العينين ، علي خليل مصطفى : « الفكر التربوي الإسلامي » ، رسالة الخليج ، العدد السابع عشر ، السنة السادسة ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٤٠ ـ ــــــــــــــ : البحث التاريخي في التربية الإسلامية نحو منهجية علمية لتنظيمه وإعداده ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

٤١ ـ ــــــــــــــ : « نقد المعرفة التربوية المعاصرة الأهداف والأطر » ، ضمن كتاب : مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، عمّان : الأردن ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٤٢ ـ ــــــــــــــ : « دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية » ، بحث غير منشور ، كلية التربية ببنها ، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

٤٣ ـ أحمد ، سعد مرسي : تطور الفكر التربوي ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٤٤ ـ ــــــــــــــ وسعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٤٥ ـ إدريس ، جعفر الشيخ : « أسلمة العلوم » ، جريدة الراية ، عدد الخميس ، ٧ رجب ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٤٦ ـ أسد ، محمد : الإسلام على مفترق الطرق ، القاهرة : دار الاعتصام ، (د . ت) .

٤٧ ـ الأشقر ، عمر سليمان : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ط ٤ ، الأردن : دار النفائس ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٤٨ ـ الأشقر ، محمد سليمان عبد الله : الواضح في أصول الفقه ، ط ٤ ، الأردن : دار النفائس ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م

٤٩ ـ الأفندي ، محمد حامد : « نحو مناهج إسلامية » ، دراسة منشورة في جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

٥٠ ـ أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا : دراسة مسحية تقويمية للبحوث التربوية والنفسية منذ الثلاثينات ، (التقرير النهائي) ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٥١ ـ آمحزون ، محمد : « منهج التفسير التاريخي قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها » ، مجلة البيان ، الأعداد ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٥٢ ـ أمين ، مصطفى : تاريخ التربية ، ط ١ ، مصر : مطبعة المعارف ، ١٣٤٤ هـ =١٩٢٥ م .

٥٣ ـ باقر ، طه وعبد العزيز حميد : طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية العراقية ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٥٤ ـ بدر ، أحمد : أصول البحث العلمي ومناهجه ، ط ٣ ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٥٥ ـ بلعوص ، عبده محمد : « التوجيه الإسلامي لتقنية التعليم وتقويم بعض تطبيقاتها في العالم العربي المعاصر في ظل هذا التوجيه » ، بحث غير منشور ، قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، المحور الثاني ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

٥٦ ـ بوقحوصي ، خالد بن أحمد : « دراسة تحليلية لاتجاه عينة من طلاب مرحلة التعليم الثانوي بدولة البحرين حول نظرية التطور » ، مجلة البحث في التربية وعلم النفس ، كلية التربية ـ جامعة المنيا ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٥٧ ـ البيروني ، أبو الريحان مجمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لينبرج ، ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م .

٥٨ ـ تركي ، عبد الفتاح وآخرون : مفاهيم أساسية في التربية ، الإسكندرية : مكتبة المعارف الحديث ، (د . ت) .

٥٩ ـ التوم ، بشير حاج : تأصيل تربية المعلم ، مكة المكرمة : مطابع الصفا ،١٤٠١هـ = ١٩٨١ م .

٦٠ ـ ـــــــــــ « مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية » ضمن كتاب بحوث مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، عمّان ـ الأردن ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٦١ ـ جابر ، عبد الحميد ، وأحمد خيري كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط ٢ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٦٢ ـ جمال ، أحمد فاضل : نحو تربية إسلامية ، جدة : تهامة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

٦٣ ـ الجمالي ، محمدفاضل : آفاق التربية الحديثة في الدول النامية ، تونس : الدار القومية للنشر ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

٦٤ ـ الجندي ، أنور : أسلمة المناهج والعلوم ، ط ١ القاهرة : دار الاعتصام ، (د . ت) .

٦٥ ـ ـــــــــــ : تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٦٦ ـ ــــــــــــ : العودة إلى المنابع ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٦٧ ـ ــــــــــــ : كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ؟ ، القاهرة : دار الاعتصام ، (د . ت) .

٦٨ ـ ــــــــــــ : نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للنظريات والأيدلوجيات والمفاهيم الغربية الوافدة المطروحة في مناهج التربية والثقافة والعلوم ، القاهرة : دار الاعتصام ، (د . ت) .

٦٩ ـ الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ) : الصحاح ، (تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار) ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ،(د . ت) .

وطبعة المحسن الكبير السيد حسن الشربتلي ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

٧٠ ـ الجيار ، سيد إبراهيم : دراسات في تاريخ الفكر التربوي ، ط ٤ ، الفجالة : مكتبة غريب ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٧١ ـ حسان ، محمد حسان : « من أخطاء التربويين الغربيين في حق المسلمين » مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، المحرم ١٤٠٦ هـ سبتمبر ١٩٨٥ م .

٧٢ ـ ــــــــــــ : ونادية جمال الدين : مدارس التربية في الحضارة الإسلامية دراسة نظرية تطبيقية ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٧٣ ـ حسانين ، محمد سمير : الوجيز في تاريخ التربية ، طنطا : مطابع غباشي ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

٧٤ ـ حسن ، أمينة أحمد : نظرية التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .

٧٥ ـ حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ٧ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

٧٦ ـ حسن ، عبد الباسط محمد : أصول البحث الاجتماعي ، ط ٧ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٧٧ ـ حسنة ، عمر عبيد : تقديم كتاب همام عبد الرحيم سعيد : الفكر المنهجي عند المحدثين ، كتاب الأمة ، رقم (١٦) ، سلسلة فصلية تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٧٨ ـ الحربي ، سند بن لافي الشاماني :التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية التربية بالمدينة المنورة ، ١٤١١ هـ = ١٨٩١ م .

٧٩ ـ الحمد ، أحمد بن ناصر بن محمد : العقيدة نبع التربية ، ط ١ ، مكة المكرمة : مكتبة التراث ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٨٠ ـ الحمدان ، موفق : « النتائج العلمية للبحوث التربوية » ، آراء حول البحوث التربوية ، محاضرات ألقيت في الدورة التدريبية على البحث التربوي التي عقدتها إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في كلية التربية جامعة عين شمس ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ إدارة التربية ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

٨١ ـ الحنفي ، علي بن علي بن محمدبن أبي العز (ت ١٠٩٢ هـ) : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، (تحقيق : أحمد محمد شاكر) ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية الشريعة ، ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٨٢ ـ الحوالي ، سفر عبد الرحمن : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٨٣ ـ خضر ، فخري رشيد : تطور الفكر التربوي ، الأحساء : دار الرشيد ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٨٤ ـ الخطيب ، محب الدين : « المراجع الأولى في تاريخنا » ، مجلة الأزهر ، المجلد الرابع والعشرون ، الجزء الثاني ، ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

٨٥ ـ خليل ، عماد الدين : التفسير الإسلامي للتاريخ ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٨ م .

٨٦ ـ ــــــــ : «حول إسلامية تفسير ابن خلدون للتاريخ» ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الثاني والثلاثون ، شوال ، ذي القعدة ، ذي الحجة ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٨٧ ـ ــــــــ : حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، كتاب الأمة رقم (٤) ، ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٨٨ ـ خليل ، محمد رشاد : المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، ط١، (د .ن) ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٨٩ ـ ــــــــــ :علم النفس الإسلامي العام والتربوي دراسة مقارنة ، ط ١ ،الكويت : دار القلم ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٩٠ ـ الخمساوي ، خمساوي أحمد : « الفكر الموسوعي والتوجيه الإسلامي للعلوم الحضارية » ، بحث غير منشور ، قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، المحور الأول ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

٩١ ـ الخوري ، سعيد الشرفوني : أقران الموارد في فصيح العربية والشوارد ، بيروت : مطبعة مرسلي اليسوعية ، ١٣٠٩ هـ = ١٨٨٩ م .

٩٢ ـ الخولي ، عبد البديع عبدالعزيز :الفكر التربوي في الأندلس (٤٠٣ هـ ـ ٤٧٨هـ) ، ط ٢ ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٩٣ ـ خياط ، محمد جميل بن علي : « الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية » ، ضمن كتاب سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٩٤ ـ ــــــــــ : النظرية التربوية في الإسلام ، ط ١ ، مكة المكرمة ، مطابع الصفا ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٩٥ ـ ــــــــــ : الجامعات الإسلامية دراسة مسحية تحليلية تقييمية ، ط ١ ، مكة المكرمة : مطابع الصفا ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٩٦ ـ دراز ، محمدعبد الله : دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، الكويت : دار العلم ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٩٧ ـ دليل كلية التربية بمكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

٩٨ ـ رستم ، أسد : مصطلح التاريخ ، صيدا : المكتبة العصرية، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

٩٩ ـ رمزي ، عبد القادر هاشم : الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (دراسة مقارنة) ، ط ١ ، الدوحة : دار الثقافة ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

١٠٠ ـ زاده ، طاش كبرى (أحمد مصطفى) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م .

١٠١ ـ الزاوي ، الطاهر أحمد : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ط ٣ ، ليبيا : الدار العربية للكتاب ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٠٢ ـ الزنيدي ، عبد الرحمن بن زيد : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام ، ط ١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٠٣ ـ زيدان ، جرجي : العرب قبل الإسلام ، ط ٣ ، (د . ن)، ١٣٥٩ هـ = ١٩٣٩م .

١٠٤ ـ زيدان ، عبد الكريم : الوجيز في أصول الفقه ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

١٠٥ ـ السباعي ، مصطفى : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ط ٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٠٦ ـ ـــــــ :السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ط ٤ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٠٧ ـ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، (دراسة وتحقيق : محمد عثمان الخشت) ، القاهرة : مكتبة ابن سينا ، (د . ت) .

١٠٨ ـ السرحان ، محيي الدين : تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية ، مطبعة الإرشاد ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٠٩ ـ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (تحقيق : محمد زهري النجار) ، الرياض : المؤسسة السعيدية ، (د . ت) .

١١٠ ـ سعيد ، جودت : حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ط ٨ ، (تقديم : مالك بن بني) ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

١١١ ـ سلام ، عبد الحميد عبد الله : المدخل في العلوم التربوية ، ط ١ ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

١١٢ ـ سلطان ، جمال : غزو من الداخل ، قراءة في الفكر الديني المستنير ، ط ١ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١١٣ ـ السلمي ، محمد بن صامل العلياني : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١١٤ ـ سليمان ، عرفات عبد العزيز : اتجاهات التربية عبر العصور ، دراسة تحليلية مقارنة ، ط ١ ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١١٥ ـ سليمان ، فتحية حسن : بحث في المذهب التربوي عند الغزالي ، ط ٢ ، مصر : مكتبة نهضة مصر ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

١١٦ ـ السماك ، محمد أزهر سعيد ، قبيس سعيد الفهادي ، وصفاء يونس صفاوي : الأصول في البحث العلمي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ جامعة الموصل ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١١٧ ـ السيد ، محمد أحمد : معجزة الإسلام التربوية ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١١٨ ـ الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ) : الموافقات ، المكتبة التجارية الكبرى ، (د . ت) .

١١٩ ـ الشافعي ، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) : الرسالة ، ط ٢ ، (تحقيق : أحمد محمد شاكر) ، القاهرة : مكتبة دار التراث ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٢٠ ـ شبير ، صلاح عيد حماد : تصور جديد لتنظيم دراسة مادة « الأصول الإسلامية للتربية » ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٢١ ـ شفشق ، محمود عبد الرزاق : الأصول الفلسفية للتربية ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٢٢ ـ ــــــــــ ومنير عطا الله سليمان : تاريخ التربية ، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعي ، ط ٢ ، الكويت : دار القلم ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

١٢٣ ـ شلبي ، أحمد : التربية الإسلامية، نظمها ، فلسفتها ، تاريخها ، ط ٧ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٢٤ ـ ــــــــــ : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط ١٢، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

١٢٥ ـ شمس الدين ، محمد مهدي : العلمانية ، تحليل ونقد للعلمانية محتوى وتاريخاً في مواجهة المسيحية والإسلام وهل تصلح حلاً لمشاكل لبنان ؟ ،ط ٢ ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٢٦ ـ صالح ، سعد الدين السيد : احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، ط ٢ ، الزقازيق : دار الأرقم ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٢٧ ـ الصالح ، محمد بن أحمد : « المصادر الأصلية والتبعية للشريعة الإسلامية وقواعد الفقه فيها وبيان قدرتها على حل مشكلات المجتمع المعاصر » ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثاني ، محرم ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

١٢٨ ـ صبحي ، أحمد محمود : في فلسفة التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، (د . ت) .

١٢٩ ـ صديقي ، عبد الحميد : « مفهوم إسلامي للتاريخ » ، ضمن : إسماعيل راجي الفاروقي وعبد الله عمر نصيف : العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية ، (ترجمة : عبد الحميد الخريبي) ، جدة : جامعة الملك عبد العزيز وشركات عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٣٠ ـ الصوفي ، حمدان عبد الله : الموضوعية في العلوم التربوية من وجهة النظر الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة كلية التربية ـ جامعة أم القرى ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

١٣١ ـ الصولي ، أبو بكر : أدب الكاتب ، (تحقيق : محمد بهجت الأثري) ، القاهرة : (د . ن) ١٣٤١ ـ = ١٩٢٢ م .

١٣٢ ـ الطبري ، أبو جعفر محمدبن جرير (ت ٣١٠هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، ط ٣ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

١٣٣ ـ طعيمة ، رشدي أحمد عبد الله : « معوقات توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً أسبابها وطرق علاجها » ، بحث غير منشور ، قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، المحور الأول ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٣٤ ـ عاقل ، فاخر : التربية قديمها وحديثها ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

١٣٥ ـ عبد الدائم ، عبد الله : التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١٩٥٠ إلى عام ٢٠٠٠ ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٣٦ ـ ـــــــــ : التربية عبر التاريخ من العصور القديمة إلى أوائل القرن العشرين ، ط ٥ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٣٧ ـ ـــــــــ : التربية وتنمية الإنسان في الوطن العربي ، ط ١ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٣٨ ـ عبد العال ، حسن إبراهيم : التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٣٩ ـ عبد القادر ، حسنين : « فلسفة التاريخ وصلتها بالصحافة » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد السابع ، الجزء الثاني ، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

١٤٠ ـ عبد الله ، عبد الرحمن صالح : المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، ط ١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٤١ ـ ـــــــــ : التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ، جدة : دار المنار للنشر ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٤٢ ـ عبد المتعال ، صلاح : « المنهجية الإسلامية والمعايير الأخلاقية للبحث » ضمن المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية التربوية ، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي ، الجزء الأول المعرفة والمنهجية ، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن ـ فيرجينيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١٤٣ ـ عبد المعطي ، عبد الباسط : البحث الاجتماعي محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده ، دار المعرفة الجامعية ، (د . ت) .

١٤٤ ـ عبد المعطي ، محمد علي : رؤية معاصرة في علم المناهج ، الإسكندرية : دار المعرفة الجاميعة ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٤٥ ـ العبدة ، محمد : « معالم حول إعادة كتابة التاريخ» ، مجلة البيان، العدد الأول ، السنة الأولى ، المنتدى الإسلامي ـ لندن ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

١٤٦ ـ عبيدات ، ذوقان وآخرون : البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه ، عمان : دار الفكر ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

١٤٧ ـ العبيدي ، غانم سعيد شريف وحنان عيسى سلطان : أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق ، ط ١ ، الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٤٨ ـ عثمان ، حسن : منهج البحث التاريخي ، ط ٥ ، القاهرة : دار المعارف ، (د . ت) .

١٤٩ ـ عثمان ، سر الختم : « أسس وأهداف تدريس التاريخ الإسلامي في مراحل التعليم العام » ، ضمن كتاب : سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى ، كلية التربية .

١٥٠ ـ عثمان ، فتحي : أضـواء على التاريـخ الإسلامـي ، القاهـرة : دار العروبـة ، (د . ت) .

١٥١ ـ العرفي ، إسمـاعيل : المدخـل إلـى التاريـخ العربي ، دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٥٢ ـ العـرمـابي ، محـمـد زين الهـادي : نشـأة العلمـانيـة ودخـولها إلى المجـتمع الإسلامي ، الرياض : دار العاصمة ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

١٥٣ ـ العسـاف ، صـالح بن حـمـد : المدخل إلى البـحث في العلوم السلوكيـة ، ط ١ الرياض : شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

١٥٤ ـ علي ، سعيد إسماعيل : نشأة التربية الإسلامية ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٣٥٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٥٥ ـ ــــــــ : بحوث في التربية الإسلامية ، القاهرة : مركز التنمية البشرية والمعلومات ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

١٥٦ ـ ــــــــ : الفكر التربوي العـربي الحديث ، الكويت : سلسلة عـالم المعرفة ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

١٥٧ ـ ــــــــ : « التوجيه الإسلامي لمجال أصول التربية » ، بحث غير منشور ، قـدم إلى مـؤتمر التـوجـيه الإسـلامي للعـلوم ، المحـور الثـاني ، القاهـرة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٥٨ ـ عمادة البحث العلمي : « تقرير عن جهود الجامعة في مجال التأصيل الإسلامي للعلوم الإجتماعية » مجلة جامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية ، الرياض ، العدد الثاني ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٥٩ ـ عمر ، محمد زيان : البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ط ٤، جدة : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ .

١٦٠ ـ العمري ، أكرم ضياء : المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى ، الجامعة الإسلامية ـ المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٦١ ـ ــــــــــ : « واقع التعليم ومسئولية الجامعات في العالم الإسلامي» ، مجلة الأمة ، جمادى الأولى ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٦٢ ـ ــــــــــ : السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، ط ٥ ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٦٣ ـ عويس ، عبد الحليم : تفسير التاريخ علم إسلامي ، القاهرة : دار الصحوة ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٦٤ ـ ــــــــــ : فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية ، القاهرة : دار الصحوة ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

١٦٥ ـ عياش ، عبد القادر : معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين ، ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٦٦ ـ عيسوي ، أحمد : المدخل للفقه الإسلامي ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، (د . ت) .

١٦٧ ـ غبان ، محروس بن أحمد إبراهيم : ابن خلدون مؤسساً لعلم التربية المقارنة دراسة في التأصيل الإسلامي للعلوم ، ط ١ ، المدينة المنورة : (د.ن) ، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م .

١٦٨ ـ الغزالي ، أبو حامد محمدبن محمد بن أحمد (ت ٥٠٥ هـ) : المستصفى من علم الأصول (دراسة وتحقيق : حمزة بن زهير حافظ) ، جدة : شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، (د . ت) .

١٦٩ ـ ــــــــــ : أيها الولد ، (تحقيق وتعليق : علي محيي الدين القره داغي) القاهرة : دار الاعتصام ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٧٠ ـ الفاروقي ، إسماعيل راجي : أسلمة المعرفة ، (ترجمة : عبد الوارث سعيد) ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٧١ ـ فرحان ، إسحاق وآخرون : نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية ، سلسلة الدراسات والبحوث الإسلامية ، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ، عمان ـ الأردن ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٧٢ ـ الفزاني ، فتحية محمد بشير : معايير البحث العلمي في التربية الإسلامية ، دراسة وصفية تقويمية لبعض رسائل التربية الإسلامية بالجامعات السعودية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة لكلية التربية بالمدينة المنورة ـ جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

١٧٣ ـ فكّار ، رشدي : لمحات عن منهجية الحوار ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٧٤ ـ فودة ، حلمي محمد وعبد الرحمن صالح عبد الله : المرشد في كتابة الأبحاث ، جدة : دار الشروق ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

١٧٥ ـ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد : القاموس المحيط ، القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

١٧٦ ـ قاسم ، محمود : المنطق الحديث ومناهج البحث ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

١٧٧ ـ القرضاوي ، يوسف : العبادة في الإسلام ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٧٨ ـ ــــــــــ : الرسول والعلم ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٧٩ ـ ــــــــــ : الخصائص العامة للإسلام ، ط ٣ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٨٠ ـ القطان ، مناع خليل : « مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم أهدافه وأسسه العامة » ، بحث غير منشور ، قُدِّم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، المحور الأول ، القاهرة ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٨١ ـ قطب ، سيد : خصائص التصور الإسلامي ، ط ٥ ، القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٨٢ ـ ــــــــ : مقومات التصور الإسلامي ، ط ٣ ، القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٨٣ ـ ــــــــ : في التاريخ فكرة ومنهاج ، ط ١٠ ، القاهرة : دار الشروق ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

١٨٤ ـ قطب ، محمد : منهج التربية الإسلامية ، ط ٧ ، بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م .

١٨٥ ـ ــــــــ : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، جدة : المجموعة الإعلامية ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٨٦ ـ ــــــــ : كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٨٧ ـ قمبر ، محمود : دراسات تراثية في التربية الإسلامية ، الدوحة : دار الثقافة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٨٨ ـ كاشف ، سيدة إسماعيل : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

١٨٩ ـ الكتاني ، محمد بن جعفر : الرسالة المستطرفة ، ط ٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٩٠ ـ كمال ، يوسف : مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام ، القاهرة : المختار الإسلامي ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

١٩١ ـ الكيلاني ، ماجد عرسان : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط ٢ ، بيروت ، المدينة المنورة، دار ابن كثير، مكتبة دار التراث، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٩٢ ـ ــــــــــ : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا تحررت القدس ، ط ١ ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٩٣ ـ ــــــــــ : أهداف التربية الإسلامية . دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة ، ط ٢ ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٩٤ ـ ــــــــــ : فلسفة التربية الإسلامية ، مكة المكرمة : مكتبة هادي ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م .

١٩٥ ـ المبارك ، محمد : بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٩٦ ـ متولي ، مصطفى محمد : مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ، الرياض : دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٩٧ ـ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، طهران : المكتبة العلمية ، (د . ت) .

١٩٨ ـ محجوب ، عباس : أصول الفكر التربوي في الإسلام ، ط ١ ، عجمان ودمشق : مؤسسة علوم القرآن ، ودار ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .

١٩٩ ـ محمد ، محمد ، علي محمد : علم الإجتماع والمنهج العلمي ، ط ٣ ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٠٠ ـ مدني ، عباس : النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد الإسلامية دراسة ابستمولوجية للمعرفة التربوية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م .

٢٠١ ـ مرسي ، محمد منير : تاريخ التربية في الشرق والغرب ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٠٢ ـ المركز العالمي للتعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى : توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع ، مكة المكرمة : مطبعة الصفا ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٠٣ ـ مسعود ، جمال عبد الهادي محمدووفاء محمدرفعت جمعه : أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، ط ١ ، الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٠٤ ـ ــــــــ : منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا ؟ وكيف ؟ ، ط ١ ، المنصورة : دار الوفاء : ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ .

٢٠٥ ـ المطيري ، منصور زويد : الصياغة الإسلامية لعلم الإجتماع ، كتاب الأمة (٣٣) ، سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

٢٠٦ ـ المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، القاهرة : مؤسسة الحلبي ، (د . ت) .

٢٠٧ ـ المودودي ، أبو الأعلى : منهج جديد في التربية والتعليم ، ط ١ ، منشورات دار النداء ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٢٠٨ ـ ــــــــ : مبادىء الإسلام ، بلا ناشر ، (د . ت) .

٢٠٩ ـ مؤنس ، حسين : التاريخ والمؤرخون ، القاهرة : دار المعارف ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢١٠ ـ الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ط ٢ ، دمشق : دار القلم ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

٢١١ ـ النبهان ، محمد فاروق : « منهج التربية النفسية عند الغزالي » ، ضمن : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الإمام أبو حامد الغزالي في ذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاته (٥٠٥ ـ ١٤٠٥هـ) ، الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، (د . ت) .

٢١٢ ـ النجيحي ، محمد لبيب : مقدمة في فلسفة التربية ، ط ٢ ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

٢١٣ ـ النحلاوي ، عبد الرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٢١٤ ـ ـــــــــ : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، ط ٢، بيروت ، الرياض : المكتب الإسلامي ، مكتبة أسامة ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢١٥ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٢١٦ ـ الندوي ، أبو الحسن علي الحسني : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ط ٣ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٢١٧ ـ ـــــــــ : نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية ، ط ٥ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢١٨ ـ النشمي ، عجيل بن جاسم : معالم في التربية ، الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٢١٩ ـ النقيب ، عبد الرحمن عبد الرحمن : فلسفة التربية عند ابن سينا ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢٢٠ ـ ________ : التربية الإسلامية رسالة .. ومسيرة ، القاهرة: دار الفكر العربي ، (د . ت) .

٢٢١ ـ ________ : دليل مستخلصات الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عمّان ـ الأردن ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٢٢٢ ـ وافي ، علي عبدالواحد : عبقريات ابن خلدون ، القاهرة: عالم الكتب ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٢٢٣ ـ يالجن ، مقداد : أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، ط ٢ ، الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٢٢٤ ـ ________ : أساسيات التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي للعلوم ، مذكرة غير منشورة ، الرياض ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

رابعاً : المراجع الأجنبية المترجمة وغير المترجمة :

٢٢٥ ـ أفانزيني ، غي : الجمود والتجديد في التربية المدرسية ، (ترجمة : عبدالله عبدالدائم) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢٢٦ ـ أوبير ، رونيه : التربية العامة (ترجمة : عبد الله عبد الدائم) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

٢٢٧ ـ برجسون ، هنري : الضحك بحث في دلالة المضحك ، (ترجمة : سامي الدروبي ، وعبدالله عبدالدائم)، ط ٣، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٢٨ ـ بك ، روبرت هولمز : التاريخ الاجتماعي للتربية ، (ترجمة : محمد لبيب النجيحي ومحمد منير مرسي وعزت عبد الموجود) ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) .

٢٢٩ ـ بول ، منرو : المرجع في تاريخ التربية ، (ترجمة : صالح عبدالعزيز ، مراجعة : حامد عبد القادر) ، القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م .

٢٣٠ ـ توينبي ، أرنولد : مختصر دراسة التاريخ ، (ترجمة : فؤاد شبل) ، القاهرة : مطبوعات جامعة الدول العربية ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

٢٣١ ـ سارتون ، جورج : تاريخ العلم ، (ترجمة : (جماعة) ، مصر : دار المعارف ، ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .

٢٣٢ ـ فينكس ، فيليب ، هـ . : فلسفة التربية ، (ترجمة وتقديم : محمد لبيب النجيحي) ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م .

٢٣٣ ـ هونكه ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، (د . ت) .

٢٣٤ ـ ويدجري ، البان : التاريخ وكيف يفسرونه ، (ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد) ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

235 - Brubacher , John S . A : History of the Problems of Education (New York : Mc Graw - Hill Book Co., 1947) .

336 - Butts , R. Freeman . A cultural History of Education (New York : Mc Graw - Hill Book Co, 1947) .

237 - Elmer Wilds & Knneth lottich . The Foundations of Modren Education . Third Edition, Holt, Rinenant and Winson Inc . U.S.A. 1962 .

238 - Good, Carter V. : Dictionary of Education , (New York , Mc Graw-Hill Book Co , 1973).

239 - Graves, frank P. : Education Before the Middle Ages (New York : The Macmillan Co., 1909)

240 - ——— : Education During the Middle Ages (New York : The Macmillan Co , 1910) .

241 - ——— : Great Educators of Three Centuries (New York : The Macmillan Co . 1912) .

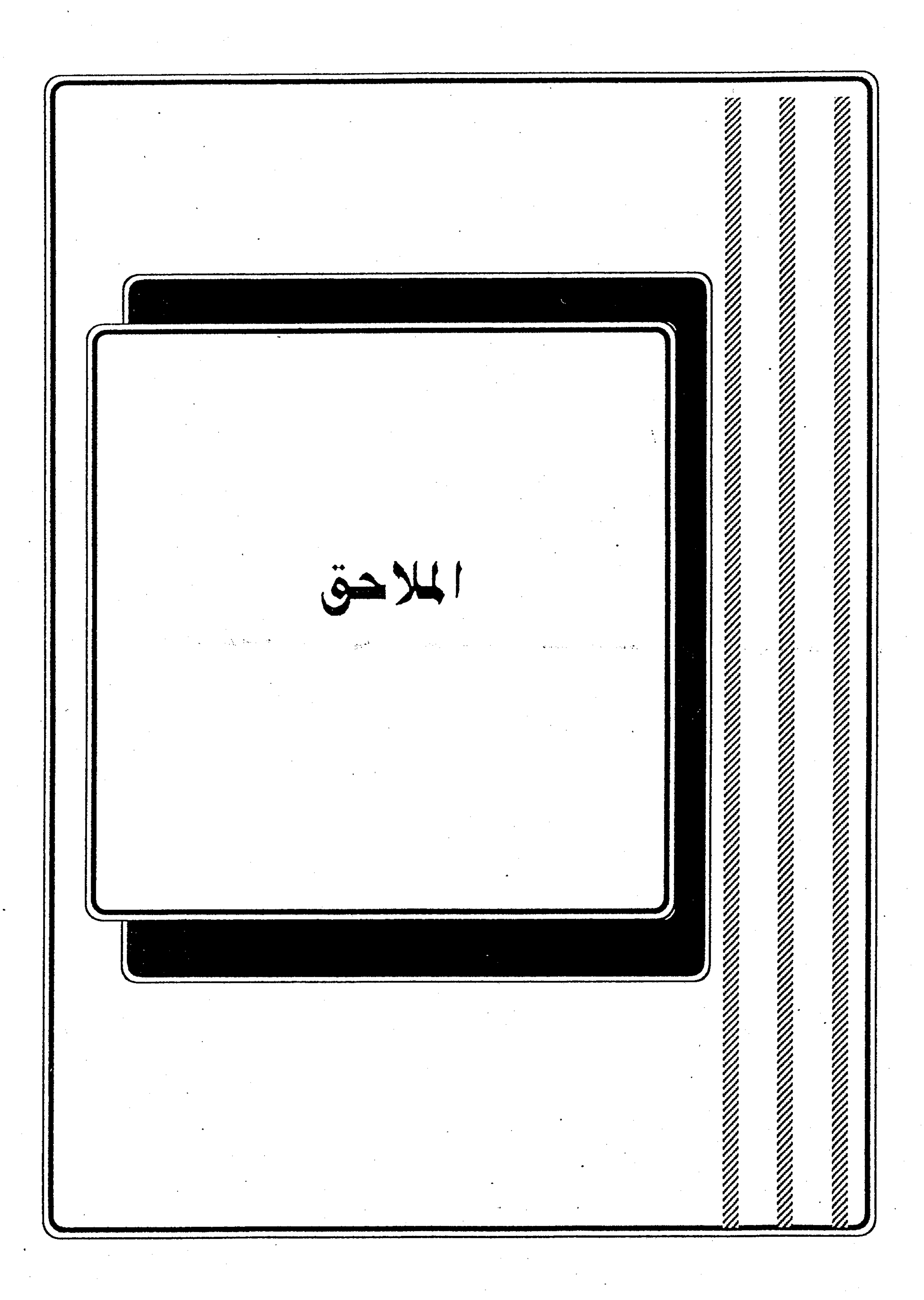
242 - ———: History of Education in Modern Times (New York : The Macmillan Co., 1913) .

243 - Hornby , A.S. : The Advanced Learner's , Dictionary of Current English . Oxford University Press , London : second Edition, 1962 .

244- Monroe , Paul . Textbook in the history of Education (New Yirk : The Macmillan Co., 1918) .

245 - Rusk, Robert R., : The Doctrines of the Great Educators (New York : The Macmillan Co., 1918) .

246 - The New Encyclopedia Britannica, Encyc . Britannica , Inc Chicago , 15th Edition, 1986 .



الملاحق

الملحق رقم (١)

بعض الصفحات من كتاب



تأليف

الدكتور محمد منير مرسي

دكتوراه الفلسفة في التربيه من جامعة لندن
أستاذ التربية بجامعة قطر

١٩٨٥

الناشر

عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

الكتابة العربية فى الزمن الأول قبل الإسلام . وهكذا كانت معرفة الكتابة والقراءة مقصورة على عدد قليل جداً من العرب قبل الإسلام ، وكان ظهور الدين الإسلامى مرحلة جديدة للمجتمع العربى و معها بدأت صفحة جديدة لتربية جديدة قوامها الإسلام الذى أكد منذ البداية على العلم والمعرفة كقيمة رئيسية فى هذه التربية الجديدة وهو ماسنتناوله فى السطور التالية .

مكانة العلم فى الإسلام :

لقد ضرب الإسلام مثلا فريداً يستحق الإعجاب به على إهتمامه بقيمة العلم والعلماء . والقرآن الكريم والسنة الشريفة بل وتاريخ الإسلام نفسه حافل بالأمثلة التى لايعيها الحصر . فقد كانت أول آية نزلت على الرسول « إقرأ باسم ربك » والإسلام لايسوى بين الذين يعلمون والذين لايعلمون وفضل الله الذين أوتو العلم درجات وجعل العلماء ورثة الأنبياء. وقد فضل الرسول (ص) مجلس العلم على مجلس الذكر وساوى مداد العلماء بدماء الشهداء وورد عنه قوله عليه الصلاة والسلام « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة » . وأمرنا ديننا بأن نحرص على طلب العلم وأن نتحمل كل مشقة فى سبيله وقد ورد فى تراثنا طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة « وأطلبوا العلم ولو فى الصين » . والمقصود هنا أن نستهون الصعاب فى سبيله . وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » وقد روى عن النبى (ص) قوله : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . وقوله (ص) « إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » .

وورد عن أبى ذر الغفارى أن النبى (ص) قال : « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة » . فقيل يارسول

الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال النبي « وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم » . ويقول الغزالى فى إحياء علوم الدين « إن العلم فضيلة فى ذاته على الإطلاق فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال »

ومما يروى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لكميل النخعى : ياكميل إن هذه القلوب أوعية فأحفظ عنى ما أقول : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم عنده شبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون لم يستضيئوا بالعلم ولم يركنوا إلى ركن وثيق . ياكميل العلم خير من المال . العلم يحرسك وأنت تحرس المال . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق . ياكميل محبة العلم دين يدان به تكسب المرء الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته . ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه . ياكميل مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون مابقى الدهر .

وروى عن مصعب بن الزبير قوله : « تعلم العلم فإن لم يكن لك جمال كان ذلك جمالا وإن لم يكن لك مال كان لك مالا » .

وروى عن سلمان الفارسى أنه كتب إلى أبى الدرداء : « إن العلم كالينابيع يغشى الناس فيختلجه هذا وهذا فينفع الله به غيرواحد ، وإن حكمة لا يتكلم بها كجسد لاروح فيه وإن علما لايخرج ككنز لاينفق ، وإنما مثل العلم كمثل رجل عمل سراجا فى طريق مظلم يستضىء به من مر به وكل يدعو إلى الخير » .

وقد ورد عن هارون الرشيد أنه قبل الجزية كتباً كما أن المأمون دفع وزن ما ترجم ذهباً . وهذا دليل واضح على إهتمام خلفاء المسلمين بالعلم وتقديرهم لأهميته وما هذه إلا أمثلة معدودة من أمثلة أخرى لاحصر لها

الملحق رقم (٢)

بعض الصفحات من كتاب

التربية عبر التاريخ

من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين

تأليف

الدكتور عبد الله عبد الدائم

دار العلم للملايين

ص.ب: ١٠٨٥ - بيروت

تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

الفصل الأول

معاهد التعليم في الإسلام

ولا شك أن خير ما يبين أهداف التربية ومعالمها أن ندرسها من خلال مؤسساتها ومنشآتها ، بالاضافة إلى دراستها عن طريق مناهجها وأساليبها . وسنبدأ الآن بدراسة المؤسسات والمنشآت منتقلين بعد ذلك إلى الاساليب والمناهج .

(أ) أمكنة التعليم قبل انتشار المدارس :

نستطيع أن نعتبر عام ٤٥٩هـ حداً فاصلاً فيما يختص بأمكنة التعليم عند المسلمين ، ففي هذا العام افتتحت في بغداد أول مدرسة من مجموع المدارس الكثيرة المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك ، وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الاسلامي حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة ، بالاضافة إلى كثير من المدارس الكبرى في عواصم الأقاليم [١] ثم اقتدى بنظام الملك كثير من الملوك والعظماء سنتحدث عنهم فيما بعد .

(١) تاريخ التربية الاسلامية لاحمد شلبي ، بيروت ١٩٥٤ ، ص ١٩ . وهو كتاب قيم منه نستقي أكثر ما يرد في هذا الفصل عن معاهد التعليم ، فهو فيها خاصة مجيد .

موظفيها (من خازن ومترجمين ونساخ ومجلدين ومناولين)[1] .

(د) الخوانق والربط والزوايا والبيمارستانات :

لم يقتصر التعليم عند العرب على المسجد والجامع والكتاب ودور العلم وخزائن الكتب ، بل وجدت عندهم مؤسسات أخرى كانوا يتلقون فيها العلم الى جانب الاغراض الاخرى التي أنشئت من أجلها وهي الخانقاه والرباط والزاوية والبيمارستان .

الخانقاه : ويقال لها الخانكاه أيضاً وتجمع على خوانق وخوانك ، وهي كلمة فارسية الاصل معناها البيت . وكانت تبنى غالباً على شكل مساجد الصلاة ، الا أن فيها غرفاً عديدة لمبيت الفقراء والصوفية وبيتاً كبيراً لصلاتهم مجتمعين وللقيام بأورادهم وأذكارهم . ولا يكون فيها في الغالب منبر لان صلاة الجمعة لا تقام فيها الا نادراً . ويشير المقريزي في خططه الى احدى هذه الخوانق (وهي الخانقاه الكبرى الصالحية) التي كان يسكنها الصوفية ، ويبين أنهم كانوا يجعلون في تلك الخوانق دروساً في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث ، كما كانوا يجعلون فيها خزائن للكتب والمصاحف القرآنية والربعات ، وربما وضعوا فيها بعض الكتب الفلكية وآلاتها . ويحدثنا كذلك عن خانقاه رتبت فيها دروس عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الاربعة ودروس للحديث النبوي ودروس لقراءة القرآن بالروايات السبع ، وقد جعل لكل مدرس وخصص له جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس والقيام بمراسيم التصوف . « ورتب لكل طالب في اليوم الطعام واللحم والخبز وفي الشهر الحلوى والزيت والصابون » . وفي بعض الخوانق كان يعمل على توفير حاجات الطلاب داخل الخانقاه من المأكل والملبس والاشربة والادوية ، بل كان يوجد فيها من

(١) نجد تفصيل ذلك في كتاب تاريخ التربية الاسلامية لاحمد شلبي، كذلك كتب المرحوم الدكتور يوسف العش رسالة قيمة عن المكتبات الاسلامية ، قدمها إلى جامعة باريس لنيل شهادة الدكتوراه

الفصل الثاني

المُدرّسون [1]

عني العرب في العهد الاسلامي بالمدرسين عناية كبرى ، واهتموا بتلقي العلم عن المدرسين اهتماماً ملحوظاً ، وكرهوا كراهة شديدة ان يتلقى الطالب العلم عن الكتب وحدها . وكان بعضهم يقول : من أعظم البلية تشييخ الصحيفة أي أن يتعلم الناس من الصحيفة [2] . وورد في احد الكتب : « من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له استاذ فامامه الشيطان » . ذلك ان العرب ادركوا أن التعليم لا يتم الا بثلاثة : الاستاذ والتلميذ والاب اي الاسرة . وقد عبر الزرنوجي [3] عن ذلك فقال : يحتاج في التعلم الى جد الثلاثة : المتعلم والاستاذ والأب .

— ولم يكن المعلمون في بداية عهد الدولة الاسلامية خاضعين للحكومات ، ولم يكونوا معينين من قبل الدولة ، وانما كانوا يؤدون عملهم طلباً للثواب .

---

(١) نستقي معظم معلومات هذا الفصل من كتاب تاريخ التربية الاسلامية لاحمد شلبي .

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، حيدر أباد ، ١٣٥٣ هـ . ص ٨٧

(٣) الزرنوجي : تعليم المتعلم ، استانبول ١٢٩٢ هـ . ص ١٥ .

الفلسفية واهتموا خاصة بالطبيعيات كالكندي ، وبالمنطق والالهيات كالفارابي ، وبالترجمة والنقل كيحيى بن عدي . والاخلاق تطغى على حدود ما خصص لها مسكويه من مؤلفات فتلقي ظلها على معظم كتبه ، فنرى ذلك واضحاً في كتابه (تجارب الامم) ، فان غرض هذا التاريخ غرض اخلاقي وهو الاعتبار بحوادث التاريخ واخذ العظات منها ، وكذلك الحال في كتابه (أنس الفريد) المفقود فان غرضه فيه تقويم أخلاق الفرد عن طريق القصص والحكايات (١)

(ج) — كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق : هو كتاب مشهور ومطبوع عدة مرات ويحتوي عدة مقالات في الاخلاق والتربية ، وقد أفاد صاحبه من معلومات الفلاسفة الاغريق ودراساتهم في التربية والاخلاق إفادات عظيمة واختار منها ما يلائم نفس الطفل المسلم ، ومزج ذلك بالتراث العربي القديم . يقول « فمن اتفق له في الصبا أن يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعوّدها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى يتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه ثم ينظر الحساب والهندسة حتى يتعوّد صدق القول وصحة البراهين ثم يتدرج في منازل العلوم فهو السعيد الكامل... ثم يذكر فصلاً عن كيفية تأديب الاطفال وتهذيبهم ، وقد نقل كثيراً مما فيه من كتاب بروسن الذي نقله عن فلوطرخس ، مع بعض التحوير الذي يلائم البيئة العربية الاسلامية . ولكن مع هذا كله ظل الطابع الاغريقي واضحاً على اقواله . وهكذا نرى أن مسكويه في نصائحه الاخلاقية ومباحثه التربوية والنفسية متأثر إلى حد بعيد جداً بالتراث اليوناني ، أما الآثار الشرقية من عربية واسلامية وغيرها فقليلة . وللدكتور عبد العزيز عزت بحث مطول ختم فيه كتابه عن مسكويه وذكر فيه مصادر مسكويه الفلسفية بدقة فليرجع اليه .

---

(١) انظر كتاب ابن مسكويه للدكتور عبد العزيز عزت ، ص ١٤٢ .

يتكلمون » فهو بهذا يمتلك انتباه الطفل دون اكراه .

التربية الخلقية والدينية :

يطلب « فينيلون » خلافاً لما سيراه « روسو » من بعده ، ان نقدم للاطفال منذ سن مبكرة ، الحقائق الخلقية والدينية ، في قالب حسي عياني ، وعن طريق صور مستمدة من التجربة . وعلينا فيما يرى الا نخشى أن نحدثهم عن الله حديثنا عن شيخ جليل أبيض اللحية .. وفي وسعنا أن نصلح ، عن طريق العقل عندما يشبون ، هذه الاوهام التي يكونونها في صغرهم ، والتي تتناسب مع خيالهم الطفل . ولنلاحظ هنا ان « فينيلون » لا يحب الغلو في الدين ، ويخاف المبالغة ولو كانت في شؤون التقى ، وينادي بتدين معتدل ومسيحية مصقولة ، وينكر المعجزات الكاذبة المصطنعة . وفي هذا يقول « عوِّد الفتيات على ألا يقبلن بيسر بعض الروايات غير المسندة » . ولكن لعل « فينيلون » يهيء ، عن غير ارادة منه ، الطرق للاوهام الدينية التي يحاربها ، حين يلجأ ، ليدخل في ذهن الطفل المبادىء الدينية الاولى ، إلى أن يعرض له الله في صور محسوسة وإلى أن يتحدث له عن جنة كلها ذهب وأحجار كريمة .

الدراسات الخاصة بانساء :

لم نعرض حتى الآن من كتاب « فينيلون » الا المبادىء العامة التي يتوجه بها إلى الفتيات والفتيان على حد سواء . الا أنه في الجزء الاخير من كتابه ، يقف وقفة خاصة عند الاعمال المتعلقة بالنساء والصفات التي تليق بهن ، والواجبات المفروضة عليهن ، ونوع الثقافة التي يحتجن اليها للقيام بهذه الواجبات

وقد بين « فينيلون » في قوة لم يضاهه بها غيره ، المساوىء التي تولدها الجهالة لدى المرأة ، من سأم ، وبهالة ، وعجز عن الانصراف إلى الاشياء

أو بلاد الروم واستفادوا من خبرتهم بعقاقير بلادهم . اذ تروي لنا هذه المصادر فيما تروي أن «الحارث بن كلدة الثقفي سافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وتمرن هناك وعرف الداء والدواء » وأن «النضر بن الحارث بن كلدة نشأ طبيباً كأبيه وسافر في البلاد واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الأحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة » . وتشير هذه المصادر إلى براعة الجاهليين في الجراحة وأمراض العين . هذا بالاضافة إلى درايتهم الخاصة بالكهانة والزجر والعرافة والعيافةوالقيافة والرؤيا والطرق بالحصا والخط والريافة ، وإلى معرفتهم بأدواء الخيل وعيوبها ، ودرايتهم بعلم الرمي بالسهام وعلم نزول الغيث والرياح وأوصافها والسحب وأنواعها ، ومعرفتهم بعلم الملاحة وبالكثير من الصنائع وغيرها من العلوم والفنون . ولا شك أن « الشعر أكثر علم العرب » على حد قول الألوسي في بلوغ الأرب . وفيه قال عمر بن الخطاب (رضي) : « نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم » . ولهذا كان من مذاهب العرب أن القبيلة منهم إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالأعراس وتباشروا به لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم . وعُرف عنهم أنهم كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو فرس تنتج أو شاعر ينبغ فيهم [1] .

كذلك من أبرز علومهم علم الأنساب ، اذ كان لعرب الجاهلية مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته ، لأنه أحد أسباب الألفة والتناصر . فلقد كانوا قبائل متفرقين واحزاباً مختلفين ، لم تزل نيران الحروب مستعرة بينهم والغارات ثائرة فيهم ... ولهذا حفظوا أنسابهم ليكونوا متظاهرين بها على خصومهم ومتناصرين على من شاقهم وعاداهم [2] .

(١) بلوغ الأرب ، الجزء الثالث ، ص ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

كانت تشبه إلى حد بعيد معاهد التربية البدنية اليونانية . وإلى جانب المجالس والاسواق عرف العرب « المجتمعات » وهي كثيرة الانواع والاقسام . ومما قاله فيها الألوسي [1] : منها ما كان لمحض الأنس وتنشيط النفس وذكر ما سلف لهم من الحروب والوقائع وتناشد الشعر والقريض ونحو ذلك من الكلام الذي تبتهج له الطبائع . وهذا الحال لا يكون غالباً إلا في الليالي ... وكانوا يتحلقون إذا اجتمعوا في طرف ، وربما كان وسط الحلقة من ينتهي اليه الشرف ، وإذا أراد أحدهم ذكر حادث غريب والقاء كلام عجيب قام وتلاه على القوم كما يفعل الخطيب .. ومنها ما كان للمذاكرة والمشاورة في تدارك حرب أو اغارة على قوم آخرين ... ومنها ما كان لاجل الحكومة وفصل الدعاوى والمنازعات التي كانت تقع بينهم كما كانوا يجتمعون في دار الندوة وهي دار « قصي بن كلاب » .. ومنها ما كان لطلب مثوبة واتعاظ بوعظ كما كانت قريش في الجاهلية تجتمع إلى كعب بن لؤي بن غالب وهو جد النبي (ص) السابع في كل جمعة فيخطب فيه على قريش .. ومنها ما كان لحلف وعقد معاهدة كما اجتمعت قريش في الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة وشاهدوا من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر فعقدوا حلفاً على رد المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم .. » أما أهل الحضارة في العصر الجاهلي فقد كانت لهم مدارس ومعاهد للتربية والتعليم ، وكانت لهم دور يختلف اليها الطلاب ورواد العلوم . وقد عثر الباحثون في آثار مدائنهم على انقاض مدرسة للاطفال حوت قراميد عليها دروس للاحداث في الحساب والهجاء ، وشملت فوق ذلك معجمات وكتباً للمطالعة وقواعد اللغة [2] . على أن من اللازم أن نذكر في هذا المجال أن العرب جميعهم بدوهم وحضرهم عرفوا في الواقع الكتاتيب ودور العلم في الجاهلية . فالمؤرخون يؤكدون أن يوسف الثقفي أبا الحجاج كان يعلم في كتاب له بالطائف ، وأن أبا قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وأبا

---

(١) بلوغ الأرب ، الجزء الاول ، ص ٢٧١ — ٢٧٥

(٢) مصطفى أمين ، ص ١٩٠ .

سفيان بن أمية بن عبد شمس قد علمهما بشر بن عبد الملك العبادي فكانا يعلمان أهل مكة .

وينقل السيد عبد الحي الكتاني عن الماوردي في ادب الدنيا والدين عن ابن قتيبة أن العرب كانت تعظم أمر الخط ، خلافاً لما قاله ابن خلدون في « المقدمة » من أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية وان العرب كانوا بعيدين عنهما لانهم كانوا بداة .. وقد كان للنبي (ص) كتاب بلغ عددهم ما ينيف على الأربعين وكان أكثرهم من الشبان والمدنيين ، ولا شك في انهم قد تعلموا الخط والقراءة وما اليهما في بعض كتاتيب المدينة ومكة قبل الاسلام . ثم ان الكتاتيب كانت معروفة بكثرة في بلاد الشام ومصر وفارس والعراق قبل الاسلام ، فلا غرابة اذا نقل القرشيون ذلك عنهم في رحلاتهم التجارية .. كما ان الجوالي النصرانية واليهودية في الجزيرة كانت تعلم ابناءها في المدارس أو الكتاتيب أو الكنائس أو الاديرة ، وليس بعيداً أن يكون جيرانهم قد أفادوا من ذلك [1] . وقد أثبتت الادلة العلمية الحديثة معرفة العرب بالكتابة والخط وعنايتهم بهما . ومما أثبته المستشرق الايطالي الامير « كايتاني » في الفصل الرائع الذي كتبه عن نشأة الخط العربي ، أن الخط العربي — كما دلت الاكتشافات النقشية والوثائق الخطية — قديم الوضع ، وأن الكتابة العربية كانت ذائعة في الجزيرة ومشارف االشام قبل البعثة النبوية . وهذه الحقائق كلها تبين خطأ النظرية التي ذاعت لدى الكثيرين وشاعت ، والتي ترى ان الجهل والامية كانا متفشيين بين العرب قبل الاسلام ، وأن الاسلام لما جاء لم يكن بينهم في مكة وهي عاصمتهم الكبرى الا سبعة عشر كاتباً وأن اليمن كلها لم يكن فيها كاتب واحد .

(١) التربية والتعليم في الاسلام ، للدكتور محمد أسعد طلس ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٧ ، ص ١٨

والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من العالم وشملهم جميعاً بعنايته . وكثيراً ما أخذ المأمون نفسه دوراً رئيسياً في المناظرات التي كانت تدور في مجلسه . وكلنا يعلم انه اعتنق مذهب المعتزلة ؛ ولما كانت المناظرة والجدل من أهم ما كان يعتمد عليه المعتزلة في نشر آرائهم ، فقد وضعوا اسساً تعتبر بحق قواعد علم البحث والمناظرة (وسنرى بعضها عند الحديث عن طرائق التعليم) .
وكان عهد المأمون سلسلة انتصارات للمعتزلة في مجالس البحث والمناظرة الكثيرة التي عقدوها مع الشيعة والملحدين من الدهرية والثنوية وسواهم .. وكانت مسألة خلق القرآن أهم مسألة اثيرت في تلك المجالس . كذلك عرف قصر الواثق مجالس للادب والمناظرة ، وفيها تلاحى مخارق وحسين الضحاك في أبي العتاهية وأبي نواس أيهما أشعر . وبعد الواثق تدهور الوضع السياسي وتدهورت معه النهضة العلمية ، ونشأت الممالك المستقلة أو شبه المستقلة التي انقسم لها العالم العربي الاسلامي ، وظهرت عواصم عديدة كل منها مثلت دور بغداد ، وأخذ ينافس بعضها بعضاً في حماية العلم ، فأصبحت القصور وما فيها من مجالس في ذلك العهد تقوم مقام الجامعات اليوم ، على حدّ قول أحمد أمين في ظهر الاسلام.
ومن الامثلة على تلك المجالس مجلس الوزير ابن الفرات (أبو الفضل جعفر) ، وفيه جرت المناظرة الشهيرة (عام ٣٢٦) بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى . (وهي التي يذكرها أبو حيان مفصلة في الامتاع والمؤانسة) . ومنها مجلس أبي عبدالله الحسين بن سعدان (٣٧٥ هـ) ، ومجلس سيف الدولة الحمداني بحلب ، وهو المجلس الذي خلد لنا المتنبي ، ومنها قصر الغزنويين الخ ..

(٦) البادية :

كانت اللغة العربية حتى عصر صدر الاسلام فصيحة سليمة . الا ان اتصال العرب بغيرهم عن طريق التجارة سبب وجود لحن قليل بينهم . وكان ارتكاب ذلك اللحن عاراً لا يغتفر ، فلقد روي ان رجلاً لحن في حضرة النبي (ص) فقال الرسول لاصحابه : أرشدوا أخاكم فقد ضل .

رووا لهم من احاديث ويجيزون لهم روايتها عنهم . ثم انتقل هذا من الحديث الى سواه ، فاذا ثابر الطالب على الاستماع لأمالي الشيخ في الادب أو التاريخ أو غيرهما ، أو لشرح يقوم به المدرس لكتاب ، وتأكد المدرس من استفادة الطالب ، كتب له شهادة على الورقة الاولى او الاخيرة من الكتاب يقول فيها مثلاً : « أتم فلان قراءة هذا الكتاب ... وأجزت له تدريسه ... » . ومن اللازم ان نوضح ان لفظ (سماع) هو اللفظ الاصطلاحي الذي يطلق على الشهادات التي تحدثنا عنها والتي تمنح بعد ان يتم الاتصال بين المدرس والطالب فيسمع هذا من ذاك ويمنح « سماعاً » يبيح المدرس فيه للطالب ان يروي عنه ما رواه له . أما لفظ « الاجازة » في الاصطلاح فيدل على اذن يمنح بدون تعليم يمنحه شيخ الى آخر يجيز فيه الاول للثاني رواية أحاديث معينة رواها الاول أو تدريس كتاب ألفه . والاجازة من هذا النوع تدل على المستوى العلمي لمن منحت له كما يدل عليه السماع ، اذ أن الشيوخ ما كانوا يمنحون الاجازة الا لمن كان ذا معرفة تهيء له ان يجيد تدريس الكتاب المجاز به أو رواية الاحاديث المأذون له في روايتها . وأقدم اجازة معروفة — فيما يرى الشيخ آغا برزك (أحد علماء النجف الذي جمع وسجل ورتب نصوص اكثر الشهادات التي صدرت من مشاهير العلماء او اليهم) — هي التي اعطاها عام ٣١٣ هـ محمد بن محمد بن الأشعث إلى هارون بن موسى العكبري ليروي الثاني عن الاول أشياء عددها الاول في كتابه . ولبعض العلوم كالطب خطورة عظيمة ، ولذلك نجد انه اشترط منذ عهد مبكر على من يرغب في الاشتغال بهذه المهنة ان يجتاز امتحاناً وينال شهادة مكتوبة تحدد له الامراض التي يمكن ان يتصدى لعلاجها ، كما سبق ان ذكرنا .

ولا بد من كلمة عن ملابس المدرسين . وكلنا يعلم أن ملابس الرسول (ص) هي الملابس التي كان يحتذيها الخلفاء والفقهاء والولاة حتى قيام الدولة الأموية . وهي ملابس سهلة يسيرة تتكون في الغالب من إزار وسراويل وقميص وعباءة وعمامة وخفين ، وكان اللون الابيض أحب الألوان للرسول . فلما قامت الدولة الأموية بدأ خلفاؤها والعظماء فيها يقلدون لباس الدول التي

يأخذ منه المعلم ما يقوم به ، وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم ويكسوتهم [١]

وقد عني الطلاب المسلمون بالرحلات لطلب العلم . وأصل ذلك كله قول الرسول (ص) في الحديث الشريف : « لا ينال العلم براحة الجسم » . وقوله : من سافر في طلب العلم كان مجاهداً في سبيل الله ، ومن مات وهو مسافر يطلب العلم كان شهيداً » ، ولهذا كره العرب المسلمون القعود في طلب العلم ، وآثروا المشقة والسفر . ومما يقوله الأصفهاني [٢] : لا يتأدب الرجل حتى يتجنب الفراش الوطيء والدثار الدفيء . ويتحدث ابن خلدون حديثاً مستفيضاً عن الرحلات لطلب العلم ويذكر أسماء مشاهير العلماء الذين رحلوا في سبيله . ذلك أن قيمة الطالب في نظر الناس كانت تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم ومع عدد المدرسين الذين تلقى عنهم . ومن أشهر العلماء الذين ركبوا الأسفار لهذه الغاية الشريفة البخاري (٢٦٥ هـ) المحدث الشهير ، وحنين بن إسحاق الطبيب البحاثة ، والبيروني عالم الفلك الشهير ، وغيرهم كثير . هذا بالاضافة إلى الذين كانوا يرحلون إلى البادية — كما سبق أن ذكرنا — انتجاعاً للغة السليمة ولكي يستقيم لسانهم .

تقديس العلم والعلماء :

ومرد هذا كله ما كان للعلم والعلماء من شأن ومكانة في العالم العربي الاسلامي ، وما جاء في الدين الاسلامي من حض على العلم والتعليم . وهنالك نصوص كثيرة وردت في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف تشير إلى فضل العلم والعلماء . ففي القرآن الكريم : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وفيه : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وفيه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » إلى غير تلك من الآيات

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٢٧٢ .

(٢) محاضرات الأدباء ، الجزء الاول ، ص ٢٨ .

الكريمة الكثيرة في هذا الباب . وفي الحديث : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ؛ وفيه أيضاً : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضا الله عنه ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء » . وفيه « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وفيه : « مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة » . وفيه : « تعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم ، ولا تكونوا جبابرة العلماء » . وفيه : « ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم » . وفيه : « إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء » . وفيه : « غدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة » . وفيه : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » . وفيه : « لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم » . وفيه : « الناس عالم ومتعلم والباقي همج » .

وفي أقوال الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ما يشهد على عظيم اجلالهم للعلم . من ذلك قول علي (رضي) لكميل بن زياد : « يا كميل ، العلم خير لك من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق » . وقوله أيضاً : « قيمة كل امريء علمه » وقول أبي بكر الصديق : « لان أعرب آية من القرآن أحب الي من أن أحفظ آية » . وقول علي ايضاً : « كل يوم لا ازداد منه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ». « وليس الخير ان يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير ان يكثر علمك » . ومن أقوال الاحنف : « كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يصير » . ومن أقوال الزبير بن أبي بكر : « كتب لي ابي بالعراق : عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالاً ، وان استغنيت كان لك جمالاً » . وقال بعض العلماء : « ليت شعري أي شيء ادرك من فاته العلم ، واي شيء فاته من أدرك العلم » . والشواهد أكثر من ان تحصى على عظيم اجلال العرب للعلم وتقديمهم له ، وتقديسهم لحملته ورعاته .

الملحق رقم (٣)

قوائم بأسماء بعض المربين الذين أشار لأفكارهم التربوية

كتاب

التربية عبر التاريخ

من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين

تأليف
الدكتور عبد الله عبد الدائم

دار العلم للملايين
ص.ب: ١٠٨٥ - بيروت
تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

الملحق رقم (٣)

قائمة بأسماء بعض المربين في الإسلام الذين أشار (عبد الله عبد الدائم) في كتابه (التربية عبر التاريخ) لبعض آرائهم التربوية

التسلسل	الاسم	رقم الصفحة
١	محمد بن أحمد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ)	٢٢٩
٢	عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ هـ ـ ٨٠٨ هـ)	٢٤٢
٣	محمد بن سحنون (٢٠٢ ـ ٢٥٦ هـ)	٢٥٢
٤	علي بن خلف القابسي (٣٢٤ هـ ـ ٤٠٣ هـ)	٢٥٣
٥	أحمد بن محمد بن مسكويه (٣٢٥ ـ ٤٢١ هـ)	٢٥٤
٦	اخوان الصفا	٢٥٧
٧	الحسين بن عبد الله (ابن سينا) (٣٧٠ ـ ٤٣٨ هـ)	٢٥٨
٨	يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ)	٢٥٩
٩	برهان الدين الزرنوجي (٥٩١ هـ)	٢٦٠
١٠	عبد الباسط بن موسى العلموي (ت ٩٨١ هـ)	٢٦٠
١١	السمعاني [عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ]	٢٦١
١٢	الخطيب البغدادي [أحمد بن علي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ]	٢٦١
١٣	السبكي [عبد الوهاب (ت ٧١ هـ)]	٢٦١
١٤	محمد بن أبي زيد	٢٦١

الملحق رقم (٣)

قائمة بأسماء بعض المربين الغربيين الذين أشار (عبد الله عبد الدائم) في كتاب (التربية عبر التاريخ) لأفكارهم التربوية

التسلسل	الاسم	رقم الصحيفة
١	سقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق . م)	٥٩
٢	أفلاطون (٤٢٩ ـ ٣٤٧ ق . م)	٦٤
٣	كزينوفون (حوالي ٤٢٧ ـ ٣٥٥ ق . م)	٧٤
٤	المعلم الأول أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق . م)	٧٩
٥	شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق . م)	٨٨
٦	فارون (١١٦ ـ ١١٧ ق . م)	٨٨
٧	كوانتيليان (٣٥ ـ ٩٥ ب . م)	٨٩
٨	سينيكا (ابن الخطيب سينيكا ولد ٦١ ق . م)	٩٣
٩	فلوطارخس (٥٠ ـ ١٣٨ ب . م)	٩٤
١٠	مارك أوريل (٢١ ـ ١٨٠ ق . م)	٩٨
١١	القديس جيروم	١٠٧
١٢	شارلمان (شارل الكبير)	١١٣
١٣	آل كوين	١١٥
١٤	بيرانيجه دي تور	١٢٠
١٥	القديس إيف	١٢٠
١٦	برناردي شارتر (١١٢٤ ـ ١١٣٠)	١٢١
١٧	جيلبير دي لابوري (١٠٧٦ ـ ١١٥٤)	١٢١
١٨	جان دي ساليزبوري	١٢١
١٩	هرمالوس باراباروس	١٢٢
٢٠	ابيلار (١٠٧٩ ـ ١١٤٢)	١٢٢
٢١	جيرسون (١٣٦٣ ـ ١٤٢٦)	١٢٤
٢٢	فيكتوران دي فليتر (١٣٧٧ ـ ١٤٤٦)	١٢٥
٢٣	باتستا غوارينا	٢٦٩